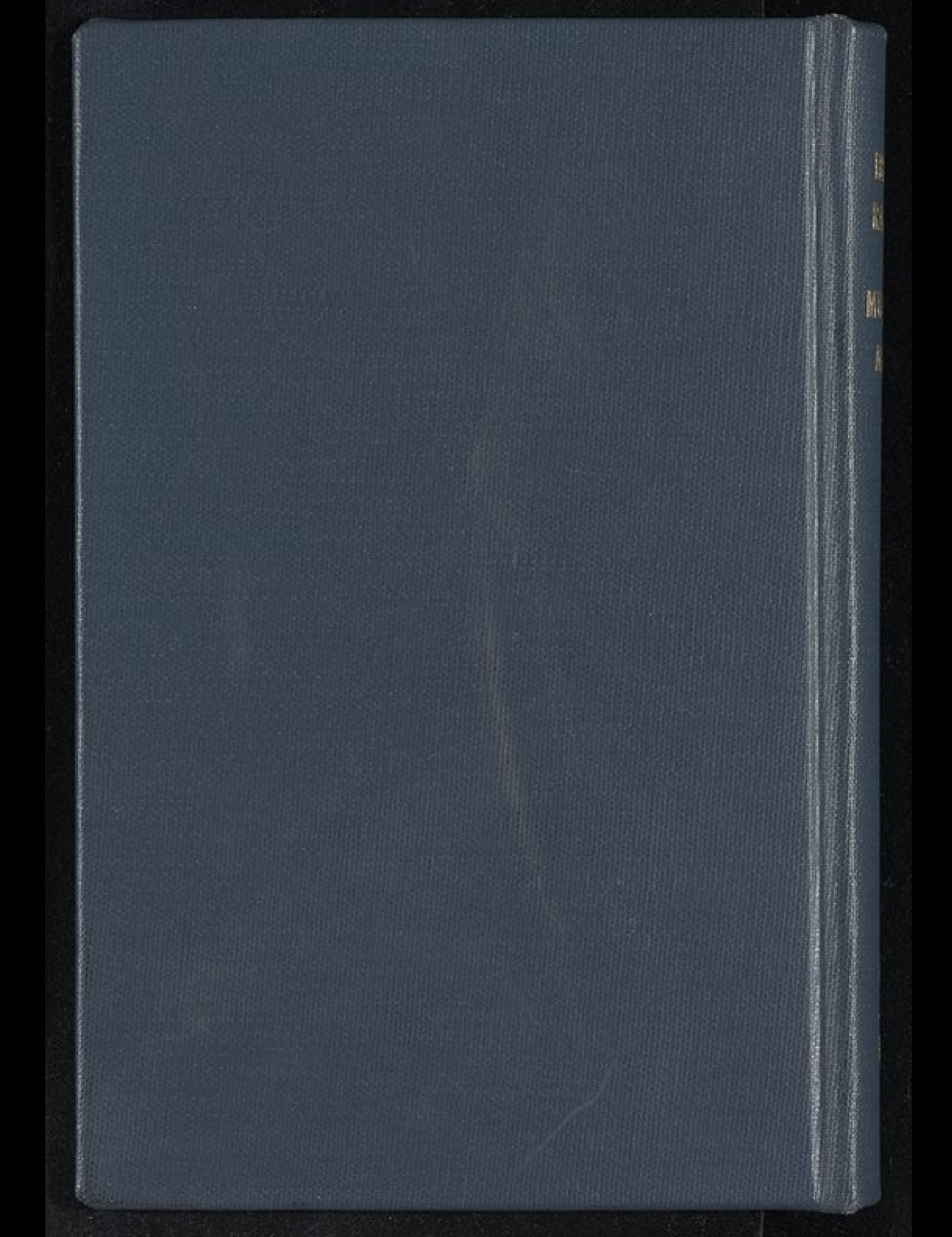
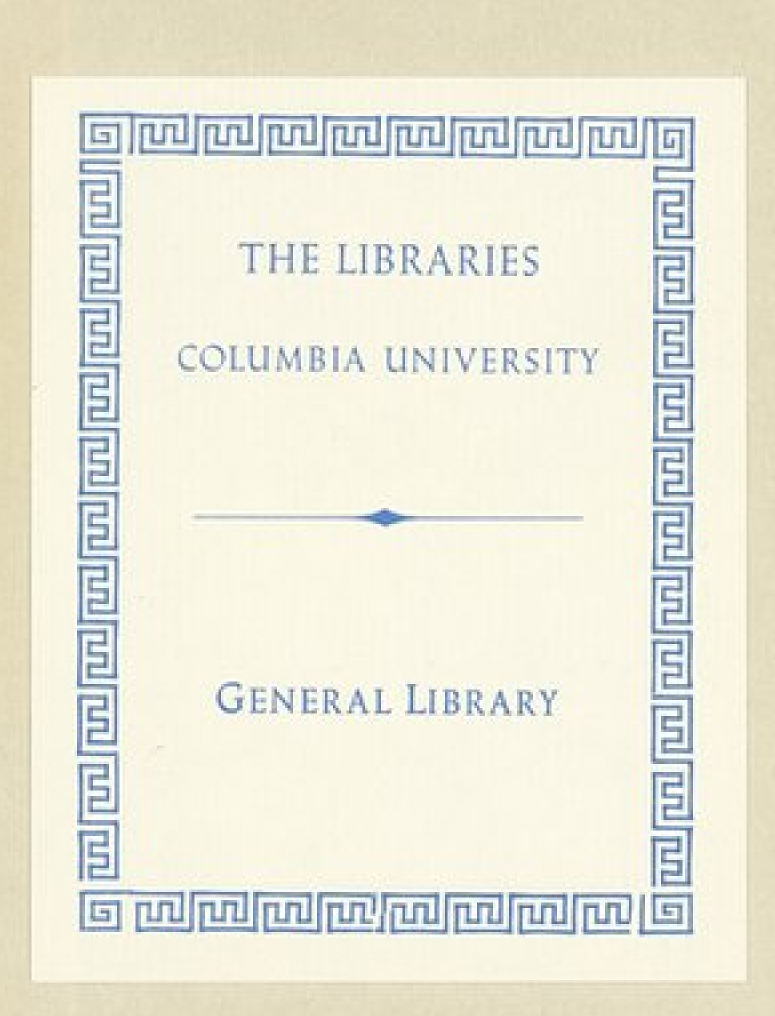




THE LIBRARIES
COLUMBIA UNIVERSITY
GENERAL LIBRARY

مدرسة القضاء الشرعي

مختار العقد

(الطبعة الثالثة)

سنة ١٣٣١ هـ — ١٩١٣ م

« طبع بالمطبعة الجمالية — بمصر »

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حمداً يقوم بواجب شكره وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه نجوم الهدى

أما بعد فانا رأينا حاجة طلاب الادب الى كتاب يجمع لهم الملح ويغذى أنفسهم برائع القول جعل حلة لجميل المعنى وقد رأينا كتاب العقد الفريد للأديب أبي عمر احمد بن عبد ربه كتابا حافلا بأبواب الأدب ممتعا لمن كان له سميرا وبه أليفا أحسن صاحبه الاختيار فانتقى من كلام الحكماء والبلغاء والكتاب ما يحلي الجيد العاطل

وبحق جعله المتقدمون من أمهات كتب الأدب ويضمونه الى كتاب الكامل للمبرد والأمالي لأبي على القالي والأغاني لأبي الفرج الاصبهاني

غير أنا رأينا فيه ثلاثة عيوب كادت تذهب بحسنه وتمحو الأثر من استفادة الناس به أما الأول فتحريف يكاد المعنى يضيع بسببه فى كثير من مواضعه حتى سمعنا من أديب كبير ان اصلاح العقد الفريد مما ليس فى مكنة انسان ويبين لك هذا أن تنظر الى مثل هذه الجملة (والفرح فى أهلك) ثم



السلطان

السلطان زمام الأمور ونظام الحقوق وقوام الحدود والقطب الذى عليه مدار الدنيا وهو حمى الله فى بلاده وظله الممدود على عباده به يمتنع حريمهم وينتصر مظلومهم وينقمع ظالمهم ويأمن خائفهم فحق على من قلده الله أزمة حكمه وملكه أمور خلقه واختصه باحسانه ومكن له فى سلطانه أن يكون من الاهتمام بمصالح رعيته والاعتناء بمرافق أهل طاعته بحيث وضعه الله من الكرامة وأجرى عليه من أسباب السعادة قال صلى الله عليه وسلم: كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته

نصيحة السلطان ولزوم طاعته

قال الله تعالى: يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم. وقال النبي صلى الله عليه وسلم: من فارق الجماعة أوخلع يدا من طاعة مات ميتة جاهلية. وقال ابن عباس: قال لى أبى أرى هذا الرجل (يعنى عمر بن الخطاب) يستفهمك ويقدمك على الاكابر من أصحاب محمد

صلى الله عليه وسلم وأنى موصيك بخلال أربع : لا تفشين له سرا ولا يجربن عليك كذبا ولا تطو عنه نصيحة ولا تغتابن عنده أحدا . دخل رجل من من الهند على بعض ملوكهم فقال : أيها الملك ان نصيحتك واجبة فى الصغير والحقير والكبير والخطير ولولا الثقة بفضيلة رأيك واحتمالك ما يشق فى جنب صلاح العامة وتلافى الخاصة لكان خرقا منى أن أقول ولكنا اذا رجعنا الى أن بقاءنا موصول ببقائك وأنفسنا متعلقة بنفسك لم نجد بدا من أداء الحق لك وان أنت لم تسلنى ذلك فانه يقال من كتم السلطان نصيحته والأطباء مرضه والاخوان بثه فقد أخل بنفسه وأنا أعلم أن كل كلام يكرهه سامعه لم يتشجع عليه قائله الا أن يثق بعقل المقول له ذلك فانه اذا كان عاقلا احتمل ذلك لأنه ما كان فيه من نفع فهو للسامع دون القائل وانك أيها الملك ذو فضيلة فى الرأى وتصرف فى العلم فانما يشجعنى ذلك على أن أخبرك بما تكره واثقا بمعرفة نصيحتى لك وايثارى إياك على نفسى

﴿ مايصحب به السلطان ﴾

قال ابن المقفع : ينبغى لمن خدم السلطان أن لا يغتر به اذا رضى عنه ولا يتغير له اذا سخط ولا يستثقل ماحمله ولا يلحف فى مسألته . وقال : اذا نزلت من السلطان منزلة الثقة فلا تلزم الدعاء له فى كل كلمة فان ذلك يوجب الوحشة ويلزم الانقباض . وقالوا : ينبغى لمن صحب السلطان أن لا يكتم عنه نصيحة وان استثقلها وليكن كلامه كلام رفق لا كلام خرق حتى يخبره بعيبه من غير أن يواجهه بذلك ولكن يضرب له الامثال ويخبره بعيب غيره ليعرف عيب نفسه

﴿ اختيار السلطان لاهل عمله ﴾

قال عديّ بن أرطاة لإياسٍ بنِ معاوية دلني على قوم من القراء أُوَلِّيهم فقال : القرّاء ضربان ضرب يعملون للآخرة لا يعملون لك وضرب يعملون للدنيا فما ظنك اذا أمكنتهم منها ولكن عليك بأهل البيوتات الذين يستحيون لأحسابهم فولهم . وقال عبد الملك بن مروانَ لجلسائه : دلونى على رجل استعمله فقال له رَوْح بن زِنباع : أدلك ياأمير المؤمنين على رجلٍ ان دعوتموه أجابكم وان تركتموه لم يأتكم ليس بالملحف طلبا ولا بالممعن هربا عامر الشعبي . فولاه قضاء البصرة

قال أبو بكر الصديق لخالد بن الوليد : فرّ من الشرف يتبعك الشرف واحرص على الموت توهب لك الحياة

﴿ حسن السياسة واقامة المملكة ﴾

كتب الحجاج الي الوليد بن عبد الملك يصف نفسه وكان الوليد طلب ذلك منه فقال : انى أيقظت رأيي وأنمت هواى فأدنيت السيد المطاع فى قومه ووليت المجرّب الحازم فى أمره وقلدت الخَراجَ الموفر لأمانته وقسمت لكل من نفسى قسما أعطيه حظا من لطيف عنايتي ونظرى وصرفت السيف الى النَّطف المسيء والثوابَ الى المحسن البريء فخاف المريب صولة العقاب وتمسك المحسن بحظه من الثواب . وقال ازدشير لابنه : يابنى ان الملك والعدل اخوان لا غني بأحدهما عن صاحبه فالملك أسّ والعدل حارس فما لم يكن له أس فمهدوم وما لم يكن له حارس فضائع يا بنى اجعل حديثك مع أهل المراتب

وعطيتك لأهل الجهاد وبشرك لاهل الدين وسرك لمن عناه ماعناك من ذوى العقول . وقال عمر بن الخطاب : لا يصلح لهذا الأمر الا اللين من غير ضعف القوى من غير عنف . وكتب أرسطاطاليس الى الاسكندر املك رعيتك بالاحسان اليها تظفر بالمحبة منها فان طلبك ذلك باحسانك أدوم بقاء منه باعتسافك واعلم انك انما تملك الابدان فاجمع لها القلوب واعلم أن الرعية اذا قدرت أن تقول قدرت أن تفعل فاجتهد أن لا تقول تسلم من أن تفعل

وقال معاوية : انى لا أضع سيفى حيث يكفينى سوطى ولا أضع سوطى حيث يكفينى لسانى ولو أن بينى وبين الناس شعرة ماانقطعت فقيل له وكيف ذلك ؟ فقال كنت اذا مدوها أرخيتها واذا أرخوها مددتها . وقال الوليد ابن عبد الملك لأبيه : ياأبت ماالسياسة ؟ قال هيبة الخاصة مع صدق مودتها واقتياد قلوب العامة بالانصاف لها واحتمال هفوات الصنائع . وخطب سعيد ابن سويد بحمص فقال : أيها الناس ان الاسلام له حائط منيع وباب وثيق فحائط الاسلام الحق وبابه العدل ولا يزال الاسلام منيعا مااشتد السلطان وليس شدة السلطان قتلا بالسيف ولا ضربا بالسوط ولكن قضاء بالحق وأخذ بالعدل

﴿ بسط المعدلة ورد المظالم ﴾

جلس المأمون للمظالم يوما فكان آخر من تقدم اليه وقدهم بالقيام امرأة عليها هيئة السفر وعليها ثياب رثة فوقفت بين يديه فقالت السلام عليك ياأمير

المؤمنين فنظر المأمون الى يحيي بن أكثم فقال لها يحيي وعليك السلام يا أمة الله تكلمي فى حاجتك فقالت :

ياخير منتصف يهدى له الرشد ويا اماما به قد أشرق البلد
تشكو اليك عميد القوم أرملة عدا عليها فلم يترك لها سبد
وابتز مني ضياعي بعد منعتها ظلما وفرق مني الأهل والولد

فأطرق المأمون حينا ثم رفع رأسه وهو يقول

فى دون ماقلت زال الصبر والجلد عنى وأقرح منى القلب والكبد
هذا أذان صلاة العصر فانصرفى وأحضرى الخصم فى اليوم الذى أعد
والمجلس السبت أن يقض الجلوس لنا ننصفك منه والا المجلس الأحد

فلما كان يوم الأحد جلس فكان أول من تقدم اليه تلك المرأة فقالت : السلام عليك يا أمير المؤمنين فقال وعليك السلام أين الخصم فقالت الواقف على رأسك يا أمير المؤمنين وأومأت الى العباس ابنه فقال يا أحمد بن أبى خالد خذ بيده فأجلسه معها مجلس الخصوم فجعل كلامها يعلو كلام العباس فقال لها أحمد بن أبى خالد يا أمة الله انك بين يدى أمير المؤمنين وانك تكلمين الامير فاخفضى من صوتك فقال المأمون دعها يا أحمد فان الحق أنطقها وأخرسه . ثم قضى لها برد ضيعتها وأمر لها بنفقة .

ورد على الحجاج سليك بن سلكة فقال : أصلح الله الأمير أرعنى سمعك واغضض عنى بصرك واكفف عنى غربك فان سمعت خطأ أو زللا فدونك العقوبة قال قل فقال عصى عاص من عرض العشيرة فحلق على اسمى وهدم منزلى وحرمت عطائى . قال هيهات أو ماسمعت قول الشاعر

جانيك من يجني عليك وقد ... تُعدى الصِّحاح مبارك الجرب
ولرب مأخوذ بذنب عشيره ... ونجا المقارف صاحب الذنب

قال أصلح الله الامير اني سمعت الله عز وجل قال غير هذا . قال وما ذاك . قال قال الله : يأيها العزيز ان له ابا شيخا كبيراً فخذ أحدنا مكانه انا نراك من المحسنين قال معاذ الله أن نأخذ الا من وجدنا متاعنا عنده انا اذاً لظالمون. قال الحجاج عليَّ بيزيد بن مسلم فمَثَل بين يديه فقال افكك لهذا عن اسمه واصكك له بعطائه وابن له منزله ومُرْ مناديا ينادي صدق الله وكذب الشاعر

وقال معاوية : اني لأستحي ان أظلم من لا يجد عليَّ ناصرا الا الله . وكتب الى عمر بن عبدالعزيز بعض عماله يستأذنه في تحصين مدينته فكتب اليه حصنها بالعدل ونقِّ طريقها من الظلم

﴿ صلاح الرعية بصلاح الامام ﴾

قال الحكماء الناس تبع لامامهم في الخير والشر . ولما أتي عمر بتاج كسرى وسواريه قال : ان الذي أدى هذا لأمين فقال له رجل يا أمير المؤمنين انت أمين الله يؤدون اليك ما أديت الى الله فان رتعت رتعوا

﴿ قولهم في الملك ﴾

قالت الحكماء لا ينفع الملك الا بوزرائه وأعوانه ولا ينفع الوزراء والاعوان الا بالمودة والنصيحة ولا تنفع المودة والنصيحة الا مع الرأى والعفاف ثم على الملوك بعد ذلك أن لا يتركوا محسنا ولا مسيئاً دون جزاء

فانهم اذا تركوا ذلك تهاون المحسن واجترأ المسيء وفسد الأمر وبطل العمل وقال الاحنف بن قيس : من فسدت بطانته كان كمن غص بالماء فلامساغ له ومن خانه ثقاته فقد أتى من مأمنه . وقالوا : ليس شيء أضر بالسلطان من كل صاحب يحسن القول ولا يحسن الفعل لا خير فى القول الا مع الفعل ولا فى المال الا مع الجود ولا فى الصدق الا مع الوفاء ولا فى الفقه الا مع الورع ولا فى الصدقة الا مع حسن النية ولا فى الحياة الا مع الصحة

﴿ صفة الامام العادل ﴾

كتب الحسن البصري الى عمر بن عبد العزيز يصف الامام العادل : اعلم يا أمير المؤمنين ان الله جعل الامام العادل قوام كل مائل وقصد كل جائر وصلاح كل فاسد وقوة كل ضعيف ونَصَفَة كل مظلوم ومفزع كل ملهوف والامام العادل يا أمير المؤمنين كالراعى الشفيق على ابله الرفيق الذى يرتاد لها أطيب المرعى ويذودها عن مراتع الهلكة ويحميها من السباع ويكنفها من أذى الحر والقرّ والامام العادل يا أمير المؤمنين كالأب الحانى على ولده يسعى لهم صغاراً ويعلمهم كباراً يكتسب لهم فى حياته ويدخر لهم بعد مماته والامام العادل يا أمير المؤمنين كالأم الشفيقة البرة الرفيقة بولدها حملته كرها ووضعته كرها وربتـه طفلا تسهر بسهره وتسكن بسكونه ترضعه تارة وتفطمه أخرى وتفرح بعافيته وتغتم بشكايته والامام العادل يا أمير المؤمنين وصى اليتامى وخازن المساكين يربى صغيرهم ويمون كبيرهم والامام العادل يا أمير المؤمنين كالقلب بين الجوانح تصلح الجوانح بصلاحه وتفسد بفساده والامام

العادل يا أمير المؤمنين هو القائم بين الله و بين عباده يسمع كلام الله ويسمعهم وينظر الى الله و يريهم وينقاد الى الله ويقودهم ...

﴿ هيبة الامام وتواضعه ﴾

قال ابن السمّاك لعيسى بن موسى : تواضعك فى شرفك أكبر من شرفك . وقال عبد الملك بن مروان : أفضل الرجال من تواضع عن رفعة وزهد عن قدرة وأنصف عن قوة

﴿ حسن السيرة والرفق بالرعية ﴾

قال الله تعالى لنبيه « ولو كنت فظاغليظ القلب لانفضوا من حولك » وقال النبي صلى الله عليه وسلم « من اعطى حظه من الرفق فقد أعطى حظه من الخير كله ومن حرم حظه من الرفق فقد حرم حظه من الخير كله . وكتب عمر بن عبدالعزيز الى عدى بن آزطاة : أما بعد فان أمكنتك القدرة على المخلوق فاذكر قدرة الخالق عليك واعلم ان مالك عند الله مثل ما للرعية عندك . وقال خالد بن عبد الله القسرى لبلال بن أبي بُرْدة : لايحملنك فضل المقدرة على شدة السطوة ولا تطلب من رعيتك الا ما تبذله لها فان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون

﴿ ما يأخذ به السلطان من الحزم والعزم ﴾

قالت الحكماء : أحزم الملوك من قهر جِدّه هزله وغلب رأيه هواه وأعرب عن ضميره فعله ولم يخدعه رضاه عن سخطه ولاغضبه عن كيده . وقال عبد الملك بن مروان لابنه الوليد وكان ولى عهده : يابنى انه ليس بين السلطان وبين

أن يملك الرعية أو تملكه الا حرفان حزم وتوان . وقالوا : لا يكون الذم من الرعية لراعيها الا لاحدى ثلاث كريم قصّر به عن قدره فاحتمل لذلك ضغنا أو لئيم بلغ به مالا يستحق فأورثه ذلك بطرا ورجل منع حظه من الانصاف فشكا تفريطا . وقيل لرجل سلب ملكه : ماالذي سلبك ملكك قال دفع شغل اليوم الى غد والتماس عدة بتضييع عدد واستكفاء كل مخدوع عن عقله . والمخدوع عن عقله من بلغ قدرالا يستحقه وأثيب ثوابا لا يستوجبه . وكتب عبد الله بن طاهر الى الحسن بن عمرو : أما بعد فقد بلغني من قطع الفسقة الطريق مابلغ فلا الطريق تحمى ولا اللصوص تكفى ولا الرعية ترضى وتطمع بعد هذا فى الزيادة انك لمنفسح الأمل وايم الله لتكفين من قبلك أو لأوجهن اليك رجالا لاتعرف مرّة من جهم ولا عديا من زهم ولا حول ولاقوة الا بالله

﴿ التعرض للسلطان والرد عليه ﴾

قدم عقبة الازدى على معاوية ودفع اليه رقعة فيها هذه الابيات

معاوى اننا بشر فأسجح فلسنا بالجبال ولا الحديد
أكلتم أرضنا فجردتموها فهل من قائم أو من حصيد
أتطمع فى الخلود اذا هلكنا وليس لنا ولا لك من خلود
فهبنا امة هلكت ضياعا يزيد أميرها وأبو يزيد

فدعا به معاوية فقال : ماجراك علىّ . قال نصحتك اذ غشوك وصدقتك اذ كذبوك فقال ماظنك الا صادقا وقضى حوائجه

قالت الحكماء : من تعرض للسلطان أرداه ومن تطامن له تخطاه وشبهوه في ذلك بالريح العاصفة التي لا تضر بما لان من الشجر ومال معها من الحشيش وما استهدف لها من الدّوح العظام قصفته

﴿ تحلم السلطان على أهل الفضل والدين اذا اجترءوا عليه ﴾

أرسل أبو جعفر الى سُفيان الثّوريّ فلما دخل عليه قال . عظني أبا عبد الله قال . وما عملتَ فيما علمت فأعظكَ فيما جهلتَ . فما وجد له المنصور جوابا دخل سالم مولى عمر بن عبد العزيز على عامل للخليفة فقال له يا أبا النضر انا تأتينا كتب من عند الخليفة فيها وفيها ولا نجد بدا من انفاذها فما ترى فقال له أبو النضر . قد أتاك كتاب من الله قبل كتاب الخليفة فأيهما اتبعت كنت من أهله . دخل رجل على هشام فقال : يا أمير المؤمنين احفظ عني أربع كلمات فيهن صلاح ملكك واستقامة رعيتك فقال : هاتهن فقال لا تعدنّ عدة لا تثق من نفسك بانجازها ولا يغرنك المرتقى وان كان سهلا اذا كان المنحدر وعرا واعلم أن للأعمال جزاء فاتق العواقب واعلم أن للامور بغتاتٍ فكن على حذر

﴿ المشُورة ﴾

قال النبي صلى الله عليه وسلم ما ندم من استشار ولا شقي من استخار وقد أمر الله تعالى نبيه بمشاورة من هو دونه فقال : وشاورهم في الأمر فاذا عزمت فتوكل على الله . وسئل بعض الحكماء أي الامور أشد تأييدا للعقل

وأيها أشد اضرارا به فقال : أشدها تأيدا له ثلاثة أشياء مشاورة العلماء وتجربة الأمور وحسن التثبت وأشدها اضراراً به ثلاثة أشياء الاستبداد والتهاون والعجلة . وأشار حكيم على حكيم برأى فقال : لقدقلت بما يقول به الناصح الشفيق الذى يخلط حلوالكلام بمره وسهله بوعره ويحرك الاشفاق منه ماهو ساكن من غيره وقد وعيت النصح وقبلته اذ كان مصدره من عند من لا يشك فى مودته وصفاء غيبه ونصح جيبه وما زلت بحمدالله الى الخير طريقا واضحاً ومناراً بيناً . قال عامر بن الظرب حكيم العرب : دعوا الرأى يغب حتى يختمر واياكم والرأى الفطير يريد الأناة فى الرأى والتثبت فيه . قيل لرجل من عبس : ما أكثر صوابكم قال : نحن ألف رجل وفينا حازم واحد فنحن نشاوره فكأنا ألف حازم قال الشاعر

الرأى كالليل مسود جوانبه ... والليل لا ينجلى الا باصباح
فاضمم مصابيح آراء الرجال الى ... مصباح رأيك تزدد ضوء مصباح

﴿حفظ الاسرار﴾

قالت الحكماء : صدرك أوسع لسرك . وكتب عبدالملك بن مروان الى الحجاج بن يوسف

ولا تفش سرك الا اليـ ... ـك فان لكل نصيح نصيحا
وانى رأيت غواة الرجا ... ل لايتركون أديما صحيحا

وقال عمرو بن العاص : ما استودعت رجلا سراً فأفشاه فلمته لانى كنت أضيق صدراً منه حين استودعته منه حتى أفشاه قال الوليد بن عتبة لأبيه :

ان أمير المؤمنين أسر الى حديثاً أفلا أحدثك به قال ، يابنى انه من كتم سره كان الخيار له فلا تكن مملوكا بعد ان كنت مالكا

(الاذن)

قال زياد لحاجبه عجلان كيف تأذن للناس قال : على البيوتات ثم على الاسنان ثم على الآداب . وكان سعيد بن عُتْبة اذا حضر باب أحد من السلاطين جلس جانبا فقيل له : انك لتباعد من الآذن جهدك قال : لأنْ أُدعى من بعيد خير من ان أُقصى من قريب . استأذن رجل على النبي صلى الله عليه وسلم وهو فى بيته فقال : أألج فقال عليه السلام لخادمه : اخرج الى هذا فعلمه الاستئذان وقل له يقول السلام عليكم أأدخل

(الحجاب)

قال زياد لحاجبه : وليتك حجابتي وعزلتك عن أربع هذا المنادى الى الله فى الصلاة والفلاح فلا سلطان لك عليه وطارق الليل لا تحجبه فشر ما جاء به ولو كان خيرا ما جاء به تلك الساعة ورسول الثغر فانه ان أبطأ ساعة أفسد عمل سنة فأدخله علىّ وان كنتُ فى لحافي وصاحب الطعام فان الطعام اذا أعيد تسخينه فسد . وقف أبو العتاهية الى باب بعض الهاشميين فطلب الاذن فقيل له : تكون لك عودة فقال :

لئن عدت بعد اليوم انى لظالم ... سأصرف وجهى حيث تُبغى المكارم
متى يظفر الغادى اليك بحاجة ... ونصفك محجوب ونصفك نائم

وقال حبيب الطائى فى الحجاب

سأترك هذا الباب مادام اذنه ... على ما أرى حتى يلين قليلا
فما خاب من لم يأته متعمدا ... ولا فاز من قد نال منه وصولا
ولا جعلت ارزاقنا بيد امرئ ... حمى بابه من ان ينال دخولا
اذا لم نجد للأذن عندك موضعا ... وجدنا الى ترك المجىء سبيلا

وقال ابن عبد ربه

اذا كنت تأتى المرء تعظم قدره ... ويجهل منك الحق فالهجر أوسع
وفى الناس أبدال وفى الهجر راحة ... وفى الناس عمن لا يواتيك مطمع

﴿ الوفاء والغدر ﴾

قال مروان بن محمد لعبد الحميد الكاتب حين أيقن بزوال ملكه : قد احتجت الى ان تصير مع عدوى وتظهر الغدر لى فان اعجابهم بأدبك وحاجتهم الى كتابتك تدعوهم الى حسن الظن بك فان استطعت أن تنفعنى فى حياتى والا لم تعجز عن نفع حرمى بعد مماتى فقال عبد الحميد : ان الذى أمرت به أنفع الأشياء لك وأقبحها بى وماعندى غير الصبر معك حتى يفتح الله عليك أو أقتل معك . لما قتل عبد الملك بن مروان عمرو بن سعيد بعد أن أمنه قال لرجل كان يستشيره ويصدر عن رأيه اذا ضاق به الامر : ما رأيك فى الذى كان منى قال : أمر قد فات دركه قال : لتقولن قال : حزم لو قتلته وحييت قال : أولست بحى قال : من وقف نفسه موقفا لا يوثق له بعهد ولا بعقد . قال عبد الملك ، كلام لو سبق سماعه فعلى لأمسكت

﴿ الولاية والعزل ﴾

قيل لعبد الله بن الحسن : ان فلانا غيرته الولاية قال : من ولى ولاية يراها أكثر منه تغير لها ومن ولي ولاية يرى نفسه أكبر منها لم يتغير لها.
أراد عمر بن الخطاب أن يستعمل رجلا فبادر الرجل فطلب منه العمل فقال له عمر : والله لقد كنت أردتك لذلك ولكن من طلب هذا الامر لم يُعَن عليه
وطلب العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم من النبي ولاية فقال : ياعم نفس تحيها خير من امارة لاتحصيها . وتقول النصارى : لانختار للجثلقة الازاهدا فيها غير طالب لها

الجثلقة منزلة الجاثليق وهو رئيس النصارى ببغداد (روم)

﴿ باب من أحكام القضاة ﴾

قال عمر بن عبد العزيز : اذا كان فى القاضى خمس خصال فقد كمل: علم بما كان قبله ونزاهة عن الطمع وحلم عن الخصم واقتداء بالائمة ومشاورة أهل العلم والرأى . وكتب عمر بن الخطاب الى أبي موسى الاشعرى وهو يلى القضاء له

« أما بعد فان القضاء فريضة محكمة وسنة متبعة فافهم اذا أُدلى اليك فانه لاينفع تكلم بحق لانفاذ له . آسِ بين الناس فى وجهك وعدلك ومجلسك حتى لايطمع شريف فى حيفك ولا ييأس ضعيف من عدلك . البينة على من ادعى واليمين على من أنكر والصلح جائز بين المسلمين الا صلحا أحل حراما أوحرم حلالا ولا يمنعك قضاء قضيته بالامس فراجعت فيه نفسك وهديت لرشدك ان ترجع عنه فان الحق قديم والرجوع الى الحق خير من

التمادى فى الباطل . الفهمَ الفهم عند ما يتلجلج فى صدرك مالم يبلغك به كتاب الله ولا سنةُ نبيه صلى الله عليه وسلم اعرف الامثال والاشباه وقس الامور عند ذلك ثم اعمد الى أحبها عند الله ورسوله وأشبهها بالحق واجعل للمدعى أمدا ينتهي اليه فان أحضر بينته أخذت له بحقه والا وجهت عليه القضاء فان ذلك أجلى للعمى وأبلغُ فى العذر . والمسلمون عدول بعضهم على بعض الا مجلوداً فى حد أو مجربا عليه شهادة زور أو ظَنيناً فى ولاء أو نسب فان الله تولى منكم السرائر ودرأ عنكم بالبينات ثم اياك والضجر بالناس والتنكر للخصوم فى الحقوق التى يوجب الله بها الأجر ويحسن بها الذخر فانه من يخلص نيته فيما بينه وبين الله وأقبل على نفسه يكفِه الله ما بينه وبين الناس ومن تزين للناس بما يعلم خلافه منه هتك الله ستره

الحروب

نحن قائلون بعون الله وتوفيقه فى الحروب ومدار أمرها وقَود الجيوش وتدبيرها وما على المدبر لها من أعمال الخدعة وانتهاز الفرصة والتماس الغرّة وإذكاء العيون وانشاء الطلائع واجتناب المضايق والتحفظ من الدسيسات هذا بعد معرفة أحكامها واحكام معرفته وطول تجربته لمقاساة الحروب ومعاناة الجيوش وعلمه أن لا درعَ كالصبر ولا حصن كاليقين ثم نذكر كرم اليقين ولؤم الفرار ومذموم مغبّته والله المعين

﴿ صفة الحروب ﴾

الحرب رحىً ثِفالها الصبر وقطبها المكر ومدارها الاجتهاد وثَقافها

الأناة وزمامها الحذر ولكل شئ من هذه ثمرة فثمرة المكر الظفر وثمرة الصبر التأييد وثمرة الاجتهاد الترفيق وثمرة الأناة اليمن وثمرة الحذر السلامة ولكل مقام مقال ولكل زمن رجال والحرب بين الناس سجال والصبر فيها أبلغ من القتال . قال عمر بن الخطاب لعمرو بن معدي كرب : صف لنا الحرب : قال مُرّة المذاق اذا كشفت عن ساق من صبر فيها عُرف ومن نكل عنها تلف . وفى حكمة سليمان عليه السلام : الشر حلو أوله مر آخره . والعرب تقول : الحرب غشوم لانها تنال غير الجانى

﴿ العمل فى الحروب ﴾

قيل لاكثم بن صيفى صف لنا العمل فى الحرب : قال أقلوا الخلاف على امرائكم فلا جماعة لمن اختلف عليه واعلموا ان كثرة الصياح من الفشل فتثبتوا فان احزم الفريقين الركين ورب عجلة تعقب ريثا وادّرعوا الليل فانه أخفى للويل وتحفظوا من البيات . وقال على رضى الله عنه : انتهزوا الفُرصة فانها تمر مر السحاب ولا تطلبوا أثراً بعد عين . وخرجت خارجة على قتيبة بن مسلم فأهمه ذلك فقيل له : مايهمك منهم وجه اليهم وكيع بن أبى سوْد فانه يكفيكهم فقال : لا ان وكيعا رجل به كِبر يتحاقر أعداءه ومن كان هكذا قلت مبالاته بأعدائه فلم يحترس منهم فيجد أعداؤه غِرّة منه . وقال الأحنف بن قيس : ان رأيت الشر يتركك ان تركته فاتركه قال هُدبة العُذرى

ولا أتمنى الشر والشر تاركي ... ولكن متي أحمل على الشر اركب
ولست بمفراح اذا الدهر سرنى ... ولا جازع من صرفه المتقلب

﴿ الصبر والاقدام فى الحروب ﴾

جمع الله تبارك وتعالى تدبير الحروب فى آيتين من كتابه فقال تعالى « يأيها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين » وتقول العرب : الشجاعة وقاية والجبن مقتلة واعتبر ذلك . أمَنْ يقتل مدبرا أكثر أم مَنْ يقتل مقبلا ؟ وكتب انوشروان الى مرازبته . عليكم بأهل السخاء والشجاعة فانهم أهل حسن الظن بالله . وقال حسّان ابن ثابت

ولسنا على الاعقاب تدمى كلومنا ولكن على أسيافنا تقطر الدما

وقيل للمهلب ابن أبي صُفْرَة : ما أعجب ما رأيت فى حرب الازارقة قال: فتى كان يخرج الينا منهم فى كل غداة فيقف فيقول

وسائلة بالغيب عنى ولو درت مقارعتى الابطال طال نحيبها
اذا ما التقينا كنت أول فارس يجود بنفس أثقلتها ذنوبها

ثم يحمل فلا يقوم له شئ الا أقعده فاذا كان الغد عاد الى مثل ذلك . وكان يزيد بن المهلب يتمثل كثيرا بشعر حُصين بن الحمام

تأخرت أستبقى الحياة فلم أجد لنفسى حياة مثل ان اتقدما

وكان مما يتمثل به معاوية رضى الله عنه يوم صفين

أبت لى شيمتى وأبى بلائى وأخذى الحمد بالثمن الربيح
واقدامى على المكروه نفسى وضربى هامة البطل المشيح

وقولى كلما جشأت وجاشت مكانك تحمدى أو تستريحى
لأدفع عن مآثر صالحات وأحيا بعدُ عن عرض صحيح

ومما يشجع الجبان قول عنترة

بكرت تخوفنى الحتوف كأننى أصبحت عن عرض المنون بمعزل
فأجبتها ان المنية منهل لا بد أن أسقى بكأس المنهل
فاقنى حياءك لا ابالك واعلمى انى امرؤ سأموت ان لم أقتل

ومن أحسن المحدثين تشبيها فى الحرب مسلم بن الوليد الأنصارىّ فى قوله ليزيد بن مزيد

تلق المنية في أمثال عُدّتها كالسيل يقذف جُلموداً بجلمود
تجود بالنفس اذ شح الضنين بها والجود بالنفس أقصى غاية الجود

﴿ فرسان العرب فى الجاهلية والاسلام ﴾

كان فارس العرب فى الجاهلية ربيعة بن مكدّم من بني فِراس بن غَنْم وكان بنو فراس أنجد العرب كان الرجل منهم يعدل عشرة من غيرهم وفيهم يقول على بن أبى طالب لأهل الكوفة : «من فاز بكم فقد فاز بالسهم الأخيب أبدلكم الله بى من هو شر لكم وأبدلني بكم من هو خير منكم وددت والله ان لى بجمعكم وأنتم مائة ألف ثلثمائة من بنى فراس بن غنم

ومن فرسان العرب فى الجاهلية عنترة الفوارس وعتيبة بن الحارث بن شِهاب وزيد الخيل وبسطام بن قيس . وفى الاسلام عبدالله بن خازم السُّلمى وعباد بن الحصين وقطَرِى بن الفجاءة صاحب الأزارقة وشبيب الحرورى .

بينا عبد الله بن خازم عند عبيد الله زياد اذ دخل جراد أبيض فعجب منه عبيد الله وقال : هل رأيت أبا صالح أعجب من هذا ونظره فاذا عبد الله قد تضاءل حتى صار كأنه فرخ وأصفرّ كأنه جراد ذكر فقال عبيد الله : أبو صالح يعصى الرحمن ويتهاون بالسلطان ويقبض على الثعبان ويمشى الى الليث ويلقى الرماح بنحره وقد اعتراه من جرادة ما ترون أشهد أن الله على كل شئ قدير

ورجال الانصار أشجع الناس قال عبد الله بن عباس : ما استلت السيوف ولا زحفت الزحوف ولا أقيمت الصفوف حتى أسلم ابنا قيلة وهم الأوس والخزرج

وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه اذ رأى همذان وغناءها فى الحرب يوم صفين

ناديت همدان والأبواب مطبقة … ومثل همدان سنّى فتحة الباب
كالهندوانى لم تفلل مضاربه … وجه جميل وقلب غير وجّاب

وقال ابن براقة الهمدانى

متى تجمع القلب الذكى وصارما … وأنفا حميّا تجتنبك المظالم

وكتب عمر بن الخطاب الى النعمان بن مقرن وهو على الصائفة أن استعن فى حربك بعمرو بن معد يكرب وطليحة الأسدى ولا تولهما من الأمر شيئاً فان كل صانع أعلم بصناعته

﴿ المكيدة فى الحرب ﴾

قال النبي صلى الله عليه وسلم : الحرب خدعة . وقال المهلب لبنيه : عليكم بالمكيدة فى الحرب فانها أبلغ من النجدة . وكان يقول أناة فى عواقبها فوت خير من عجلة فى عواقبها دَرَك . وفى كتاب للهند الحازم يحذر عدوه على كل حال يحذر المواثبة ان قرب والغارة ان بعد والكمين ان انكشف والاستطراد ان ولى . وكتب الحجاج الى المهلب يستعجله فى حرب الأزارقة فكتب اليه المهلب : ان من البلية أن يكون الرأى فى يد من يملكه دون من يبصره . وكان بعض أهل التمرين يقول لأصحابه شاوروا فى حربكم الشجعان من أولى العزم والجبناء من أولى الحزم فان الجبان لا يألو برأيه مايقى مهجكم والشجاع لا يعدو ما يشدّ بصائركم ثم خلصوا من بين الرأيين نتيجة تحمل عنكم معرة الجبان وتهور الشجعان فتكون أنفذ من السهم الزالج والحسام الوالج . وذكروا أن ملكا من ملوك العجم كان معروفا ببعد الغور ويقظة الفطنة وحسن السياسة وكان اذا أراد محاربة ملك من الملوك وجه اليه من يبحث عن أخباره وأخبار رعيته قبل أن يظهر محاربته فيكشف عن ثلاث خصال من حاله فكان يقول لعيونه : انظروا هل ترد على الملك أخبار رعيته على حقائقها أم يخدعه عنها المهدى ذلك اليه وانظروا الى الغنى فى أى صنف هو من رعيته أفيمن اشتد أنفه وقل شرهه ام فيمن قل انفه واشتدّ شرهه وانظروا من أى صنف رعيته القوام بأمره أمن ينظر الى يومه وغده أم من شغله يومه عن غده فان قيل له لا يخدع عن أخباره والغنى فيمن قل شرهه واشتد أنفه والقوام بأمره من ينظر الى يومه وغده قال اشتغلوا عنه بغيره وان قيل له

ضد ذلك قال نار كامنة تنتظر موقداً وأضغان مزملة تنتظر مخرجا اقصدوا له فلاحين أحين من سلامة مع تضييع ولا عدو أعدى من أمن أدى الى اغترار

﴿ وصايا أمراء الجيوش ﴾

لما وجه أبو بكر رضى الله عنه يزيد بن أبى سُفيان الى الشام شيّعه راجلا فقال له يزيد: إما أن تركب وإما أن أنزل فقال ما أنت بنازل وما أنا براكب انى احتسب خطاى هذه فى سبيل الله ثم قال: انك ستجد قوما حبسوا أنفسهم لله فذرهم وما حبسوا أنفسهم له (يعنى الرهبان) وستجد قوما فحصوا عن أوساط رؤسهم فاضرب ما فحصوا عنه بالسيف ثم قال له: انى موصيك بعشر لا تغدُر ولا تُمثّل ولا تقتل هرما ولا امرأة ولا وليداً ولا تعقرنّ شاة ولا بعيراً ألا ما اكلتم ولا تحرقن نخلا ولا تخربن عامرا ولا تغُل ولا تجبن. وقال أبو بكر لخالد بن الوليد: سر على بركة الله فاذا دخلت أرض العدوّ فكن بعيداً من الحملة فانى لا آمن عليك الجولة واستظهر بالزاد وسر بالادلاّء ولا تقاتل بمجروح فان بعضه ليس منه واحترس من البيات فان فى العرب غِرّة وأقلل من الكلام فانما لك ما وُعى عنك واقبل من الناس علانيتهم وكِلهم الى الله فى سريرتهم وأستودعك الله الذى لا تضيع ودائعه.

وكتب عمر بن الخطاب الى سعد بن أبى وقّاص رضى الله عنهما ومن معه من الأجناد

« أما بعد فانى آمرك ومن معك من الأجناد بتقوى الله على كل حال فان تقوى الله أفضلُ العُدة على العدو وأقوى المكيدة فى الحرب وآمرك

ومن معك أن تكونوا أشدّ احتراساً من المعاصى منكم من عدوكم فان ذنوب الجيش أخوفُ عليهم من عدوهم وانما ينصر المسلمون بمعصية عدوهم لله ولولا ذلك لم تكن لنا بهم قوه لأن عددنا ليس كعددهم ولا عُدّتنا كعدتهم فان استوينا فى المعصية كان لهم الفضل علينا فى القوة والاّ نُنصر عليهم بفضلنا لم نغلبهم بقوّتنا فاعلموا أن عليكم فى سيركم حفظة من الله يعلمون ماتفعلون فاستحيوا منهم ولا تعملوا بمعاصى الله وأنتم فى سبيل الله ولا تقولوا ان عدوّنا شر منا فلن يسلط علينا فربّ قوم سلط عليهم شر منهم كما سلط على بنى اسرائيل لما عملوا بمساخط الله كفار المجوس فجاسوا خلال الديار وكان وعداً مفعولا واسألوا الله العون على أنفسكم كما تسألونه النصر على عدوكم أسأل الله ذلك لنا ولكم وترفق بالمسلمين فى مسيرهم ولا تجشمهم مسيراً يتعبهم ولا تقصر بهم عن منزل يرفق بهم حتى يبلغوا عدوهم والسفر لم ينقص قوتهم فانهم سائرون الى عدو مقيم حامى الأنفس والكراع وأقم بمن معك فى كل جمعة يوما وليلة حتى تكون لهم راحة يحيون فيها أنفسهم ويرمون أسلحتهم وأمتعتهم ونح منازلهم عن قرى أهل الصلح والذمة فلا يدخلها من أصحابك الا من تثق بدينه ولا يرزأ أحدا من أهلها شيئاً فان لهم حرمة وذمة ابتليتم بالوفاء بها كما ابتلوا بالصبر عليها فما صبروا لكم فتولوهم خيراً ولا تستنصروا على أهل الحرب بظلم أهل الصلح واذا وطئت أرض العدو فأذكِ العيون بينك وبينهم ولا يخف عليك أمرهم وليكن عندك من العرب أو من أهل الأرض من تطمئن الى نصحه وصدقه فان الكذوب لا ينفعك خبره وان صدقك فى بعضه

والغاش عين عليك وليس عيناً لك وليكن منك عند دنوك من أرض المدو ان تكثر الطلائع وتبث السرايا بينك وبينهم فتقطع السرايا أمدادهم ومرافقهم وتتبع الطلائع عوراتهم وتَنَقَّ للطلائع أهل الرأى والبأس من أصحابك وتخير لهم سوابق الخيل فان لقوا عدواً كان أول ما تلقاهم القوة من رأيك واجعل أمر السرايا الى أهل الجهاد والصبر على الجلاد ولا تخص بها أحداً بهوى فتضيع من رأيك وأمرك اكثر مما حابيت به أهل خاصتك ولا تبعثن طليعة ولا سرية فى وجه تخوف فيه غلبة أو ضيعة ونكاية فاذا عاينت العدوّ فاضمم اليك أقاصيك وطلائعك وسراياك واجمع اليك مكيدتك وقوتك ثم لا تعاجلهم المناجزة مالم يستكرهك قتال حتى تبصر عورة عدوك ومقاتله وتعرف الأرض كلها كمعرفة أهلها فتصنع بعدوك كصنعه بك ثم أذك أحراسك على عسكرك وتيقظ من البيات جهدك ولا تؤتى بأسير ليس له عقد الا ضربت عنقه لترهب به عدو الله وعدوك والله ولى امرك ومن معك وولى النصر لكم على عدوكم والله المستعان »

استعمل معاوية على الصائفة عبد الرحمن بن خالد بن الوليد فلما كتب له عهده قال : ما أنت صانع بعهدى قال اتخذه اماما لا أعصيه قال أردد الى عهدى ثم بعث الى سفيان بن عَوف العامرى فكتب له عهده ثم قال له : ما أنت صانع بعهدى قال: اتخذه أماما امام الحزم فان خالفه خالفته فقال معاوية : هذا الذى لا يكفكف من عجلة ولا يدفع فى ظهره من خورَ ولا يضرب على لأمور ضرب الجمل الثفال

﴿ المحاماة عن العشيرة ومنع المستجير ﴾

قال عبد الملك بن مروان لجعيل بن علقمة التغلبي : ما بلغ من عزكم قال : لم يطمع فينا ولم نؤمن قال فما مبلغ حفاظكم قال يدفع الرجل منا عمن استجار به من غير قومه كدفاعه عن نفسه : قال عبد الملك مثلك يصف قومه . وقال عبد الملك لابن مستطاع العنبرى : أخبرنى عن مالك بن مسمع قال : لو غضب مالك لغضب معه مائة ألف سيف لا يسألونه فى أى شىء غضب قال عبد الملك : هذا والله السودد . وقال مروان بن أبى حفصة يمدح معن بن زائدة ويصف مفاخر بنى شيبان

هم القوم ان قالوا أصابوا وان دُعوا　　أجابوا وان أعطوا اطابوا وأجزلوا
هم يمنعون الجار حتى كأنما　　لجارهم بين السِما كين منزل

﴿ الجبن والفرار ﴾

قال عمرو بن معد يكرب : الفزعات ثلاث فمن كانت فزعته فى رجليه فذلك الذى لا تقله رجلاه ومن كانت فزعته فى رأسه فذلك الذى يفر عن أبويه ومن كانت فزعته فى قلبه فذلك الذى يقاتل . وقالت عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها : ان لله خلقا قلوبهم كقلوب الطير كلما خفقت الريح خفقت معها فأف للجبناء فأف للجبناء . وقال الشاعر

يفر جبان القوم عن أم نفسه　　ويحمى شجاع القوم من لا يناسبه
ويرزق معروف الجواد عدوه　　ويحرم معروف البخيل أقاربه

قال أبو عبيدة معمر بن المثنى : مااعتذر احد من الفرارين باحسن مما

اعتذر به الحارث بن هشَام حيث يقول

الله يعلم ما تركتُ قتالهم حتى علوا فرسى بأشقر مُزبد

ففررت عنهم والأحبة فيهم طمعاً لهم بعقاب يوم مُرْصَد

ومما يحتج به الفارون ماقاله صاحب كَليلة ودِمنة : ان الحازم يكره القتال ماوجد منه بدا لأن النفقة فيه من النفس والنَفقة فى غيره من المال

قيل لاعرابى ألا تغزو العدو : قال : وكيف يكونون لى عدوا وما أعرفهم ولا يعرفونى . وقيل لآخر : ألا تغزو العدو فقال والله انى لابغض الموت على فراشى فكيف أن أخبّ اليه ركضا . وليس يعاب الشجاع والبَهمة البطل بالفرة الواحدة تكون منه خاصة لاعامة كما قال زفر بن الحارث وفر يوم مرج راهط عن أخيه وأبيه

أيذهب يوم واحد ان أسأته بصالح أيامى وحسن بلائيا

ولم تر منى زلة قبل هذه فرارى وتركى صاحبى ورائيا

وقال عبد الله بن مُطيع بن الاسود العَدوى وكان فرّ يوم الحرّة من جيش مُسلم بن عُقْبة فلما كان أيام حصار الحجاج بمكة لعبد الله بن الزّبير جعل يقاتل أهل الشام ويقول

أنا الذي فررت يوم الحره والشيخ لايفر الا مره

فاليوم أجزى كرة بفره لا بأس بالكرة بعد الفرّه

ولم يزل يقاتل حتى قتل

﴿ فضائل الخيل ﴾

قال النبي صلى الله عليه وسلم فى الخيل : اعرافها أدفاؤها وأذنابها مَذَابّها

والخيل معقود فى نواصيها الخير الى يوم القيامة

﴿ صفة جياد الخيل ﴾

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستحب من الخيل الشقر . ووصف اعرابى فرسا فقال . اذا تركته نعس واذا حركته طار . سأل المهدى مطر ابن درّاج أىّ الخيل أفضل قال : الذى اذا استقبلته قلت نافر واذا استدبرته قلت زاخر واذا استعرضته قلت زاجر قال : فأىّ هذه أفضل قال : الذى طرفه أمامه وسوطه عنانه . وقال أبو عبيدة : يستدل على عتاقة الفرس برقة جحافله وأرنبته وسعة منخريه وعرى نواهقه ورقة حقويه وماظهر من أعالى ذنبه ورقة سالفته وأديمه وشعره وأبين من ذلك كله لين شكير ناصيته وعرفه

﴿ سوابق الخيل ﴾

كان هشام بن عبد الملك رجلا مسبقا لا يكاد يسبق فسبقت له فرس أنثى وصلت أختها ففرح لذلك فرحا شديداً وقال : علىّ بالشعراء قال أبو النجم : فدعينا فقيل لنا قولوا فى هذه الفرس وأختها فسأل أصحاب النشيد النظرة حتى يقولوا قلت : هل لك فى رجل ينقدك اذا استنسؤك قال : هات فقلت من ساعتي

أشاع للغرّاء فينا ذكرها | قوائم عوجٌ أطعن أمرها
وما نسينا بالطريق مُهرها | حتى نقيس قدره وقدرها
وصبره اذا عدا وصبرها | والماء يعلو نحره ونحرها

ملمومة شد المليك أزرها　　أسفلها وبطنها وظهرها

قد كاد هاديها يكون شطرها

قال أبو النجم : فأمر لي بجائزة وانصرفت . وقال أبو النجم يصف الحلبة

ثم سمعنا برهان نأمله　　قيد له من كل أفق جحفله

فقلت للسائس قُده أعجله　　واغد لعنّا في الرهان نرسله

نعلو به الحزن ولا نُسَهله　　اذا علا الاخشب صاح جندله

ترنم النوح يبكى مثكله　　كان في الصوت الذي يفصله

زمار دفّ يتغنى جُلْجُله　　حتى وردنا المصر يطوى قنبله

طي التجار العصب اذ تنخله　　وقد رأينا فعلهم فنفعله

نطويه والطى الرقيق نجزله　　نضمر الشحم ولسنا نهزله

حتى اذا الليل تولى أنجله　　واتبع الايدى منه أرجله

قمنا على هول شديد وجله　　نمد حبلا فوق خط نعدله

نقول قدم ذا وهذا أدخله　　وقام مشقوق القميص يعقله

فوق الخماسىّ قليلا يفضله　　أدرك عقلا والرهان عمله

حتى اذا أدرك خيلا مرسله　　ثار عجاج مستطير قسطله

تنفش منه الخيل مالا تغزله　　مرا يغطيها ومرا تجمله

مر القطا انصب عليه أجدله　　وهو رخىّ البال سام وَهَله

قدامها ميلا لمن يمثله　　تطيره الجن وحينا ترجله

تسبح أخراه ويطفو أوله　　ترى الغلام ساجيا ما يَرْكله

يعطيه ما شاء وليس يسأله　　كأنه من زبد يسربله

فى كرسف النداف لولا بلله تخال مسكا عله معلله
ثم تناولنا الكلام نتزله عن مفرع الكتفين حلو عطله
منتفخ الجوف عريض كلكله فوافت الخيل ونحن نشكله
والجن عكاف به تقبله

﴿ فى الحلبة والرهان ﴾

الحلبة مجمع الخيل وهو من قولك حلب بنو فلان على بنى فلان وأحلبوا اذا اجتمعوا والحلب الحبل الذى يمد عند الارسال للقبض والمنصبة الخيل حين تنصب للارسال وأصل الرهان من الرهن كان الرجل يراهن صاحبه فى المسابقة يضع هذا رهنا وهذا رهنا فأيهما سبق فرسه أخذ رهنه ورهن صاحبه وهذا كان من أمر الجاهلية . وهو القمار المنهى عنه فان كان الرهن من أحدهما بشئ مسمى على انه ان سبق لم يكن له شئ وان سبقه صاحبه أخذ الرهن فهذا حلال لأن الرهن انما هو من أحدهما دون الآخر وكذلك ان جعل كل واحد منهما رهنا وأدخلا بينهما محللا وهو فرس ثالث يكون مع الأولين ويسمى أيضا الدخيل ولا يجعل لصاحب الثالث شئ ثم يرسلون الافراس الثلاثة فان سبق أحد الأولين أخذ رهنه ورهن صاحبه فكان له طيبا وان سبق الدخيل اخذ الرهنين جميعا وان سُبق هو لم يكن عليه شئ ولا يكون الدخيل الا رائعا جواداً لا يأمنان أن يسبقهما والا فهذا قمار كأنهما لم يدخلا بينهما محللا

قال الاصمعى : السابق من الخيل الأول والمصلى الثانى الذى يتلوه

قال : وانما قيل له مصلّ لأنه يكون عند صَلَوى السابق وهما جانبا ذنبه عن يمينه وشماله ثم الثالث والرابع لا اسم لواحدمنهما الى العاشر فانه يسمى سكّيتا وكان من شأنهم أن يمسحوا على وجه السابق قال جرير

اذا شئتم أن تمسحوا وجـه سابق جواد فمدوا فى الرهان عنانيا

﴿ وصف السلاح ﴾

كان درع علىّ صدراً لا ظهر لها فقيل له فى ذلك فقال : اذا استمكن عدوى من ظهرى فلا يبق . بعث عمر بن الخطاب الى عمرو بن معدى كرب أن يبعث اليه بسيفه المعروف بالصّمصامة فبعث به اليه فلما ضرب به وجده دون ما كان يبلغه عنه فكتب اليـه فى ذلك فرد عليه « انما بعثت الى أمير المؤمنين بالسيف ولم أبعث بالساعد الذى يضرب به » وسأله عمر بن الخطاب يوما عن السـلاح فقال : يسـأل أمير المؤمنـين عما بدا له قال : ما تقول فى التّرس قال : هو المِجَنّ وعليه تدور الدوائر . قال : فما تقول فى الرمح قال: أخوك وربما خانك فانقصف قال : فالنّبل قال : منايا تخطىء وتصيب قال : فما تقول فى الدرع قال : مَثقلة للراجـل مشغلة للفارس وانها لحصن حصين قال : فما تقول فى السيف قال : هنالك لا أم لك ياأمـير المؤمنين فضربه عمر بالدِّرّة وقال : بل لا أم لك قال : الحمى أضرعتنى للنوم (مثـل يضرب فى الذل عند الحاجة)

وبلغ أبا الأغر أن أصحابه بالبادية وقع بينهم شرّ فوجه ابنه الأغر وقال: يابنى كن يداً لاصحابك على من قاتلهم واياك والسيف فانه ظل الموت واتق

الرمح فانه رشاء المنيـة ولا تقرب السهام فانها رسل لا تؤامر مرسلها قال : فبماذا أقاتل قال : بما قال الشاعر

جلاميد يملأن الأكف كأنها رءوس رجال حلّقت بالمواسم

﴿ النزع بالقوس ﴾

حدث العُتبي عن بعض أشياخه قال : كنت عند المهاجر بن عبد الله والى اليمامـه فأتى باعرابي كان معروفا بالسرقة فقال له : أخـبرنى عن بعض عجائبك قال : عجائبي كثيرة ومن أعجبها انه كان لى بعير لا يسبق وكانت لى خيل لا تلحق فكنت أخرج فلا أرجع خائبا فخرجت فاحترشت ضبا فعلقته على قتبي ثم مررت بخباء ليس فيه الا عجوز فقلت يجب أن يكون لهذه رائحة من غنم وابل فلما أمسيت اذا بابل واذا شيخ عظيم البطن شثن الكفين ومعه عبد اسود فلما رآني رحب بى ثم قام الى ناقة فاحتلبها وناولنى العلبة فشربت مايشرب الرجل فتناول الباقى فضرب بها جبهته ثم احتلب تسع اينق فشرب ألبانهن ثم نحر حُوَاراً فطبخه فأكلت شيئا وأكل الجميع حتى ألقى عظامه بيضا وجثا على كومة وتوسدها ثم غط غطيط البكر فقلت هذه والله الغنيمة ثم قمت الى فحل ابله فخطمته ثم قرنته ببعيرى وصحت به فاتبعنى واتبعته الابل إرْباً إرْباً فى قطار فصارت خلفى كأنها حبل ممدود فمضيت أبادر ثَنِيّة بينى وبينها مسيرة ليلة للمسرع ولم أزل أضرب بعيرى مرة بيدى ومرة برجلى حتى طلع الفجر فأبصرت الثنية واذا عليها سواد فلما دنوت منه اذا الشيخ قاعد وقوسه فى حجره فقال : أضيفنا قلت نعم قال : استخر نفسك عن هـذه الابل

قلت : لا فأخرج سهما كأنه لسان كلب ثم قال : انظره بين أذنى الضب المعلق فى القتب ثم رماه فصدع عظمه عن دماغه فقال لى : ماتقول قلت : أنا على رأيى الاول قال : انظر هذا السهم الثانى فى فقرة ظهره الوسطى ثم رمى به فكأنما قدره بيده ثم قال : رأيك فقلت انى أحب أن أستثبت قال : انظر هذا السهم الثالث فى عكوة ذنبه والرابع والله فى بطنك ثم رماه فلم يخط العكوة قلت : أنزل آمنا قال : نعم فدفعت اليه خطام نخله وقلت : هذه ابلك لم تذهب منها وبرة وأنا أنظر متى يرميني بسهم يقصد به قلبي فلما تباعدت قال : أقبل فأقبلت والله فرقا من شره لا طمعا فى خيره فقال : ما أحسبك تجشمت الليلة ما تجشمت الا من حاجة قلت : نعم قال . فاقرن من هذه الابل بعيرين وامض لطيّتك قال : قلت أما والله لا أمضى حتى أخبرك عن نفسك فلا والله ما رأيت اعرابيا أشد ضرسا ولا أعدى رجلا ولا أرمى يدا ولا أكرم عفوا ولا أسخى نفسا منك فصرف وجهه عنى حياء وقال : خذ الابل برمتها مباركا لك فيها

وروى عُقبة بن عامر قال . سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وهو قائم على المنبر : وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ألا ان القوة الرمى ألا ان القوة الرمى ألا ان القوة الرمى وكان أرمى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم سعد بن أبى وقاص لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا له فقال: اللهم سدد رميته واجب دعوته فكان لا يرد له دعاء ولا يخيب له سهم

﴿ مشاورة المهدى لاهل بيته فى حرب خُراسان ﴾

استشار المهدي اهل بيته فى حرب خراسان لما كسروا الخراج وطردوا

العمال وسألوا ماليس لهم من الحق ثم خلطوا احتجاجا باعتذار وخصومة باقرار وتنصلا باعتلال وكان من بينهم ابنه علىّ فقال له : أيها المهدي ان أهل خراسان لم يخلعوا عن طاعتك ولم ينصبوا من دونك أحداً يكدح فى تغيير ملكك ويروض الامور لفساد دولتك ولو فعلوا لكان الخطب أيسر والشأن أصغر والحال أذل لان الله مع حقه الذى لا يخذله وعند موعده الذى لا يخلفه ولكنهم قوم من رعيتك وطائفة من شيعتك الذين جعلك الله عليهم واليا وجعل العدل بينك وبينهم حا كما طلبوا حقا وسألوا انصافا فان أجبت الى دعوتهم ونفست عنهم قبل أن يتلاحم منهم حال أو يحدث من عندهم فتق أطعت أمر الرب وأطفأت نائرة الحرب ووفرت خزائن المال وطرحت تغرير القتال وحمل الناس محمل ذلك على طبيعة جودك وسجية حلمك واسجاح خليقتك ومعدلة نظرك فأمنت أن تنسب الى ضعف وأن يكون ذلك فيما بقى دُربة وأن منعتهم ماطلبوا ولم تجبهم ماسألوا اعتدلت بك وبهم الحال وساويتهم فى ميدان الخطاب فما أرب المهدى أن يعمد الى طائفة من رعيته مقرين بمملكته مذعنين بطاعته لا يخرجون أنفسهم عن قدرته ولا يبرئونها من عبوديته فيملكهم أنفسهم ويخلع نفسه عنهم ويقف على الحبل معهم ثم يجازيهم السوء فى حد المنازعة ومضمار المخاطرة أيريد المهدي وفقه الله الاموال فلعمرى لا ينالها ولا يظفر بها الا بانفاق أكثر مما يطلب منهم وأضعاف مايدعى قبلهم ولو نالها فحملت اليه أو وضعت بخرائطها بين يديه ثم تجافى لهم عنها وطال عليهم بها لكان مما اليه ينسب وبه يعرف من الجود الذى طبعه الله عليه وجعل قرة عينه ونهمة نفسه فيه فان قال المهدى : هذا رأى مستقيم سديد فى أهل

الخراج الذين شكوا ظلم عمالنا وتحامل ولاتنا فأما الجنود الذين نقضوا مواثيق العهود وأنطقوا لسان الارجاف وفتحوا باب المعصية وكسروا قيد الفتنة فقد ينبغي لهم ان أجعلهم نكالا لغيرهم وعظة لسواهم فيعلم المهدى انه لو أتى بهم مغلولين في الحديد مقرّنين في الأصفاد ثم اتسع لحقن دمائهم عفوه ولاقالة عثرتهم صفحه واستبقاهم لما هم فيه من حزبه أو لمن بازائهم من عدوه لما كان بدعا من رأيه ولا مستنكراً من نظره لقد علمت العرب انه أعظم الخلفاء والملوك عفواً وأشدها وقعاً وأصدقها صولة وأنه لا يتعاظمه عفو ولا يتكاءده صفح وان عظم الذنب وجل الخطب فالرأى للمهدى وفقه الله تعالى أن يحل عقدة الغيظ بالرجاء لحسن ثواب الله في العفو عنهم وأن يذكر أولى حالاتهم وضيعة عيالاتهم براً بهم وتوسعاً لهم فانهم اخوان دولته وأركان دعوته وأساس حقه الذين بعزتهم يصول وبحجتهم يقول وانما مثلهم فيما دخلوا فيه من مساخطه وتعرضوا له من معاصيه وانطووا فيه عن اجابته ومثله في قلة ماغير ذلك من رأيه فيهم أو نقل من حاله لهم أو غير من نعمته بهم كمثل رجلين أخوين متناصرين متوازرين أصاب أحدهما خبل عارض ولهو حادث فنهض الى أخيه بالأذى وتحامل عليه بالمكروه فلم يزدد أخوه الا رقة له ولطفا به واحتيالا لمداواة مرضه ومراجعة حاله عطفا عليه وبرا به ومرحمة له.

الأجواد والأصفاد

قال ابن عبد ربه : قد مضى قولنا فى الحروب وما يدخلها من النقص والكمال وتقدم الرجال على منازلهم من الصبر والجلد والعدّة والعدد ونحن قائلون بعون الله وتوفيقه فى الأجواد والأصفاد اذ كان أشرفَ ملابس الدنيا وأزين حللها وأدفعها لذم وأسترها لعيب كرمُ طبيعة يتحلى بها السمح السرى والجواد السخى ولو لم يكن فى الكرم الا أنه صفة من صفات الله تعالى تسمّى بها فهو الكريم عز وجل ومن كان كريما من خلقه فقد تسمّى باسمه واحتذى على صفته قال النبي صلى الله عليه وسلم : اذا أتاكم كريم قوم فأكرموه . وقال الحسن والحسين لعبد الله بن جعفر : انك قد أسرفت فى بذل المال قال : بأبى أنتما ان الله قد عودنى أن يتفضل علىّ وعودته أن أتفضل على عباده فأخاف أن أقطع العادة فيقطع عنى

﴿ مدح الكرم وذم البخل ﴾

قال النبي صلى الله عليه وسلم : اصطناع المعروف يقى مصارع السوء وقال : ان الله يحب الجود ومكارم الأخلاق ويكره سفسافها . وقال أكثم ابن صيفى : ذللوا أخلاقكم للمطالب وقودوها الى المحامد وعلموها المكارم ولا تقيموا على خُلق تذمونه من غيركم وصلوا من رغب اليكم وتحلوا بالجود يلبسكم المحبة ولا تعتادوا البخل فتتعجلوا الفقر . وكان سعيد بن العاص يقول على المنبر : من رزقه الله رزقا حسنا فلينفق منه سراً وجهراً حتى يكون أسعد الناس . فانما يترك ما ترك لأحد رجلين إما لمصلح فلا يقل

عليه شيء وإما المفسد فلا يبقى له شيء . وقال أبو ذر : ان لك فى مالك شريكين الحدثان والوارث فان استطعت أن لا تكون أبخس الشركاء فافعل .

وقال الانصارى

أوصيكم بالله أول وهلة ‏ ‏ وأحسابكم والبر بالله أول
وان قومكم سادوا فلا تحسدوهم ‏ ‏ وان كنتم اهل السيادة فاعدلوا
وان انتم أعوزتم فتعففوا ‏ ‏ وان كان فضل المال فيكم فأفضلوا

وأنشد لابن عباس رضى الله عنهما

اذا طارقات الهم ضاجعت الفتى ‏ ‏ واعمل فكر الليل والليل عاكر
وباكرنى فى حاجة لم يجد لها ‏ ‏ سواى ولا من نكبة الدهر ناصر
فرجت بمالى همه عن خناقه ‏ ‏ وزايله الهم الطروق المساور
وكان له فضل علىّ بظنه ‏ ‏ بى الخير انى للذى ظن شاكر

وقال ارسطاطاليس : من انتجعك من بلاده فقد ابتدأك بحسن الظن بك والثقة بما عندك

﴿ الترغيب في حسن الثناء واصطناع المعروف ﴾

قال النبى صلى الله عليه وسلم : اذا أردتم أن تعلموا ما للعبد عند ربه فانظروا ما يتبعه من حسن الثناء . وقيل لبعض الحكماء : ما أفادك الدهر قال : العلم به قيل : فما أحمد الاشياء قال : أن تبقى للانسان احدوثة حسنة . وقال الاحنف بن قيس : ما ادخرت الآباء للابناء ولا أبقت الموتى للاحياء شيئا أفضل من اصطناع المعروف عند ذوى الاحساب . وقال ابراهيم

السِنْدى : قلت لرجل من أهل الكوفة ومن وجوه أهلها كان لايجف لبدُه ولا يستريح قلبه ولا تسكن حركته فى طلب حوائج الرجال وادخال المرافق على الضعفاء : أخبرنى عن الحالة التى خففت عليك النّصب وهوّنت عليك التعب فى القيام بحوائج الناس ماهى قال : والله سمعت تغريد الطير بالاسحار فى فروع الاشجار وسمعت خفق أوتار العيدان وترجيع أصوات القيان فما طربت من صوت قط طربى من ثناء حسن بلسان حسن على رجل قد أحسن ومن شكر حر لمنعم حر ومن شفاعة مُحتسب لطالب شاكر . قال ابراهيم : لله أبوك لقد حشيت كرما

﴿ الجود مع الاقلال ﴾

قال الله تبارك وتعالى فيما حكاه عن الأنصار : ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خَصاصة ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون . وقال عليه السلام . أفضل العطية جهد المقِل . وقال حبيب للحسَن بن وهب الكاتب وقد أهدى اليه قلما

قد بعثنا اليك أكرمك الله ... بشىء فكن له ذا قبول
لاتقسه الى جدا كفك الغمـ ... ـرا ولا نيلك الكثير الجزيل
واستجز قلة الهدية منى ... انّ جهد المقل غيرُ القليل

(العطية قبل السؤال)

قال اكثم بن صيفى : كل سؤال وان قل أكثر من كل نوال وان جل . وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه لأصحابه : من كانت له الى

منكم حاجة فليرفعها في كتاب لأصون وجوهكم عن المسئلة . وقالوا : السخى من كان مسرورا ببذله متبرعا بعطائه لا يلتمس عرَضَ دنيا فيَحْبَط عمله ولا طلب مكافأة فيسقط شكره ويكون مثله فيما أعطى مثل الصائد يلقى الحب للطائر لا يريد نفعه ولكن نفع نفسه . قال بشّار

مالكى تنشق عن وجهه الحر ب كما انشقت الدجا عن ضياء
لنُفَاخ السماء فيض يديه لقريب ونازح الدار ناء
ليس يعطيك للرجاء ولا الخو ف ولكن يلذ طعم العطاء
لا ولا أن يقال شيمته الجو د ولكن طبائع الآباء

﴿ استنجاح الحوائج ﴾

قال النبي صلى الله عليه وسلم : استعينوا على حوائجكم بالكتمان فان كل ذى نعمة محسود : وقال خالد بن صفوان : لا تطلبوا الحوائج فى غير حينها ولا تطلبوها من غير أهلها فان الحوائج تطلب بالرجاء وتدرك بالقضاء وقال : مفتاح نُجْح الحاجة الصبر على طول المدة ومغلاقها اعتراض الكسل دونها . قال الشاعر .

لا تيأسن وان طالت مطالبة اذا تضايق أمر أن ترى فرجا
أخلق بذى الصبر أن يحظى بحاجته ومُدْمِنِ القرع للابواب أن يَلِجا

﴿ استنجاز المواعد ﴾

من أمثالهم أنجز حر ماوعد . وقال ابن شهاب : حقيق على من أورق بوعد أن يثمر بفعل . وقال ابن أبي حاتم

اذا قلت في شيء نعم فأتمه ... فان نعم دين على الحر واجب
والا فقل لا تسترح وترح بها ... لئلا يقول الناس انك كاذب

ولو لم يكن فى خلف الوعد الا قوله عز وجل : يأيها الذين آمنوا لِمَ تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون . قال عبدالصمد ابن الفضل الرّقاشى

أخالد ان الرّى قد أجحفت بنا ... وضاق علينا رحبها ومعاشها
وقد أطمعتنا منك يوما سحابة ... أضاءت لنا برقا وأبطا رشاشها
فلا غيمها يصحو فييأس طامع ... ولا ماؤها يأتى فيروى عطاشها

وقال المهلب لبنيه : اذا غدا عليكم الرجل وراح مسلما فكفى بذلك تقاضيا

﴿ لطيف الاستمناح ﴾

قالت الحكماء : لطيف الاستمناح سبب النجاح والأنفس ربما انطلقت وانشرحت بلطيف السؤال وانقبضت وامتنعت بجفاء السائل كما قال الشاعر

وجفوتنى فقطعت عنك فوائدى ... كالدر يقطعه جفاء الحالب

وقال العتّابى : ان طلبتَ حاجة الى ذى سلطان فأجمل فى الطلب اليه واياك والالحاح عليه فان الحاجة تكلم عرضك وتريق ماء وجهك فلا تأخذ منه عوضا لما يأخذ منك ولعل الالحاح يجمع عليك اخلاق ماء الوجه وحرمان النجاح فانه ربما مل المطلوب اليه حتى يستخف بالطالب . وقال الحسن بن هانىء

تأنَّ مواعيد الكرام فربما حملتَ على الالحاح سمحا على بخل

قدم عبد الله بن زُرارة الكلابى على أمير المؤمنين معاوية فقال : انى لم أزل أهز ذوائب الرحال فلم أجد معولا الا عليك امتطى الليل بعد النهار وأسم المجاهل بالآثار يقودنى اليك أمل وتسوقنى بلوى واذا بلغتك فقطنى فقال : احطط عن رحلك . أتى رجل الى حاتم الطائى فقال : انه قد وقعت بيننا وبين قوم ديات فاحتملتها فى مالى وأملى فقدمت مالى وكنتَ أملى فان تحملها فرب هم قد فرجته وغم كفيته ودين قضيته وان حال دون ذلك حائل لم أذم يومك ولم أيأس من غدك فحملها عنه . قال الاصمعى : كنت عند الرشيد اذ دخل عليه ابراهيم الموصلى فأنشده

وآمرة بالبخل قلت لها اقصرى فليس الى ما تأمرين سبيل
فعالى فعال المكثرين تجملا ومالى كما قد تعلمين قليل
وكيف أخاف الفقر أو أحرم الغنى ورأى أمير المؤمنين جميل

فقال لله أبيات تأتينا بها ما أحسن أصولها وأبين فصولها وأقل فضولها ياغلام أعطه عشرين ألفا . قال : والله لا أخذت منها درهما قال . ولم قال . لأن كلامك والله يا أمير المؤمنين خير من شعرى قال . أعطوه أربعين ألفا قال الاصمعى . فعلمت انه أصيد لدراهم الملوك منى

﴿ الأخذ من الأمراء ﴾

قال أبو الخلال : سألت عثمان بن عفان عن جائزة السلطان فقال : لحم طرىّ ذكىّ . وكان النبى صلى الله عليه وسلم يلبس خفين اسودين أهداهما اليه

النجاشيّ ملك الحبشة . وقال رجل لابراهيم بن أدهم : يا أبا اسحاق كنت أريد أن تقبل مني هذه الجبة كسوة قال : ان كنتَ غنيا قبلتها منك وان كنت فقيرا لم أقبلها منك قال : فاني غني قال : وكم مالك قال : ألفا دينار قال : فأنت تود انها أربعة آلاف . قال : نعم . قال : فأنت فقير لا أقبلها منك وقد فخرت العرب بأخذ جوائز الملوك فقال ذو الرمة

وما كان مالى من تراث ورثته ... ولا دية كانت ولا كسب مأثم

ولكن عطاء الله من كل رحلة ... الى كل محجوب السرادق خضرم

﴿ تفضيل بعض الناس على بعض فى العطاء ﴾

قال عمر بن الخطاب وقد أعطى رجلا من الفقراء ألف دينار : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول . اذا أعطيت فأغن

﴿ شكر النعمة ﴾

قالوا : كفر النعمة يوجب زوالها وشكرها يوجب المزيد فيها . وجاء فى الحديث : من نشر معروفا فقد شكره ومن ستره فقد كفره . وقال ابن عباس : لو أن فرعون مصر أسدى الي يداً صالحة لشكرته عليها : وقالوا : اذا قصرت يدك عن المكافأة فليطل لسانك بالشكر . وسمع النبي صلى الله عليه وسلم عائشة تنشد أبيات زهير بن جَناب

ارفع ضعيفك لا يَحُرْ بك ضعفه ... يوما فتدركه عواقب ما جنى

يجزيك أو يثني عليك فانّ من ... أثنى عليك بما فعلت فقد جزى

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : صدق يا عائشة لا شكر الله من لم يشكر

الناس . وقال الشاعر

سأشكر عمراً ما تراخت منيتي   أيادىَ لم تمنَنْ وان هي جلت
فتى غيرُ محجوب الغنى عن صديقه   ولا مظهرِ الشكوى اذا النعل زلت

﴿ قلة الكرام ﴾

قال النبي صلى الله عليه وسلم : الناس كابل مائة لا تكاد تجد فيها راحلة . وقال الشاعر

تعيرنا أنا قليل عديدنا   فقلت لها ان الكرام قليل
وما ضرنا أنا قليل وجارنا   عزيز وجار الاكثرين ذليل

﴿ من جاد أولا وضن آخراً ﴾

كان يزيد بن منصور يُجرى على بشّار وظيفةً فى كل شهر ثم قطعها عنه فقال :

أبا خالدٍ ما زلت سابح غمرةٍ   صغيرا فلما شبت خيمت بالشاطى
جريت زمانا سابقا ثم لم تزل   تأخر حتى جئت تقطو مع القاطى
كسِنَّورِ عبد الله بيع بدرهم   صغيراً فلما شب بيع بقيراط

﴿ من ضن أولا ثم جاد آخرا ﴾

قدم الحارث بن خالد المخزومي على عبد الملك فلم يصله فرجع وقال فيه

صحبتك اِذ عينى عليها غشاوة   فلما انجلت قطعت نفسى أذيمها
حبست عليك النفس حتى كأنما   بكفيك يجرى بؤسها ونعيمها

فبلغ قوله عبد الملك فأرسل اليه فرده وقال : أرأيت عليك غضاضة من مقامك ببابي قال : لا ولكنى اشتقت الي أهلى ووطنى ووجدت فضلا من القول فقلت وعلىّ دين لزمنى قال : وكم دينك قال : ثلاثون ألفا فولاه مكة

﴿ من مدح أميرا فخيبه ﴾

قال سعيد بن سَلْم : مدحنى اعرابى فأبلغ فقال

ألا قل لسارى الليل لا تخش ضلة — سعيد بن سلم نور كل بلاد
لنا سيد أربى على كل سيد — جواد حثا فى وجه كل جواد

قال . فتأخرت عنه قليلا فهجانى فأبلغ فقال

لكل أخى مدح ثواب علمته — وليس لمدح الباهلىّ ثواب
مدحت سعيدا والمديح مهزة — فكان كصفوان عليه تراب

وقال آخر فى هذا المعنى

لئن أخطأت فى مدحيـــك ما أخطأت فى منعى
لقد أنزلت حاجاتى بواد غير ذى زرع

ومدح رَبيعة الرَّقي يزيد بن حاتم الأزدِيَ وهو والى مصر فاستبطأه ربيعة فشخص عنه من مصر وقال

أرانى ولا كفران لله راجعا — بخفى حنين من نوال ابن حاتم

فبلغ قوله يزيد بن حاتم فأرسل فى طلبه فرد اليه فلما دخل عليه قال : أنت القائل : أرانى ولا كفران لله راجعا : قال : نعم قال : فهل قلت غير

هذا قال : لا قال : فوالله لترجعن بخفي حنين مملوءتين مالا فأمره بخلع نعليه وملئتا مالا فقال فيه لما عزل عن مصر وولى يزيد بن حاتم السلمى مكانه

لشتان مابين اليزيدين فى الندى ... يزيد سليم والأغر ابن حاتم
فهم الفتى الأزدى انفاق ماله ... وهم الفتى القيسى جمع الدراهم
فلا يحسب التمتام انى هجوته ... ولكننى فضلت أهل المكارم

(أجواد أهل الجاهلية)

الذين انتهى اليهم الجود فى الجاهلية ثلاثة نفر حاتم بن عبد الله الطائى وهرم بن سنان المرى وكعب بن مامة الايادى ولكن المضروب به المثل حاتم وحده وهو القائل لغلامه يسار وكان اذا اشتد البرد وكلب الشتاء أمر غلامه فأوقد ناراً فى يفاع من الارض لينظر اليها من أضل الطريق فيصمد نحوه فقال فى ذلك

أوقد فان الليل ليل قر ... والريح ياواقد ريح صر
عل يرى نارك من يمر ... ان جلبت ضيفاً فانت حر

ولحاتم بن عبد الله

أماوى قد طال التجنب والهجر ... وقد عذرتنا فى طلابكم العذر
أماوى ان المال غاد ورائح ... ويبقى من المال الاحاديث والذكر
أماوى إما مانع فمبين ... واما عطاء لا ينهنهه الزجر
أماوى انى لا أقول لسائل ... اذا جاء يوما حل فى مالى النذر
أماوى مايغنى الثراء عن الفتى ... اذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر

أماوى أن يصبح صداى بقفرة ... من الارض لاماء لدىّ ولا خمر
ترى ان ما أنفقت لم يك ضرنى ... وأن يدى مما بخلت به صفر
اذا أنا دلانى الذين يلوننى ... بمظلمة زلج جوانبها غبر
وراحوا سراعا ينفضون اكفهم ... يقولون قد أدمى اظافرنا الحفر
اماوى ان المال اما بذلته ... فأوله شكر وآخره ذكر
وقد يعلم الاقوام لو أن حاتما ... اراد ثراء المال كان له وفر
فانى وجدى ربّ واحد أمه ... أجرت فلا قتل عليه ولا أسر
ولا أظلم ابن العم ان كان اخوتى ... شهودا وقد أودى باخوته الدهر
غنينا زمانا بالتصعلك والغنى ... وكل سقاناه بكاسيهما الدهر
فما زادنا بأوا على ذى قرابة ... غنانا ولا أزرى بأحلامنا الفقر

واما هرم بن سنان فهو صاحب زُهَير الذى يقول فيه

ان تلق يوما على علاته هرما ... تلق السماحة منه والندى خلقا

وفى بنى سنان يقول زهير

قوم أبوهم سنان حين تنسبهم ... طابوا وطاب من الاولاد ما ولدوا
لو كان يقعد فوق الشمس من كرم ... قوم بأولهم أو مجدهم قعدوا
جنّ اذا فزعوا أنس اذا أمنوا ... مرزّءون بهاليل اذا قصدوا
محسّدون على ما كان من نعم ... لا ينزع الله عنهم ماله حسدوا

وأما كعب بن مامة فلم يأت عنه الا ماذكر من ايثاره رفيقه السعدى بالماء حتى مات عطشا ونجا السعدى وهذا أكثر من كل ما أثنى لغيره

﴿ أجواد أهل الاسلام ﴾

أجواد الحجاز ثلاثة فى عصر واحد عبيدالله بن عباس وعبد الله بن جعفر وسعيد بن العاص : فمن جود عبيد الله أنه أول من فطر جيرانه . وأول من وضع الموائد على الطرق . وأول من حيّا على طعامه . وأول من أنهبه . وفيه يقول شاعر المدينة

وفي السنة الشهباء أطعمت حامضا وحلوا ولحما تامكا وممزعا
وأنت ربيع لليتامى وعصمة اذا المحل من جو السماء تطلعا
أبوك أبو الفضل الذى كان رحمة وغوثا ونورا للخلائق أجمعا

ومن جوده أنه أتاه سائل وهو لايعرفه فقال له : تصدق فانى نبئت أن عبيد الله بن عباس أعطى سائلا ألف درهم واعتذر اليه فقال له : وأين أنا من عبيد الله قال : أين أنت منه فى الحسب أم كثرة المال قال : فيهما قال : أما الحسب فى الرجل فمروءته وفعله واذا شئت فعلت واذا فعلت كنت حسيبا فأعطاه ألفى درهم واعتذر اليه من ضيق الحال فقال له السائل : ان لم تكن عبيد الله بن عباس فأنت خير منه وان كنته فأنت اليوم خير منك أمس فأعطاه ألفا أخرى فقال السائل : هذه هِزّة كريم حسيب والله لقد نقرت حبة قلبي فأفرغتها فى قلبك فما أخطأت الا باعتراض الشد من جوانحى

ومن جود عبد الله بن جعفر انه أعطى امرأة سألته مالا عظيما فقيل له:

انها لا تعرفك وكان يرضيها اليسير قال : ان كان يرضيها اليسير فانى لا أرضى الا بالكثير وان كانت لاتعرفنى فانى أعرف نفسى

ومن جود سعيد بن العاص أن معاوية كان يديل بينه وبين مروان بن الحكم فى ولاية المدينة فكان مروان يقارضه فلما دخل على معاوية قال له: كيف تركت أبا عبد الملك يعنى مروان قال : تركته منفذاً لأمرك مصلحا لعملك قال معاوية . انه كصاحب الخبزة كُفى انضاجها فأكلها قال : كلا يا أمير المؤمنين انه من قوم لا يأكلون الا ما حصدوا ولا يحصدون الا ما زرعوا قال . فما الذى باعد بينك وبينه قال خفته على شرفى وخافنى على مثله قال . فاى شئ كان له عندك قال أسوأه حاضراً وأسره غائبا قال . ياأبا عثمان تركتنا فى هذه الحروب قال . حملت الثقل وكفيت الحزم قال . فما أبطأ بك قال غناك عنى أبطأ بى عنك وكنت قريبا لو دعوت لأجبناك ولو أمرت لا طعناك قال . ذلك ظننا بك فأقبل معاوية على أهل الشام فقال. ياأهل الشام هؤلاء قومى وهذا كلامهم ثم قال. أخبرنى عن مالك فقد نبئت انك تتحرى فيه قال . ياأمير المؤمنين لنا مال يخرج لنا منه فضل فاذا كان ما خرج قليلا أنفقناه على قلته وان كان كثيرا فكذلك غير انا لا ندخر منه شيئا عن معسر ولا طالب ولا مستحمل ولا نستأثر منه بفلذة لحم ولا مُزعة شحم قال . فكم يدوم لك هذا قال . من السنة نصفها قال . فما تصنع فى باقيها قال . نجد من يسلفنا ويسارع الى معاملتنا قال . ما أحد أحوج الى أن يصلح من شأنه منك قال : ان شأننا لصالح ياأمير المؤمنين ولو زدت فى مالى مثله ما كنت الا بمثل هذه الحال فأمر له معاوية بخمسين الف درهم

وقال : اشتر بها ضيعة تعينك على مروءتك فقال سعيد : بل اشترى بها حمداً وذكراً باقياً أطعم بها الجائع وأزوج بها الأيِّم وأفك بها العانى وأواسى بها الصديق وأصلح بها حال الجار فلم تأت عليه ثلاثة اشهر وعنده منها درهم فقال معاوية : ما فضيلة بعد الايمان بالله هى ارفع فى الذكر ولا أنبه فى الشرف من الجود وحسبك أن الله تبارك وتعالى جعل الجود آخر صفاته

(ومن) الطبقة الثانية من الاجواد الحكم بن حَنْطَب قال العتبي : أخبرنى رجل من اهل منبج قال : قدم علينا الحكم بن حنطب وهو مملق فأغنانا قال له : كيف أغناكم وهو مملق قال علمنا المكارم فعاد غنينا على فقيرنا .

(ومنهم) معن بن زائدة . قال العتبي : لما قدم معن بن زائدة البصرة واجتمع اليه الناس أتاه مروان بن أبى حفصة فأخذ بعضادتى الباب فأنشده شعره الذى قال فيه

فما أحجم الاعداء عنك بقيَّة ... عليك ولكن لم يروا فيك مطمعا
له راحتان الحتف والجود فيهما ... أبى الله الا أن يضر وينفعا

(ومنهم) يزيد بن المهلب قال الأصمعى قدم على يزيد بن المهلب قوم من قُضاعة فقال رجل منهم

والله ما ندرى اذا مافاتنا ... طلب اليك من الذى نتطلب
ولقد ضربنا فى البلاد فلم نجد ... أحداً سواك الى المكارم ينسب
فاصبر لعادتنا التى عودتنا ... أوْلا فأرشدنا الى من نذهب

فأمر له بألف دينار فلما كان العام المقبل وفد عليه فقال

مالى أرى أبوابهم مهجورة ... وكأن بابك مجمع الاسواق

حابوك أم هابوك أم شاموا الندى　　بيديك فاجتمعوا من الآفاق
انى رأيتك للمكارم عاشقا　　والمكرمات قليلة العشاق

فأمر له بعشرة آلاف درهم (ومنهم) يزيد بن حاتم . كتب اليه رجل من العلماء يستوصله فبعث اليه ثلاثين ألف درهم وكتب اليه : أما بعد فقد بعثت اليك بثلاثين ألفا لا أكثرها امتناعا ولا أقللها تجبرا ولا استثيبك عليها ثناء ولا أقطع لك بها رجاء والسلام . وخرج اليه رجل من الشعراء يمدحه فلما بلغ مصر وجده قد مات فقال

لئن مصر فاتتنى بما كنت أرتجى　　وأخلفنى منها الذى كنت آمل
فما كل ما يخشى الفتى بمصيبه　　ولا كل ما يرجو الفتى هو نائل
وما كان بينى لو لقيتك سالما　　وبين الغنى الا ليال قلائل

(ومنهم) أبو دُلَف واسمه القاسم بن اسماعيل وفيه يقول على بن جبلة

انما الدنيا أبو دلف　　بين مبداه ومحتضره
فاذا ولى أبو دلف　　ولت الدنيا على أثره

﴿ أصفاد الملوك على المدح ﴾

دخل اعشى ربيعة على عبد الملك بن مروان وعن يمينه الوليد وعن يساره سليمان فقال له عبد الملك ما الذى بقى يا أبا المغيرة فأنشأ يقول

وما أنا فى حق ولا فى خصومتى　　بمهتضم حق ولا قارع سنى
ولا مسلم مولاى من سوء ما جنى　　ولا خائف مولاى من سوء ما أجنى
وفضلى فى الأقوام والشعر انى　　أقول الذى أعنى وأعرف ما أعنى

وان فؤادى بين جنبيّ عالم　　بما أبصرت عينى وما سمعت أذنى
وانى وان فضلت مروان وابنه　　على الناس قد فضلت خير أب وابن

فضحك عبد الملك وقال للوليد وسليمان : أتلومانني على هذا وأمر له بعشرة آلاف

سعيد بن سلم الباهلى قال : قدم على الرشيد أعرابى من باهلة وعليه جبة حبرة ورداء يمانٍ قد شده على وسطه ثم ثناه على عاتقه وعمامته قد عصبها على فَوْديه وأرخى لها عذبة من خلفه فمثل بين يدى الرشيد فقال سعيد : يا أعرابى خذ فى شرف أمير المؤمنين فاندفع فى شعره فقال الرشيد : يا أعرابى أسمعك مستحسنا وأنكرك متهما فقل لنا بيتين فى هذين يعنى محمدا الامين وعبد الله المأمون ابنيه وهما حفافاه فقال : يا أمير المؤمنين حملتنى على الوعر القَرْدَد وارجعتنى على السهل الحَذْرد روعةُ الخلافة وبُهْر الدرجة ونفورُ القوافى على البديهة فأرودْنى تتألف لى نوافرها ويسكن روعى قال : قد فعلت وجعلت اعتذارك بدلا من امتحانك قال : يا أمير المؤمنين نفست الخناق وسهلت ميدان السباق فأنشأ يقول

بنيت لعبد الله ثم محمد　　ذرى قبة الاسلام فاخضر عودها
هما طُنُباها بارك الله فيهما　　وأنت أمير المؤمنين عمودها

فقال الرشيد : وأنت يا أعرابى بارك الله فيك فسل ولا تكن مسئلتك دون احسانك قال : الهنيدة يا أمير المؤمنين فأمر له بمائة ناقة وسبع خلع

وقف رجل من الشعراء الى عبد الله بن طاهر فأنشده

اذا قيل أى فتى تعلمون　　أهش الى البأس والنائل

وأضرب للهام يوم الوغى   وأطعم فى الزمن الماحل
أشار اليك جميع الأنام   اشارة غرقى الى الساحل

الربيع حاجب المنصور قال قلت يوما للمنصور : ان الشعراء ببابك وهم كثيرون طالت ايامهم ونفدت نفقاتهم فقال : اخرج اليهم فاقرأ عليهم السلام وقل لهم : من مدحني منكم فلا يصفني بالاسد فانما هو كلب من الكلاب ولا بالحية فانما هى دويبة منتنة تأكل التراب ولا بالجبل فانما هو حجر أصم ولا بالبحر فانما هو غُطامط لَجِب ومن ليس فى شعره هذا فليدخل ومن كان فى شعره فلينصرف فانصرفوا كلهم الا ابراهيم بن هَرمة فانه قال له : أنا له يا ربيع فأدخله فلما مثل بين يديه قال المنصور : يا ربيع قد علمتَ أنه لا يجيبك أحد غيره هات يا ابن هرمة فأنشده قصيدته التى يقول فيها

له لحظات عن حِفافَي سريره   اذا كرّها فيها عذاب ونائل
له طينة بيضاء من آل هاشم   اذا اسودّ من كوم التراب القبائل
اذا ما أتى شيئا مضى كالذي أتى   وان قال انى فاعل فهو فاعل

فقال : حسبك ههنا بلغت هذا عين الشعر قد أمرت لك بخمسة آلاف درهم فقمت اليه وقبلت رأسه وأطرافه ثم خرجت فلما كدت أخفى على عينيه سمعته يقول : يا ابراهيم فأقبلت اليه فزعا فقلت : لبيك فداك أبى وأمي قال : احتفظ بها فليس لك عندنا غيرها فقلت : بابى وأمى أنت أحفظها حتى أوافيك بها على الصراط بخاتم الجهبذ

الوفود

قال ابن عبد ربه قد مضى قولنا فى الاجواد والاصفاد على مراتبهم ومنازلهم وما جروا عليه وماندبوا اليه من الاخلاق الجميلة والافعال الجزيلة ونحن قائلون بعون الله وتوفيقه فى الوفود الذين وفدوا على الخلفاء والملوك فانها مقامات فضل ومشاهد حفل يتخير لها الكلام وتستعذب الالفاظ وتستجزل المعانى ولا بدّ للوافد عن قومه أن يكون عميدهم وزعيمهم الذى عن قوسه ينزعون وعن رأيه يصدُرون فهو واحد يعدل قبيلة ولسان يعرب عن ألسنة وما ظنك بوافد قوم يتكلم بين يدى النبي صلى الله عليه وسلم او خليفته أو بين يدى ملك جبار فى رغبة أو رهبة فهو يوطد لقومه مرة ويتحفظ من امامه اخرى اتراه مدخراً نتيجة من نتائج الحكمة او مستبقيا غريبة من غرائب الفطنة ام تظن القوم قدموه لفصل هذه الخُطَّة الا وهو عندهم فى غاية الحذلقة واللسانة ومجمع الشعر والخطابة الا ترى ان قيس بن عاصم المنقرىّ لما وفد على النبي صلى الله عليه وسلم بسط له رداءه وقال: هذا سيد الوبر ولما توفى قيس بن عاصم قال فيه الشاعر

عليك سلام الله قيس بن عاصم ورحمتُه ما شاء ان يترحما
تحية من ألبسته منك نعمة اذا زار عن شحط بلادَك سلما
وما كان قيس هلكه هلك واحد ولكنه بنيان قوم تهدما

﴿ وفود الاحنف على عمر بن الخطاب رضى الله عنه ﴾

المدائنى قال : قدم الاحنف بن قيس التميمى على عمر بن الخطاب رضى

الله عنه فى أهل البصرة وأهل الكوفة فتكلموا عنده فى أنفسهم ومايتوب كل واحد منهم وتكلم الاحنف فقال : يا أمير المؤمنين ان مفاتيح الخير بيدى الله وقد أتتك وفود أهل العراق وان اخواننا من أهل الكوفة والشام ومصر نزلوا منازل الامم الخالية والملوك الجبابرة ومنازل كسرى وقيصر وبنى الاصفر فهم من المياه العذبة والجنان المختلفة فى مثل حولاء السلى وحدقة البعير تأتيهم ثمارهم غضة لم تخضر وانا نزلنا أرضا نشاشة طرف فى فلاة وطرف فى ملح أجاج جانب منها منابت القصب وجانب سبخة نشاشة لايجف ترابها ولا ينبت مرعاها تأتينا منافعها فى مثل مرىء النعامة يخرج الرجل الضعيف منا يستعذب الماء من فرسخين وتخرج المرأة بمثل ذلك ترنّق ولدها ترنق العنز تخاف عليه العدوّ والسبع فألا ترفع خسيستنا وتنعش رَكيستنا وتجبر فاقتنا وتزد فى عيالنا عيالا وفى رجالنا رجالا وتصغر درهمنا وتكبر قفيزنا وتأمر لنا بحفر نهر نستعذب به الماء هلكنا قال عمر : هذا والله السيد هذا والله السيد قال الاحنف : فمازلت اسمعها بعدها فأراد زيد بن جَبَلة أن يضع منه فقال : يا أمير المؤمنين انه ليس هناك وأمه باهلية قال عمر : هو خير منك ان كان صادقا يريد ان كانت له نية فقال الاحنف

أنا ابن الباهلية أرضعتنى　　بثدى لا أَجَدَّ ولا وخيم
أغض على القذى أجفان عينى　　الى شر السفيه الى الحليم

قال فرجع الوفد واحتبس الاحنف عنده حولا وأشهرا ثم قال : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حذرنا كل منافق صَنعَ اللسان وانى خفتك

فاحتبستك فلم يبلغنى عنك الاخير رأيت لك جولا ومعقولا فارجع الى منزلك واتق الله ربك وكتب الى أبى موسى الاشعرى أن يحتفر لهم نهراً

﴿ وفود عمرو بن معد يكرب على عمر بن الخطاب رضى الله عنه ﴾

لما فتحت القادسية على يدي سعد بن أبى وقاص أبلى فيها عمرو بن معد يكرب بلاء حسنا فأوفده سعد على عمر بن الخطاب رضى الله عنه وكتب اليه معه بالفتح واثنى فى الكتاب على عمرو فلما قدم على عمر بن الخطاب سأله عن سعد فقال . اعرابى فى نمرته أسد فى تامورته نبطى فى حبوته يقسم بالسوية ويعدل فى القضية وينفل فى السرية وينقل الينا حقنا نقل الذرة فقال عمر : لشدّ ما تقارضتما الثناء وكان عمر قد كتب الى سعد يوم القادسية ان يعطى الناس على قدر مامعهم من القرآن فقال سعد لعمرو بن معد يكرب : مامعك من القرآن قال : مامعى شئ قال : ان أمير المؤمنين كتب الىّ أن اعطى الناس على قدر مامعهم من القرآن فقال عمرو

اذا قتلنا ولا يبكى لنا أحد　　　قالت قريش ألا تلك المقادير
تعطى السوية من طعن له نفذ　　　ولا سوية اذ تعطى الدنانير

قال : فكتب سعد بأبياته الى عمر فكتب اليه ان يعطى على مقاماته فى الحرب

﴿ وفود عمرو بن معد يكرب على مجاشع بن مسعود ﴾

وفد عمرو بن معد يكرب الزُّبيدى على مجاشع بن مسعود السُّلَمىّ وكانت بين عمرو وبين سليم حروب فى الجاهلية فقدم عليه البصرة يسأله الصلة فقال

له : اذكر حاجتك فقال له : حاجتى صلة مثلى فأعطاه عشرة آلاف درهم وفرسا من بنات الغبراء وسيفا جُرازا ودرعا حصينة وغلاما خبازا فلما خرج من عنده قال له أهل المجلس : كيف وجدت صاحبك قال : لله بنو سليم ما أشد فى الهيجاء لقاءها وأكرم فى اللأواء عطاءها وأثبت فى المكرمات بناءها والله يابنى سليم لقد قاتلناكم فى الجاهلية فما أجبناكم ولقد هاجيناكم فما أفحمناكم ولقد سألناكم فما أبخلناكم

فلله مسئولا نوالا ونائلا وصاحب هيج يوم هَيجِ مجاشع

﴿ وفود الحجاج بابراهيم بن محمد بن طلحة على عبد الملك بن مروان ﴾

عمر بن عبد العزيز قال : لما ولى الحجاج بن يوسف الحرمين بعد قتله ابن الزُّبَير استخلص ابراهيم بن محمد بن طلحة فقرّبه وعظم منزلته فلم تزل تلك حاله عنده حتى خرج الى عبد الملك بن مروان فخرج معه معادلا لا يقصر له فى بر واعظام حتى حضر به عبد الملك فلما دخل عليه لم يبدأ بشىء بعد السلام الا أن قال له : قدمت عليك أمير المؤمنين برجل الحجاز لم أدع له بها نظيرا فى الفضل والادب والمروءة وحسن المذهب مع قرابة الرحم ووجوب الحق وعظم قدر الابوة وما بلوت منه فى الطاعة والنصيحة وحسن الموازرة وهو ابراهيم بن محمد بن طلحة وقد أحضرته بابك ليسهل عليه اذنك وتعرف له ما عرفتك فقال . أذكرتنا رحما قريبة وحقا واجبا يا غلام ائذن لابراهيم بن محمد بن طلحة فلما دخل عليه أدناه عبد الملك حتى أجلسه على فراشه ثم قال له . يابن طلحة ان أبا محمد ذكّرنا مالم نزل نعرفك به من الفضل

والادب والمروءة وحسن المذهب مع قرابة الرحم ووجوب الحق وعظم قدر الابوة وما بلاه منك فى الطاعة والنصيحـة وحسن الموازرة فلا تدعن حاجة فى خاصة نفسك وعامتك الا ذكرتها فقال . يا أمير المؤمنين ان أول الحوائج وأحق ما قدم بين يدى الامور ما كان لله فيه رضا ولحق نبيه صلى الله عليه وسلم أداء ولك فيه ولجماعة المسلمين نصيحة وعندى نصيحة لا أجد بدا من ذكرها ولا أقدر على ذلك الا وأنا خال فأخلني يا أمير المؤمنين ترد عليك نصيحتى قال . دون أبى محمد قال . نعم دون أبى محمد قال . عبد الملك للحجاج . قم فلما خَطَرف السِتْرُ أقبل عليه فقال . يابن طلحة قل نصيحتك فقال تالله يا أمير المؤمنين لقد عمدت الى الحجاج فى تغطرسه وتعجرفه وبعده من الحق وقربه من الباطل فوليته الحرمين وهما ما هما وبهما من بهما من المهاجرين والانصار والموالى الاخيار يطؤهم ويسومهم الخسف ويحكم فيهم بغير السنة بعد الذى كان من سفك دمائهم وما انتهك من حرمهم ثم ظننت أن ذلك فيما بينك وبين الله زاهق وفيما بينك وبين نبيك غدا اذا جاثاك للخصومة بين يدى الله فى أمته أما والله لا تنجو هنالك الا بحجة فارْبَع على نفسك أودَعْ فقال له عبد الملك . كذبت ومِنْتَ وظن بك الحجاج ما لم يجده فيك وقد يُظن الخير بغير أهله قم فأنت الكاذب المائن قال : فقمت وما أعرف طريقا فلما خطرف الستر لحقنى لاحق فقال . احبسوا هذا وقال للحجاج : ادخل فدخل فمكث مليًا من النهار لا أشك أنهما فى أمرى ثم خرج الاذن فقال . ادخل يا بن طلحة فلما كشف لى الستر لقينى الحجاج وهو خارج وأنا داخل فاعتنقنى وقبل ما بين عينى وقال :

أما اذا جزى الله المتواخيين خيرا بفضل تواصلهم فجزاك الله عنى أفضل الجزاء، فوالله لئن سلمت لك لأرفعن ناظرك ولأعلين كعبك ولأتبعن الرجال غبرة قدميك قال : فقلت يهزأ بي وحق الكعبة فلما وصلت الى عبد الملك أدناني حتى أدناني مجلسي الاول ثم قال : يابن طلحة لعل أحداً شاركك في نصيحتك هذه قلت : والله ياأمير المؤمنين ما أعلم أحدا انصح عندي يداً ولا أعظم معروفا من الحجاج ولو كنت محابيا أحداً لغرض دنيا لحابيته ولكني آثرت الله ورسوله وآثرتك والمؤمنين عليه قال . قد علمت انك لم ترد الدنيا ولو أردتها لكانت لك في الحجاج ولكن أردت الله والدار الآخرة وقد عزلته عن الحرمين لما كرهت من ولايته عليهما وأعلمته أنك استنزلتني له عنهما استقلالا لهما ووليته العراقين وما هنا لك من الامور التي لا يدحضها الا مثله واعلمته انك استدعيتني الى ولايته عليهما استزادة له لألزمه بذلك من حقك ما يؤدي اليك عنى أجر نصيحتك فاخرج معه فانك غير ذام لصحبته (العراقين الكوفة والبصرة)

﴿ وفود رسول المهلب على الحجاج بقتل الازارقة ﴾

أبو الحسن المدائني قال: لما هزم المهلب بن أبي صفرة قَطَرِيّ بن الفُجاءة صاحب الازارقة بعث الى مالك بن بَشير فقال له : اني موفدك الى الحجاج فسر فانما هو رجل مثلك وبعث اليه بجائزة فردها وقال : انما الجائزة بعد الاستحقاق وتوجه فلما دخل على الحجاج قال له : ما اسمك قال : مالك بن بشير قال . ملك وبشارة كيف تركت المهلب قال . أدرك ما أَمَّلَ وأَمِنَ ما

خاف قال : كيف هو بجنده قال : والد رءوف قال : فكيف جنده له قال : أولاد بررة قال : كيف رضاهم عنه قال : وسعهم بالفضل وأقنعهم بالعدل قال : فكيف تصنعون اذا لقيتم عدوكم قال : نلقاهم بجدنا فنطمع فيهم ويلقوننا بجدهم فيطمعون فينا قال : كذلك الجد اذا لقى الجد قال : فما حال قطرى قال : كادنا ببعض ما كدناه قال : فما منعكم من اتباعه قال : رأينا المقام من ورائه خيراً من اتباعه قال : فأخبرنى عن ولد المهلب قال : أعباء القتال بالليل حماة السرح بالنهار قال : أيهم أفضل قال : ذلك الى أبيهم قال : لتقولن قال : هم كحلقة مضروبة لا يعرف طرفاها قال : أقسمت عليك هل روّأت فى هذا الكلام قال : ما أطلع الله على غيبه أحداً فقال الحجاج لجلسائه . هذا والله الكلام المطبوع لا الكلام المصنوع

﴿ وفود جرير عن أهل الحجاز على عمر بن عبد العزيز ﴾
(رضى الله عنه)

قدم جرير بن الخَطَفى على عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه عن أهل الحجاز فاستأذنه فى الشعر فقال . مالى وللشعر ياجرير انى لفى شغل عنه فقال يأمير المؤمنين انها رسالة عن أهل الحجاز قال . فهاتها اذا فقال .

كم من ضرير أميرَ المؤمنين لدى	أهل الحجاز دهاه البؤس والضرر
أصابت السنة الشهباء ماملكت	يمينه فخناه الجُهدُ والكبر
ومن قطيع الحشا عاشت مخبأة	ما كانت الشمس تلقاها ولا القمر
لما اجتلتها صروف الدهر كارهة	قامت تنادى بأعلى الصوت ياعمر

﴿ وفود كثيرٍ والأحوص على عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه ﴾

حماد الراوية قال . قال لى كثير عزة ألا أخبرك عما دعانى الى ترك الشعر قلت . نعم قال . شخصت أنا والأحوص ونُصَيب الى عمر بن عبدالعزيز رضى الله عنه وكل واحد منا يُدِل عليه بسابقة واخاء قديم ونحن لا نشك انه سيشرّكنا فى خلافته فلما رفعت لنا اعلام خُناصِرة لقينا مَسلمة بن عبد الملك وهو يومئذ فتى العرب فسلمنا فردّ ثم قال : أما بلغكم أن امامكم لا يقبل الشعر قلنا ماتوضح الينا خبر حتى انتهينا اليك ووجمنا وجمة عرف ذلك فينا فقال : ان يك ذو دين بنى مروان قد وَلِى وخشيتم حرمانه فان ذا دنياها قد بقى ولكم عندى ماتحبون وما ألبث حتى أرجع اليكم وأمنحكم ما أنتم أهله فلما قدم كانت رحالنا عنده بأكرم منزل وأكرم منزول عليه فأقمنا عنده أربعة أشهر يطلب لنا الاذن هو وغيره فلا يؤذن لنا الى ان قلت فى جمعة من تلك الجمع . لو أنى دنوت من عمر فسمعت كلامه فحفظته كان ذلك رأيا ففعلت فكان مما حفظت من كلامه لكل سفر زاد لا محالة فتزودوا لسفركم من الدنيا الى الآخرة بالتقوى وكونوا كمن عاين ماأعد الله له من ثوابه أوعقابه فترغبوا وترهبوا ولا يطولن عليكم الأمد فتقسوا قلوبكم وتنقادوا لعدوكم فى كلام كثير لا أحفظه ثم قال : أعوذ بالله أن آمركم بما أنهى عنه نفسى فتخسر صفقتى وتظهر عيلتى وتبدو مسكنتى فى يوم لا ينفع فيه الا الحق والصدق ثم بكى حتى ظننت أنه قاض نحبه وارتج المسجد وماحوله بالبكاء وانصرفت الى صاحبيّ فقلت لهما خذا فى شرح من الشعر غير ما كنا نقول

لعمر وآبائه فان الرجل آخرىّ وليس بذنيوى الى ان استأذن لنا مَسلمة فى يوم جمعة بعد ما أذن للعامة فلما دخلت سلمت ثم قلت : يا أمير المؤمنين طال الثواء وقلت الفائدة وتحدث بجفائك ايانا وفود العرب قال : يا كثير انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل أفى واحد من هؤلاء أنت قلت : بلى ابن سبيل منقطع به وأنا صاحبك قال : ألست صاحب أبى سعيد قلت : بلى قال : ما أرى ضيف أبى سعيد منقطعا به قلت: يا أمير المؤمنين أتأذن لى فى الانشاد قال نعم: ولا تقل الا حقا فقلت

وليتَ فلم تشتم عليا ولم تُخِفْ ... بريا ولم تقبل اشارة مجرم
وصَدَّقتَ بالفعل المقال مع الذى ... أتيت فأمسى راضيا كلُّ مسلم
الا انما يكفى الفتى بعد زيغه ... من الأَوَد الباقى ثقافُ المقوَّم
وقد لبستْ لبْسَ الملوك ثيابها ... تراءى لك الدنيا بكف ومعصم
وتومض أحيانا بعين مريضة ... وتبسِم عن مثل الجمان المنظم
فأعرضت عنها مشمئزا كأنما ... سقتك مدُوفا من سِمام وعلقم
وقد كنتَ فى أجبالها فى مُمنَّع ... ومن بحرها فى مُزبِد الموج مفعم
وما زلت تواقا الى كل غاية ... بلغت بها أعلى البناء المقوم
فلما أتاك الملك عفواً ولم يكن ... لطالب دنيا بعده من تقدم
ومالك اذ كنت الخليفة مانعٌ ... سوى الله من مال رَعيت ودرهم
تركتَ الذى يفنى وان كان رونقا ... وآثرت ما يبقى برأى مصمم
واضررت بالفانى وشمرت للذى ... امامك فى يوم من الشر مظلم

سما لك هم فى الفؤاد مؤرق بلغت به أعلى المعالى بسلم
فما بين شرق الارض والغرب كلها مناد ينادى من فصيح واعجم
يقول أمير المؤمنين ظلمتنى لاخذ لدينار ولا اخذ درهم
ولا بسط كف لامرئ غير مجرم ولا السفك منه ظالما مل ءمحجم
ولو يستطيع المسلمون لقسموا لك الشطر من اعمارهم غير ندم
فأربح بها من صفقة لمبايع وأعظم بها أعظم بها ثم أعظم

قال فأقبل عليّ وقال : انك مسئول عما قلت ثم تقدم الأحوص فاستأذنه في الانشاد فقال : قل ولا تقل الا حقاً فقال

وما الشعر الا حكمة من مؤلف لمنطق حق أو لمنطق باطل
فلا تقبلنّ الا الذى وافق الرضا ولا ترجعنا كالنساء الارامل
رأيناك لم تعدل عن الحق يمنة ولا شأمة فعل الظلوم المخاتل
ولكن أخذت الحق جهدك كله وتقفو مثال الصالحين الأوائل
فقلنا ولم نكذب بما قد بدا لنا ومن ذا يرد الحق من قول قائل
ومن ذا يرد السهم بعد مضائه على فوقه اذ غار من نزع نابل
ولولا الذى قد عودتنا خلائف غطاريف كانوا كالليوث البواسل
لما وخدت شهرا برحلي شملة تقد متون البيد بين الرواحل
ولكن رجونا منك مثل الذى به حبينا زمانا من ذويك الاوائل
فان لم يكن للشعر عندك موضع وان كان مثل الدر فى نظم قائل
وكان مصيباً صادقاً لا تعيبه سوى انه يبنى بناء المنازل
فان لنا قربى ومحض مودة وميراث آباء مشوا بالمناصل

فذادوا عدو السلم عن عقر دارهم ... وأرسوا عمود الدين بعد التمايل
وقبلك ما أعطى هنيدة جلة ... على الشعر كعبا من سديس وبازل
رسول الاله المستضاء بنوره ... عليه سلام بالضحى والاصائل

فقال انك مسئول عما قلت ثم تقدم نصيب فاستأذنه فى الانشاد فلم يأذن له وأمره باللحاق بدابق فخرج اليها وهو محموم وأمر لى بثلثمائة وللاحوص بمثلها ولنصيب بمائة وخمسين

﴿ وفود نابغة بنى جعدة على ابن الزبير رحمه الله تعالى ﴾

الزبير بن بكار قاضى الحرمين قال : أقحمت السنة نابغة بنى جعدة فوفد الى ابن الزبير فدخل عليه فى المسجد الحرام ثم أنشده

حكيت لنا الصديق لما وليتنا ... وعثمان والفاروق فارتاح معدم
وسويت بين الناس فى الحق فاستووا ... فعاد صباحا حالك اللون مظلم
أتاك أبو ليلى يجوب به الدجى ... دجا الليل جواب الفلاة عثمثم
لتجبر منه جانبا زعزعت به ... صروف الليالى والزمان المصمم

فقال له ابن الزبير : هون عليك أبا ليلى فالشعر أدنى وسائلك عندنا أما صفوة مالنا فلآل الزبير وأما عفوته فان بنى أسد وتيما تشغلها عنك ولكن لك فى مال الله سهمان سهم برؤيتك رسول الله صلى الله عليه وسلم وسهم بشركتك فى فيئهم ثم أخذ بيده ودخل به دار النعم فأعطاه قلائص سبعا وجملا رحيلا وأوقر له الركاب براً وتمراً فجعل النابغة يستعجل فيأكل الحب صرفا فقال ابن الزبير : ويح أبى ليلى لقد بلغ به الجهد قال النابغة :

أشهد لسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ماوليت قريش فعدلت واسترحمت فرحمت وحدثت فصدقت ووعدت فأنجزت فأنا والنبيون فرّاط القاصفين. قال الزبير بن بكار : الفارط الذى يتقدم الى الماء يصلح الرشاء والدلاء. والقاصف الذى يتقدم لشراء الطعام

﴿ وفود سودة ابنة عمارة على معاوية ﴾

عامر الشعبي قال : وفدت سودة ابنة عمارة بن الاشتر الهمذانية على معاوية بن أبي سفيان فاستأذنت عليه فأذن لها فلما دخلت عليه سلمت فقال لها كيف أنت يابنة الاشتر قالت بخير ياأمير المؤمنين قال لها : أنت القائلة لاخيك

شمر كفعل أبيك يابن عمارة … يوم الطعان وملتقى الاقران
وانصر علياً والحسين ورهطه … واقصد لهند وابنها بهوان
ان الامام أخا النبي محمد … علم الهدى ومنارة الايمان
فقد الجيوش وسر أمام لوائه … قدُماً بابيض صارم وسنان

قالت : يا أمير المؤمنين مات الرأس وبُتر الذنب فدع عنك تذكار ما قد نُسي قال : هيهات ليس مثل مقام أخيك نسي قالت : صدقت والله ياأمير المؤمنين ما كان أخي خفي المقام ذليل المكان ولكن كما قالت الخنساء

وان صخرا لتأتم الهداة به … كأنه علم فى رأسه نار

وبالله أسأل يا أمير المؤمنين اعفائى مما استعفيته قال : قد فعلت فقولي حاجتك قالت : ياأمير المؤمنين انك للناس سيد ولأمورهم مقلّد والله سائلك

عما افترض عليك من حقنا ولا تزال تقدم علينا من ينهض بعزك ويبسط بسلطانك فيحصدنا حصاد السنبل ويدوسنا دياس البقر ويسومنا الخسيسة ويسألنا الجليلة هذا ابن أرطاة قدم بلادى وقتل رجالى وأخذ مالى ولولا الطاعة لكان فيناعز ومنعة فاماعزلته فشكرناك واماالا فعرفناك فقال معاوية: اياى تهددين بقومك والله لقد هممت أن أردك اليه على قتب أشرس فينفذ حكمه فيك فسكتت ثم قالت:

صلى الاله على روح تضمنه قبر فأصبح فيه العدل مدفونا

قد حالف الحق لا يبغى به ثمنا فصار بالحق والايمان مقرونا

قال: ومن ذلك قالت: على بن أبى طالب رحمه الله تعالى قال: ماأرى عليك منه أثراً قالت: بلى أتيته يوما فى رجل ولاه صدقاتنا فكان بيننا وبينه مابين الغث والسمين فوجدته قائما يصلى فانفتل من الصلاة ثم قال برأفة وتعطف ألك حاجة: فأخبرته خبر الرجل فبكى ثم رفع يديه الى السماء فقال: اللهم انى لم آمرهم بظلم خلقك ولا ترك حقك ثم أخرج من جيبه قطعة من جراب فكتب فيه بسم الله الرحمن الرحيم قد جاءتكم بينةمن ربكم فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا فى الارض مفسدين بقية الله خير لكم ان كنتم مؤمنين وما أنا عليكم بحفيظ اذا أتاك كتابى هذا فاحتفظ بما فى يديك حتى يأتى من يقبضه منك والسلام فعزله ياأمير المؤمنين ماخزمه بخزام ولا ختمه بختام قال معاوية: اكتبوا لها بالانصاف لها والعدل عليها فقالت: ألِىَ خاصةً أم لقومى عامة قال: وما أنت وغيرك قالت. هى والله اذا الفحشاء واللؤم ان كان عدلا شاملا والا يسعنى مايسع

قومي قال : هيهات لمظكم ابن أبي طالب الجرأة اكتبوا لها بحاجتها

﴿ وفود أم سنان بنت جشمة على معاوية رحمه الله تعالى ﴾

سعيد بن أبي حذافة قال : حبس مروان وهو والى المدينة غلاما من بني ليث في جناية جناها فأتته جدة الغلام وهي أم سنان بنت جشمة بن خرشة المذحجية فكلمته في الغلام فأغلظ مروان فخرجت الى معاوية فدخلت عليه فانتسبت فعرفها فقال لها : مرحبا يا ابنة جشمة ما أقدمك أرضنا وقد عهدتك تشتمينا وتحضين علينا عدونا قالت : ان لبني عبد مناف أخلاقا طاهرة وأحلاما وافرة لا يجهلون بعد علم ولا يسفهون بعد حلم ولا ينتقمون بعد عفو وان أولى الناس باتباع ماسن آباؤه لأنت قال : صدقت نحن كذلك فكيف قولك

عزب الرقاد فمقلتي لا ترقد والليل يصدر بالهموم ويورد
يا آل مذحج لا مقام فشمروا ان العدو لآل احمد تقصد
هذا علي كالهلال تحفه وسط السماء من الكواكب أسعد
خير الخلائق وابن عم محمد ان يهدكم بالنور منه تهتدوا
مازال مذ شهد الحروب مظفرا والنصر فوق لوائه ما يفقد

قالت : كان ذلك يا أمير المؤمنين وأرجو أن تكون لنا خلفا فقال رجل من جلسائه : كيف يا أمير المؤمنين وهي القائلة

اما هلكت أبا الحسين فلم تزل بالحق تعرف هاديا مهديا
فاذهب عليك صلاة ربك مادعت فوق الغصون حمامة قمريا

قد كنت بعد محمد خلفا كما أوصى اليك بنا فكنت وفيا

قالت : يا أمير المؤمنين لسان صدق وقول نُطق ولئن تحقق ما ظننا لحظك الأوفر والله ماورثك الشنآن فى قلوب المسلمين الا هؤلاء فأدحض مقالتهم وأبعد منزلتهم فانك ان فعلت ذلك تزدد من الله قربا ومن المؤمنين حبا قال : وانك لتقولين ذلك قالت : سبحان الله والله ما مثلك مدح بباطل ولا اعتذر اليه بكذب وانك لتعلم ذلك من رأينا وضمير قلوبنا كان والله على أحب الينا منك وأنت أحب الينا من غيرك قال : ممن قالت : من مروان ابن الحكم وسعيد بن العاصى قال : وبم استحققت ذلك عندك قالت : بسعة حلمك وكريم عفوك قال : فانهما يطمعان فى ذلك قالت : هما والله من الرأى على ما كنت عليه لعثمان بن عفان رحمه الله تعالى قال : والله لقدقاربت فما حاجتك قالت : يا أمير المؤمنين ان مروان تبنّك بالمدينة تبنك من لا يريد منها البراح لا يحكم بعدل ولا يقضى بسنة يتبع عثرات المسلمين ويكشف عورات المؤمنين حبس ابن ابنى فأتيته فقال كنت وكنت فأسمعته أخشن من الحجر وألقمته أمر من الصاب ثم رجعت الى نفسى باللائمة وقلت لم لا أصرف ذلك الى من هو أولى بالعفو منه فأتيتك يا أمير المؤمنين لتكون فى أمرى ناظرا وعليه معربا قال : صدقت لا أسألك عن ذنبه والقيام بحجته اكتبوا لها باطلاقه قالت : يا أمير المؤمنين وأنى لى بالرجعة وقد نفد زادى وكلت راحلتى فأمر لها براحلة وخمسة آلاف

مخاطبة الملوك

قال ابن عبد ربه . قد مضى قولنا فى الوفود والوافدات ومقاماتهم بين يدى الخلفاء والملوك ونحن قائلون بعون الله وتوفيقه وتأييده وتسديده فى مخاطبة الملوك والتزلف اليهم بسحر البيان الذى يمازج الروح لطافة ويجري مع النفس رقة والكلام الرقيق مصايد القلوب وان منه لما يستعطف المستشيط غيظا والمندمل حقدا حتى يطفئ جمرة غيظه ويسهل دقائق حقده وان منه لما يستميل قلب اللئيم ويأخذ بسمع الكريم وبصره وقد جعله الله تعالى بينه وبين خلقه وسيلة نافعة وشافعا مقبولا قال تبارك وتعالى فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه انه هو التواب الرحيم . وسنذكر فى كتابنا هذا ان شاء الله تعالى مَنْ تخلص من أنشوطة الهلاك وتفلّت من حبائل المنية بحسن التنصل ولطيف التوصل ولين الجواب ورقيق الاستعتاب حتى عادت سيئاته حسنات وعيض بالثواب بدلا من العقاب وحفظ هذا الباب أوجب على الانسان من حفظ عرضه وألزم له من قوام بدنه

﴿ البيان ﴾ كل شئ كشف لك قناع المعنى الخفيّ حتى يتأدى الى الفهم ويتقبله العقل فذلك البيان الذى ذكره الله فى كتابه ومنّ به على عباده فقال تعالى الرحمن علم القرآن خلق الانسان علمه البيان وسئل النبي صلى الله عليه وسلم فيم الجمال فقال فى اللسان يريد البيان وقال صلى الله عليه وسلم : ان من البيان لسحرا وقالت العرب : أنفذ من الرمية كلمة خفية

﴿ تبجيل الملوك وتعظيمهم ﴾

قال النبي صلى الله عليه وسلم . اذا أتاكم كريم قوم فأكرموه وقالت العلماء : لا يؤمر ذو سلطان في سلطانه ولا يجلس على تكرمته الا باذنه . وقال زياد لا يسلم على قادم بين يدى أمير المؤمنين : وقال يحيي بن خالد بن برمك مساءلة الملوك عن حالها من تحية النوكى فاذا أردت أن تقول كيف أصبح الامير فقل صبح الله الامير بالنعمة والكرامة واذا كان عليلا فأردت أن تسأله عن حاله فقل أنزل الله على الامير الشفاء والرحمة فان الملوك لا تسأل ولا تشمت ولا تكيف

اعتل الفضل بن يحيي فكان اسماعيل بن صبيح الكاتب اذا أتاه عائدا لم يزد على السلام عليه والدعاء له ويخفف في الجلوس ثم يلقى حاجبه فيسأله عن حاله ومأكله ومشربه ونومه : وكان غيره يطيل الجلوس فلما أفاق من علته قال ماعادنى فى علتى هذه الا اسماعيل بن صبيح

ودخل الشعبي على الحجاج فقال له : كم عطاءك قال : ألفين قال : ويحك كم عطاؤك قال : ألفان قال : فلم لحنت فيما لا يلحن فيه مثلك قال : لحن الامير فلحنت وأعرب الأمير فأعربت ولم أكن ليلحن الأمير فأعرب أنا عليه فأكون كالمقرع له بلحنه والمستطيل عليه بفضل القول قبله فأعجبه ذلك منه ووهبه مالا

﴿ قبلة اليد ﴾ عبد الرحمن بن أبي ليلى عن عبد الله بن عمر قال : كنا نقبل يد النبي صلى الله عليه وسلم ومن حديث وكيع عن سفيان قال : قال قبل

أبو عُبيدة يد عمر بن الخطاب ومن حديث الشعبي قال : لقى النبي عليه الصلاة والسلام جعفر بن أبي طالب فالتزمه وقبل ما بين عينيه

﴿ من كره من الملوك تقبيلَ اليد ﴾ العُتبى قال : دخل رجل على هشام ابن عبد الملك فقبل يده فقال : أف له ان العرب ما قبلت الأيدى الا هلوعا ولا فعلته العجم الا خضوعا

﴿ حسن التوقيع فى مخاطبة الملوك ﴾

قال هرون الرشيد لِمَعن بن زائدة : كيف زمانك يامعن قال : ياأمير المؤمنين أنت الزمان فان صلحت صلح الزمان وان فسدت فسد الزمان . وهذا نظير قول سعيد بن سَلم وقد قال له أمير المؤمنين الرشيد مَن بيت قيس فى الجاهلية قال : يا أمير المؤمنين بنو فَزَارة قال : فمَن بيتهم فى الاسلام قال : ياأمير المؤمنين الشريف من شرفتموه قال : صدقت أنت وقومك

ودخل معن بن زائدة على أبى جعفر فقال : له كبرت يامعن قال : فى طاعتك ياأمير المؤمنين قال : وانك لجَلْد قال : على أعدائك ياأمير المؤمنين قال : وان فيك لبقية قال : هى لك ياأمير المؤمنين قال : أى الدولتين أحب اليك أو أبغض دولتنا أو دولة بنى أمية قال : ذلك اليك ياأمير المؤمنين ان زاد برك على برهم كانت دولتك أحب الىّ وان زاد برهم على برك كانت دولتهم أحب الىّ قال : صدقت

وقال أبو جعفر المنصور لجَرير بن يزيد : انى أردتك لامر قال . ياأمير المؤمنين قد أعد الله لك منى قلبا معقودا بطاعتك ورأيا موصولا بنصيحتك

وسيفا مشهورا على عدوّك فاذا شئت فقل

قال هرون لعبد الملك بن صالح : صف لى مَنْبِجًا قال رقيقة الهواء لينة الوطاء قال : فصف لى منزلك بها قال : دون منازل أهلى وفوق منازل أهلها قال . ولم وقدرك فوق أقدارهم قال . ذلك خلق أمير المؤمنين أتأسى به وأقفو أثره وأحذو مثاله

ودخل المأمون يوما بيت الديوان فرأى غلاما جميلا على اذنه قلم فقال : من انت ياغلام قال : انا الناشئ فى دولتك والمتقلب فى نعمتك والمؤمل لخدمتك الحسنُ بن رجاء قال المأمون : بالاحسان فى البديهة تفاضلتُ العقول ارفعوا هذا الغلام فوق مرتبته

وقال عبد العزيز بن مروان لنُصيب بن رَباح وكان أسود : هل لك فيما يثمر المحادثة يريد المنادمة فقال : أصلح الله الامير اللونُ مُرمدو الشعر مفلفل ولم أقعد اليك بكريم عنصر ولا بحسن منظر وانما هو عقلى ولسانى فان رأيت أن لاتفرق بينهما فافعل : ولما ودع المأمون الحسن بن سهل عند خروجه من مدينة السلام قال له : يا أبا محمد ألك حاجة تعهد الى فيها قال : نعم يا أمير المؤمنين أن تحفظ علىّ من قلبك مالا أستعين على حفظه الا بك . وقال سعيد بن سلم بن قتيبة للمأمون لولم أشكر الله الا على حسن ما أبلانى فى أمير المؤمنين من قصده الىّ بحديثه واشارته الىّ بطرفه لكان ذلك من أعظم ماتوجبه النعمة وتفرضه الصنيعة قال المأمون : ذلك والله لأن أمير المؤمنين يجد عندك من حسن الافهام اذا حدّثتَ وحسنِ الفهم اذا حُدِّثتَ مالا يجده عند غيرك

﴿ مدح الملوك والتزلف اليهم ﴾

فى سيرة العجم ان أزدشير بن يزدجرد لما استوسق له أمره جمع الناس فخطبهم خطبة حضهم فيها على الألفة والطاعة وحذرهم المعصية ومفارقة الجماعة وصنف الناس أربعة فخروا له سجدا وتكلم متكلمهم فقال : لازلت أيها الملك محبوءا من الله بعز النصر ودرك الأمل ودوام العافية وتمام النعمة وحسن المزيد ولا زلت تتابع لديك المكرمات وتشفع اليك الذمامات حتى تبلغ الغاية التى يؤمن زوالها ولا تنقطع زهوتها فى دار القرار التى أعدها الله لنظرائك من أهل الزلفى عنده والحظوة لديه ولا زال ملكك وسلطانك باقيين بقاء الشمس والقمر زائدين زيادة البحور والأنهار حتى تستوى أقطار الارض كلها فى علوك عليها ونفاذ أمرك فيها فقد أشرق علينا من ضياء نورك ما عمنا عموم ضياء الصبح ووصل الينا من عظم رأفتك ما اتصل بأنفسنا اتصال النسيم فأصبحت قد جمع الله بك الأيادى بعد افتراقها وألف بين القلوب بعد تباغضها وأذهب عنا الأحن بعد توقد نيرانها بفضلك الذى لا يدرك بوصف ولا يحد بنعت فقال اردشير . طوبى للممدوح اذا كان للمدح مستحقا وللداعى اذا كان للاجابة أهلا

ابن أبى طاهر قال . دخل المأمون بغداد فتلقاه وجوه أهلها فقال له رجل منهم . ياأمير المؤمنين بارك الله لك فى مقدمك وزاد فى نعمتك وشكرك عن رعيتك تقدمت من قبلك واتعبت من بعدك وآيست أن يعاين مثلك اما فيما مضى فلا نعرفه واما فيما بقى فلا نرجوه فنحن جميعا ندعو لك

وثنى عليك خصب لنا جنابك وعذب ثوابك وحسنت نظرتك وكرمت مقدرتك جبرت الفقير وفككت الأسير فانك ياأمير المؤمنين كما قال الاول

مازلت فى البذل والنوال واط　　لاق لعان بجرمه غلق
حتى تمنى البراء انهم　　عندك أسرى فى القد والحلق

مدح خالد بن صفوان رجلا فقال : قريع المنطق جزل الألفاظ عربى اللسان قليل الحركات حسن الاشارات حلو الشمائل كثير الطلاوة صموتا قؤولا يهنأ الجرب ويداوى الدبر ويقل الحز ويطبق المفصل لم يكن بالبرم فى مروءته ولا بالهذر فى منطقه متبوعا غير تابع . كأنه علم فى رأسه نار .

دخل سهل بن هرون على الرشيد فوجده يضاحك ابنه المأمون فقال : اللهم زده من الخيرات وابسط له فى البركات حتى يكون كل يوم من أيامه موفيا على أمسه مقصرا عن غده فقال له الرشيد : ياسهل من روى من الشعر أحسنه وأجوده ومن الحديث أصحه وأبلغه ومن البيان أفصحه وأوضحه اذا رام أن يقول لم يعجزه قال سهل : ياأمير المؤمنين ماظننت أحدا تقدمنى الى هذا المعنى فقال . بل أعشى همدان حيث يقول

وجدتك أمس خير بنى لؤى　　وأنت اليوم خير منك أمس
وأنت غدا تزيد الخير ضعفا　　كذاك تزيد سادة عبد شمس

وكان الحجاج يستثقل زياد بن عمر العتكى فلما أثنى الوفد على الحجاج عند عبد الملك بن مروان قال زياد . ياأمير المؤمنين ان الحجاج سيفك الذى لا ينبو وسهمك الذى لا يطيش وخادمك الذى لا تأخذه فيك لومة لائم

فلم يكن بعد ذلك عند الحجاج أحد أخف ولا أحب اليه منه . الشيبانى قال . أقام المنصور صالحا ابنه فتكلم فى أمر فأحسن فقال شبيب بن شبة . تالله ماراأيت كاليوم أبين بيانا ولا أعرب لسانا ولا أربط جأشا ولا أبل ريقا ولا أحسن طريقا وحق لمن كان المنصور أباه والمهدى أخاه أن يكون كما قال زهير

هو الجواد فان يلحق بشأوهما على تكاليفه فمثله لحقا
أو يسبقاه على ما كان من مهل فمثل ما قدما من صالح سبقا

ودخل رجل على المنصور فقال له . تكلم بحاجتك فقال . يبقيك الله يأمير المؤمنين قال . تكلم بحاجتك فانك لا تقدر على هذا المقام كل حين قال . والله يأمير المؤمنين ما أستقصر أجلك ولا أخاف بخلك ولا أغتنم مالك وان عطاءك لشرف وان سؤالك لزين وما لامرئ بذل وجهه اليك نقص ولا شين قال . فأحسن جائزته وأكرمه

العتبي عن سفيان بن عيينة قال . قدم على عمر بن عبد العزيز ناس من أهل العراق فنظر الى شاب منهم يتجوس للكلام فقال . أكبروا أكبروا فقال . يأمير المؤمنين انه ليس بالسن ولو كان الأمر كله بالسن لكان فى المسلمين من هو أسن منك فقال عمر . صدقت رحمك الله تكلم فقال . يأمير المؤمنين انا لم نأتك رغبة ولا رهبة أما الرغبة فقد دخلت علينا منازلنا وقدمت علينا بلادنا واما الرهبة فقد أمننا الله بعدلك من جورك قال . فما انتم قال . وفد الشكر قال . فنظر محمد بن كعب القُرَظى الى وجه عمر يتهلل فقال . يا امير المؤمنين لا يغلبن جهل القوم بك معرفتك بنفسك فان ناسا

خدعهم الثناء وغرهم شكر الناس فهلكوا وأنا أعيذك بالله أن تكون منهم فألقى عمر رأسه على صدره

﴿ التنصل والاعتذار ﴾

قال عليه السلام : الاعتراف يهدم الاقتراف وقال الشاعر

اذا ما امرؤ من ذنبه جاء تائبا　　　اليك فلم تغفر له فلك الذنب

واعتذر رجل الى ابراهيم بن المهدى : فقال قد عذرتك غير معتذر ان المعاذير يشوبها الكذب

وقال رجل لبعض الملوك : أنا من لا يحاجك عن نفسه ولا يغالطك فى جرمه ولا يلتمس رضاك الا من جهة عفوك ولا يستعطفك الا بالاقرار بالذنب ولا يستميلك الا بالاعتراف بالزلة وقال الحسن بن وهب

ما أحسن العفو من القادر　　　لا سيما عن غير ذى ناصر

ان كان لى ذنب ولا ذنب لى　　　فماله غيرك من غافر

أعوذ بالود الذى بيننا　　　أن يفسد الاول بالآخر

وقالت الحكماء : ليس من العدل سرعة العذل وقال الاحنف بن قيس رب ملوم لا ذنب له . وقال الشاعر

فهبنى مسيئا كالذى قلت ظالما　　　فعفو جميل كى يكون لك الفضل

فان لم أكن للعفو عندك للذى　　　أتيت به أهلا فأنت له أهل

ومن الناس من لا يرى الاعتذار ويقول : اياك وما يعتذر منه وقالوا : ما اعتذر مذنب الا ازداد ذنبا . وقال الشاعر محمود الوراق

اذا كان وجه العذر ليس ببين   فان اطراح العذر خير من العذر

وأتى موسى الهادى برجل فجعل يقرعه بذنوبه فقال : يا أمير المؤمنين ان اعتذارى مما تقرعنى به رد عليك واقرارى به يلزمنى ذنبا لم أجنه ولكن أقول

فان كنت ترجو فى العقوبة راحة   فلا تزهدن عند المعافاة فى الأجر

محمد بن القاسم الهاشمى أبو العيناء قال : قال لى أبو عبد الله أحمد بن أبى دُواد دخلت على الواثق فقال لى مازال قوم فى ثلبك ونقصك فقلت : يا أمير المؤمنين لكل امرئ منهم ما اكتسب من الاثم والذى تولى كبره منهم له عذاب عظيم والله ولى جزائه وعقاب أمير المؤمنين من ورائه وماذل من كنت ناصره ولا ضاع من كنت حافظه فما ذا قلت لهم يا أمير المؤمنين قال : قلت أبا عبد الله

وسعى الىّ بعيب عزة معشر   جعل الاله خدودهن نعالها

قال أبو العيناء : قلت لأحمد بن أبى دواد ان قوما تظاهروا على قال: يد الله فوق أيديهم قلت : انهم عدد وأنا واحد قال : كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيره قلت : ان للقوم مكرا قال : ولا يحيق المكر السيئ الا بأهله قال أبو العيناء : فحدثت بهذا الحديث أحمد بن يوسف الكاتب فقال : ما يرى ابن أبى دواد الا أن القرآن انزل عليه

يحيى بن أكثم قال : انى عند المأمون يوما حتى أتى برجل ترعد فرائصه فلما مثل بين يديه قال له المأمون : كفرت نعمتى ولم تشكر معروفى قال : يا أمير المؤمنين وأين يقع شكرى فى جنب ما أنعم الله بك على فنظر الى

وقال متمثلا

فلو كان يستغنى عن الشكر ماجد   لكثرة مال أو علو مكان
لما ندب الله العباد لشكره   فقال اشكروا لى أيها الثقلان

ثم التفت الى الرجل فقال له : هلا قلت كما قال أصرم بن حميد

رشحت حمدى حتى انى رجل   كلى بكل ثناء فيك مشتغل
خولت شكرى ماخولت من نعم   فخر شكرى لما خولتنى خول

﴿ الاستعطاف والاعتراف ﴾

لما سخط المهدى على يعقوب بن داود قال له : يايعقوب قال : لبيك ياأمير المؤمنين تلبية مكروب لموجدتك قال : ألم أرفع من قدرك اذ كنت وضيعا وأبعد من ذكرك اذ كنت خاملا وألبسك من نعمتى مالم أجد لك بها يدين من الشكر فكيف رأيت الله أظهر عليك قال : ان كان ذلك بعلمك ياأمير المؤمنين فتصديق معترف منيب وان كان مما استخرجته دفائن الباغين فعائذ بفضلك فقال : والله لولا الحنث فى دمك بما تقدم لك لالبستك منه قميصا لاتشد عليه زرا ثم أمر به الى الحبس فتولى وهو يقول : الوفاء ياأمير المؤمنين كرم والمودة رحم وأنت بهما جدير

ولما رضى الرشيد عن يزيد بن مزيد أذن له بالدخول عليه فلما مثل بين يديه قال : الحمد لله الذى سهل لى سبيل الكرامة بلقائك ورد على النعمة بوجه الرضا منك وجزاك الله ياأمير المؤمنين فى حال سخطك جزاء المحسنين المراقبين وفى حال رضاك جزاء المنعمين المتطولين فقد جعلك الله وله الحمد

تثبت تحرجا عند الغضب وتمتن تطولا بالنعم وتستبق المعروف عند الصنائع تفضلا بالعفو

العتبي قال : أمر عبد الملك بن مروان بقطع أرزاق آل أبي سفيان وجوائزهم لموجدة وجدها على خالد بن يزيد بن معاوية فدخل عليه عمرو بن عتبة فقال : ياأمير المؤمنين ان أدنى حقك متعب وبعضه فادح لنا ولنا مع حقك علينا حق عليك باكرام سلفنا لسلفك فانظر الينا بالعين التى نظروا بها اليهم وضعنا بحيث وضعتنا الرحم منك قال عبد الملك : انما يستحق عطيتى من استعطاها فأما من ظن أنه يكتفى بنفسه فسنكله الى نفسه ثم أمر له بعطية وبلغ ذلك خالدا فقال : أبا لحرمان يهددنى يد الله فوق يده باسطة وعطاء الله دونه مبذول فأما عمرو فقد أعطى من نفسه أكثر مما أخذ لها

العتبي قال : حدثنا طارق بن المبارك عن عمرو بن عتبة قال جاءت دولة المسوّدة وأنا حديث السن كثير العيال متفرق المال فجعلت لا أنزل قبيلة من قبائل العرب الاشهرت فيها فلما رأيت أمرى لا يكتتم أتيت سليمان ابن على فاستأذنت عليه قرب المغرب فأذن لى وهو لا يعرفنى فلما صرت اليه قلت : أصلحك الله لفظتنى البلاد اليك ودلنى فضلك عليك فاما قبلتنى غانما واما رددتنى سالما قال : ومن أنت فانتسبت له فعرفنى وقال : مرحبا اقعد فتكلم غانما سالما قلت : أصلحك الله ان الحرم التى أنت أقرب الناس اليهن معنا وأولى الناس بهن بعدنا قد خفن بخوفنا ومن خاف خيف عليه قال : فاعتمد سليمان على يديه وسالت دموعه على خديه ثم قال : يا بن أخى

يحقن الله دمك و يستر حرمك ويسلم مالك ان شاء الله تعالى ولو أمكننى ذلك فى جميع قومك لفعلت فلم أزل فى جوار سليمان آمنا . وكتب سليمان الى أبى العباس أمير المؤمنين : أما بعد يا أمير المؤمنين فانا انما حاربنا بنى أمية على عقوقهم ولم نحاربهم على أرحامهم وقد دفّت الىّ منهم دافة لم يشهروا سلاحاً ولم يكثروا جمعاً وقد أحسن الله اليك فأحسن فان رأى أمير المؤمنين ان يكتب لهم أمانا ويأمر بانفاذه الى فليفعل فكتب لهم كتابا منشورا وأنفذه الى سليمان بن على فى كل من لجأ اليه من بنى أمية فكان يسميه أبو مسلم كهف الأُبّاق

ابراهيم ابن السندى قال : كنت أساير سعيد بن سَلْم حتى قيل له ان أمير المؤمنين قد غضب على رجاء بن أبى الضحاك وأمر بأخذ ماله فارتاع بذلك وجزع فقيل له : ما يروعك منه فوالله ماجعل الله بينكما نسبا ولا سببا فقال : بلى النعمة نسب بين أهلها والطاعة سبب مؤكد بين الاولياء .

وبعث بعض الملوك الى رجل وجد عليه فقال لما مثل بين يديه : أيها الأمير ان الغضب شيطان فاستعذ بالله منه وانما خلق العفو للمذنب والتجاوز للمسيء فلا تضق عما وسع الرعية من حلمك وعفوك فعفا عنه واطلق سبيله

وقال خالد بن عبد الله لسليمان بن عبد الملك حين وجد عليه : يا أمير المؤمنين ان القدرة تذهب الحفيظة وانت تجل عن العقوبة ونحن مقرون بالذنب فان تعف عنى فأهل ذلك انت وان تعاقبنى فأهل ذلك انا .

أمر معاوية ابن أبى سفيان بعقوبة روح ابن زنباع فقال : أنشدك الله يا أمير المومنين أن تضع منى خسيسة انت رفعتها أو تنقض منى مريرة انت

أبرمتها أو تشمت بى عدوا أنت وقمته الا أتى حلمك وصفحك على خطئى وجهلى فقال معاوية : خليا عنه اذا أراد الله أمرا يسره

دخل يزيد بن عمر بن هُبَيرة على أبي جعفر المنصور بعد ما كتب أمانه فقال ياأمير المؤمنين ان امارتكم بكر ودولتكم جديدة فأذيقوا الناس حلاوتها وجنبوهم مرارتها تخف على قلوبهم طاعتكم وتسرع الى أنفسهم محبتكم وما زلت مستبطئا لهذه الدعوة فلما قام قال أبو جعفر : عجبا من كل من يأمر بقتل هذا ثم قتله بعد ذلك غدرا

قال أحمد بن أبى دواد ماراينا رجلا نزل به الموت فما شغله ذلك ولا أذهله عما كان يجب أن يفعله الا تميم بن جَميل فانه كان تغلب على شاطئ الفرات وأوفى به الرسول باب أمير المؤمنين المعتصم فى يوم الموكب حين يجلس للعامة ودخل عليه فلما مثل بين يديه دعا بالنطع والسيف فاحضر أجعل تميم بن جميل ينظر اليهما ولا يقول شيئا وجعل المعتصم يصعد النظر فيه ويصوبه وكان جسيما وسيما ورأى أن يستنطقه لينظر أين جنانه ولسانه من منظره فقال : ياتميم ان كان لك عذر فأت به أو حجة فأدل بها فقال : اما اذ قد أذن لى أمير المؤمنين فانى أقول : الحمد لله الذى أحسن كل شئ خلقه وبدأ خلق الانسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين يا أمير المؤمنين ان الذنوب تخرس الالسنة وتصدع الافئدة ولقد عظمت الجريرة وكبر الذنب وساء الظن ولم يبق الا عفوك أو انتقامك وارجو أن يكون أقربهما منك وأسرعهما اليك أولاهما بامتنانك وأشبههما بخلافتك ثم أنشأ يقول

أرى الموت بين السيف والنطع كامنا ... يلاحظنى من حيث ما أتلفت

وأكبر ظنى أنك اليوم قاتلى ... وأى امرئ مما قضى الله يفلت
ومن ذا الذى يُدلي بعذر وحجة ... وسيف المنايا بين عينيه مصلت
يعز على الاوس بن تغلب موقف ... يسل علىّ السيف فيه وأسكت
وماجزعى من أن أموت واننى ... لأعلم أن الموت شئ موقت
ولكن خلفى صبية قد تركتهم ... وأكبادهم من حسرة تتفتت
كأنى أراهم حين أنعى اليهم ... وقد خمشوا تلك الوجوه وصوّتوا
فان عشت عاشوا خافضين بغبطة ... اذود الردى عنهم وان مت موّتوا
فكم قائل لا يبعد الله روحه ... وآخر جذلان يسر ويشمت

قال فتبسم المعتصم وقال : كاد والله ياتميم أن يسبق السيف العذل اذهب فقد غفرت لك الصبوة وتركتك للصبية

عتب المأمون على رجل من خاصته فقال له : ياأمير المؤمنين ان قديم الحرمة وحديث التوبة يمحوان مابينهما من الاساءة فقال : صدقت ورضى عنه

وقال النابغة الذبيانى للنعمان بن المنذر

أتانى أبيت اللعن انك لمتنى ... وتلك التى تستك منها المسامع
فبت كأنى ساورتنى ضئيلة ... من الرقش فى أنيابها السم ناقع
وكلفتنى ذنب امرئ وتركته ... كذى العر يُكوى غيره وهو راتع
فانك كالليل الذى هو مدركى ... وان خلت أن المنتأى عنك واسع

وقال فيه أيضاً

ولست بمستبق أخا لا تلمه ... على شعث أىّ الرجال المهذب
فان أك مظلوما فعبد ظلمته ... وان تك ذا عتبي فمثلك يعتب

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة ... وليس وراء الله للمرء مذهب
لئن كنت قد بلغت عنى خيانة ... لمبلغك الواشى اغش واكذب
ألم تر ان الله أعطاك سورة ... ترى كل ملك دونها يتذبذب
فانك شمس والملوك كواكب ... اذا طلعت لم يبد منهن كوكب

وقال ابن الطثريه

فهبنى امرأ اما بريئا علمته ... واما مسيئا تاب منه وأعتبا
وكنت كذى داء تبغّى لدائه ... طبيبا فلما لم يجده تطببا

ودخل أبو دلف على المأمون فقال: أنت الذى يقول فيك جبلة

انما الدنيا أبو دلف ... بين باديه ومحتضره
فاذا ولى أبو دلف ... ولت الدنيا على أثره

فقال: ياأمير المؤمنين شهادة زور وكذب شاعر وملق مستجد ولكنى الذى يقول فيه ابن أخيه

ذرينى أجوب الارض فى طلب الغنى ... فما الكرخ الدنيا ولا الناس قاسم

الكرخ منزل أبى دلف وكان اسمه قاسم بن عبد الله

وقال المنصور لمعن بن زائدة: ماأظن ماقيل عنك من ظلمك أهل اليمن واعتسافك عليهم الا حقا قال: كيف ياأمير المؤمنين قال: بلغنى عنك أنك أعطيت شاعر البيت قاله ألف دينار فأنشده البيت وهو

معن بن زائدة الذى زيدت به ... فخراً الى فخر بنو شيبان

قال. نعم ياأمير المؤمنين قد أعطيته ألف دينار لكن على قوله

مازلت يوم الهاشمية مُعلَما ... بالسيف دون خليفة الرحمن

فنمت حوزته وكنت وقاءه   من وقع كل مهند وسنان

قال فاستحيا المنصور وجعل ينكت بالمخصرة ثم رفع رأسه وقال: اجلس أبا الوليد

﴿ تذكير الملوك بذمام متقدم ﴾

قال ثُمامة بن أشرَس للمأمون لما صارت اليه الخلافة كان لى أملان أمل لك وأمل بك فأما أملى لك فقد بلغته وأما أملى بك فلا أدرى ما يكون منك فيه قال: يكون أفضل مارجوت وأملت فجعله من سماره وخاصته . وقال حبيب الشاعر

وان أولى الموالى أن تواسيه   عند السرور لمن واساك فى الحزن
ان الكرام اذا ما أسهلوا ذكروا   من كان يألفهم فى الموطن الخشن

﴿ حسن التخلص من السلطان ﴾

أبو الحسن المدائنى قال: كان العباس بن سهل والى المدينة لعبد الله ابن الزُّبَير فلما بايع الناس عبدالملك بن مروان ولى عثمان بن حيان المرِّى وأمره بالغلظة على أهل الظنة فعرّض يوما بذكر الفتنة وأهلها فقال له قائل: هذا العباس بن سهل على مافيه كان مع ابن الزبير وعمل له فقال عثمان ابن حيان: ويلى والله لأ قتلنه قال العباس: فبلغنى ذلك فتغيبت حتى اضر بى التغيب فأتيت ناسا من جلسائه فقلت لهم: مالى أخاف وقد أمّننى عبد الملك بن مروان فقالوا: والله مايذكرك الا تغيظ عليك وقلما كلم على طعامه فى ذنب الا انبسط فلو تنكرت وحضرت عشاءه وكلمته قال: ففعلت

وقلت على طعامه وقد أتى بجفنة ضخمة ذات ثريد ولحم والله لكأنى أنظر الى جفنة حيان بن معبد والناس يتكاوسون عليها وهو يطوف فى حاشيته يتفقد مصالحها يسحب أردية الخز حتى أن الحسك ليتعلق به فما يميطه ثم يؤتى بجفنة تهادى بين أربعة مايستقلون بها الا بمشقة وعناء وهذا بعد ما يفرغ الناس من الطعام ويتنحون عنه فيأتى الحاضر من أهله والطارئ من أشراف قومه وما بأكثرهم من حاجة الى الطعام وماهو الا الفخر بالدنو من مائدته والمشاركة ليده قال : هيه أنت رأيت ذلك قلت : أجل والله قال لى : ومن أنت قلت : وأنا آمن قال : نعم قلت: العباس بن سهل بن سعد الانصارى قال : مرحبا وأهلا أهل الشرف والحق قال : فلقد رأيتنى بعد ذلك وما بالمدينة رجل أوجه منى عنده فقيل له بعد ذلك : أنت رأيت حيان ابن معبد يسحب أردية الخز ويتكاوس الناس على مائدته فقال : والله لقد رأيته ونزلنا الماء وغشينا وعليه عباءة ذكوانية فقد جعلنا نذوده عن رحلنا مخافة أن يسرقه

كان معن بن زائدة قد أمر بقتل جماعة من الاسرى فقام اليه أصغر القوم فقال له : يامعن أتقتل الاسرى عطاشا فأمر لهم بالماء فلما سقوا قال : يامعن أتقتل ضيفانك فأمر معن باطلاقهم

لما أتى عمر بن الخطاب بالهرمزان أسيراً دعاه الى الاسلام فأبى عليه فأمر بقتله فلما عرض عليه السيف قال : لو أمرت لى يا أمير المؤمنين بشربة من ماء فهو خير من قتلى على الظمأ فأمر له بها فلما صار الاناء بيده قال : أنا آمن حتى أشرب قال : نعم فألقى الاناء من يده وقال : الوفاء يا أمير المؤمنين

نور أبلج قال : لك التوقف حتى أنظر فى أمرك ارفعا عنه السيف فلما رفع عنه قال : الآن أشهد أن لا اله الا الله وحده لاشريك له وأن محمدا عبده ورسوله فقال له عمر ويحك أسلمت خير اسلام فما أخرك قال : خشيت يا أمير المؤمنين ان يقال ان اسلامى انما كان جزعا من الموت فقال عمر : ان لفارس حلوما بها استحقت ما كانت فيه من الملك ثم كان عمر يشاوره بعد ذلك فى اخراج الجيوش الى أرض فارس ويعمل برأيه

أمر مصعب بن الزبير برجل من أصحاب المختار ان تضرب عنقه فقال : أيها الامير ما أقبح بك ان أقوم يوم القيامة الى صورتك هذه الحسنة ووجهك هذا الذى يستضاء به فأتعلق بأطرافك وأقول : أى رب سل هذا فيم قتلنى قال : أطلقوه وانى جاعل ماوهبت له من حياته فى خفض أعطوه مائة الف قال الاسير : بأبى أنت وأمى أشهد أن لقيس الرُّقَيَّات منها خمسين ألفا قال : ولم قال : لقوله

انما مصعب شهاب من الله تجلت عن وجهه الظلماء

وأتى الحجاج بأسرى فأمر بقتلهم فقال له رجل منهم : لاجزاك الله ياحجاج عن السنة خيرا فان الله تعالى يقول اذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى اذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فاما منا بعد واما فداء فهذا قول الله فى كتابه وقد قال شاعركم فيما وصف به قومه من مكارم الاخلاق

وما نقتل الاسرى ولكن نفكهم اذا أثقل الاعناق حمل المغارم

فقال الحجاج : ويحكم أعجزتم ان تخبرونى بما أخبرنى هذا المنافق وامسك

أبو بكر بن أبي شيبة قال : دخل عبد الرحمن بن أبي ليلى على الحجاج فقال لجلسائه : ان أردتم ان تنظروا الى رجل يسب أمير المؤمنين عثمان بن عفان فهذا عندكم يعنى عبد الرحمن فقال عبد الرحمن : معاذ الله أيها الامير ان أكون أسب أمير المؤمنين انه ليحجزني عن ذلك ثلاث آيات في كتاب الله تعالى قال الله تعالى للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون فكان عثمان منهم ثم قال والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم الآية فكان أبي منهم ثم قال والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان الآية فكنت أنا منهم فقال صدقت

لما أتى الحجاج بأسرى الجماجم أتى فيهم بعامر الشعبي ومُطَرّف بن عبد الله ابن الشخّير وسعيد ابن جُبير وكان الشعبي ومطرف يريان التقية وكان سعيد بن جبير لا يراها وكان قد تقدم كتاب عبد الملك بن مروان الى الحجاج في أسرى الجماجم أن يعرضهم على السيف فمن أقر منهم بالكفر في خروجهم علينا فيخلى سبيله ومن زعم أنه مؤمن فيضرب عنقه فقال الحجاج للشعبي : وأنت ممن ألب علينا مع ابن الأشعث أشهد على نفسك بالكفر فقال: أصلح الله الأمير نبا بنا المنزل وأحزن بنا الجناب واستحلسنا الخوف واكتحلنا السهر وخبطتنا فتنة لم نكن فيها بررة أتقياء ولا فجرة أقوياء قال : لله أبوك لقد صدقت ما بررتم بخروجكم علينا ولا قويتم خلوا سبيل الشيخ ثم قال لمطرف : أتقر على نفسك بالكفر قال : أصلح الله الأمير ان من شق العصا وسفك الدماء ونكث البيعة وفارق الجماعة وأخاف المسلمين لجدير بالكفر

فخلى سبيله ثم قال لسعيد بن جبير : أتقر على نفسك بالكفر قال : ما كفرت منذ آمنت بالله فضرب عنقه ثم استعرض الاسرى فمن أقر بالكفر خلى سبيله ومن أبى قتله حتى أتى بشيخ وشاب فقال للشاب : أكافر أنت قال : نعم قال : لكن الشيخ لا يرضى بالكفر فقال له الشيخ : أعن نفسى تخادعنى ياحجاج والله لو علمت أعظم من الكفر لقلته فضحك الحجاج وخلى سبيله

العتبي قال : دخل جامع المحاربى على الحجاج وكان جامع شيخا صالحا خطيبا لبيبا جريئا على السلطان وهو الذى قال للحجاج اذ بنى مدينة واسط بنيتها فى غير بلدك وتورثها غير ولدك فجعل الحجاج يشكو سوء طاعة أهل العراق وقبح مذهبهم فقال له جامع : أما أنهم لو أحبوك لأطاعوك على أنهم ماشنؤوك لنسبك ولا لبلدك ولا لذات نفسك فدع عنك ما يبعدهم منك الى مايقربهم اليك والتمس العافية ممن دونك تعطها ممن فوقك وليكن ايقاعك بعد وعيدك ووعيدك بعد وعدك قال الحجاج : ماأرى أن أردهم الى طاعتى الا بالسيف قال : أيها الأمير ان السيف اذا لاقى السيف ذهب الخيار قال الحجاج : الخيار يومئذ لله قال : أجل ولكنك لاتدرى لمن يجعله الله فغضب وقال : ياهناه انك من محارب فقال جامع .

وللحرب سمينا وكنا محاربا ... اذا ما القنا أمسى من الطعن أحمرا

فقال الحجاج والله لقد هممت بأن أخلع لسانك فأضرب به وجهك قال جامع ، ان صدقناك أغضبناك وان غششناك أغضبنا الله فغضب الامير أهون علينا من غضب الله قال ، أجل وسكن وشغل الحجاج ببعض الامر فانسل جامع فمر بين الصفوف من أهل الشام حتى جاوزها الى صفوف

العراق فأبصر كبكبة فيها جماعة من بكر العراق وقيس العراق وتميم العراق وأزد العراق فلما رأوه اشرأبوا اليه وقالوا له ، ماعندك دفع الله عنك قال : ويحكم عموه بالخلع كما يعمكم بالعداوة ودعوا التعادي ما عادا كم فاذا ظفرتم تراجعتم وتعافيتم أيها التميمى هو أعدى لك من الازدى وأيها القيسي هو أعدى لك من التغلبي وهل ظفر بمن ناوأه منكم الا بمن بقى معه منكم وهرب جامع من فوره ذلك الى الشام واستجار بزُفَر بن الحارث فأجاره

العتبي قال : لما أتى بابن هبيرة الى خالد بن عبد الله القَسْرى وهو والى العراق أتى به مغلولا مقيداً فى مدرعة فلماصار بين يدى خالد ألقته الرجال الى الارض فقال : أيها الامير ان القوم الذين أنعموا عليك بهذه النعمة قد أنعموا بها على من قبلك فأنشدك الله أن تستن فىّ بسنة يستن بها فيك من بعدك فأمر به الى الحبس فأمر ابن هبيرة غلمانه فحفروا له تحت الارض سردابا حتى خرج الحفر تحت سريره ثم خرج منه ليلا وقد أعدت له أفراس يداولها حتى أتى مَسلمة بن عبد الملك فاستجار به فأجاره واستوهبه مَسلمة بن عبد الملك من هشام فوهبه اياه فلما قدم خالد بن عبد الله القسرى على هِشام وجد عنده ابن هبيرة فقال له : أباقَ العبد أبقت قال له حين نمت نومة الامة فقال الفرزدق فى ذلك

ولما رأيت الارض قد سد ظهرها ... فلم يبق الا بطنها لك مخرجا
دعوت الذى ناداه يونسُ بعد ما ... ثوى فى ثلاثٍ مظلماتٍ ففرجا
فأصبحت تحت الارض قد سرت ليلة ... وما سارَ سارٍ مثلها حين أدلجا
خرجت ولم تمنن عليك طلاقة ... سوى حثك التقريب من آل أعوجا

ودخل الناس على ابن هبيرة بعد ماأمنه هشام بن عبد الملك يهنئونه ويحمدون له رأيه فقال متمثلا

من يلق خيرا يحمد الناس أمره ومن يغو لا يعدم على الغى لائما

ثم قال لهم : ما كان قولكم لو عرض لى أو أدركت فى طريق . ومثل هذا قول القطامى

والناس من يلق خيرا قائلون له مايشتهى ولأم المخطئ الهبل

﴿ فضيلة العفو والترغيب فيه ﴾

كان للمأمون خادم وهو صاحب وَضوئه فبينا هو يصب الماء على يديه اذ سقط الاناء من يده فاغتاظ المأمون منه فقال : ياأمير المؤمنين ان الله يقول والكاظمين الغيظ قال : قد كظمت غيظى عنك قال : والعافين عن الناس قال : قدعفوت عنك قال والله يحب المحسنين قال : اذهب فأنت حر . أمر عمر بن عبد العزيز بعقوبة رجل فقال له رجاء بن حَيوَة : ياأمير المؤمنين ان الله قد فعل ماتحب من الظفر فافعل مايحبه من العفو . الأصمعى قال : عزم عبد الله بن علىّ على قتل بنى أمية بالحجاز فقال عبد الله بن حسين بن حسن بن على بن أبي طالب رضى الله عنهم : اذا شرعت بالقتل في اكفائك فمن تباهي بسلطانك فاعف يعف الله عنك . دخل ابن خُرَيْم على المهدى وقد عتب على بعض أهل الشام وأراد أن يغزيهم جيشا فقال : ياأمير المؤمنين عليك بالعفو عن المذنب والتجاوز عن المسئ فلأن تطيعك العرب طاعة محبة خير لك من أن تطيعك طاعة خوف . وقال الاحنف بن قيس : أحق

الناس بالعفو أقدرهم على العقوبة . وقال النبي صلى الله علية وسلم أقرب مايكون العبد من غضب الله اذا غضب . وتقول العرب فى أمثالها ملكت فأسجح وارحم ترحم وكما تدين تدان ومن يرُ يوما يُرَ به

﴿ بعد الهمة وشرف النفس ﴾

قال زياد بن ظَبْيان لابنه عبيد الله : ألا أوصى بك الامير زيادا قال : ياأبت اذا لم يكن للحى الاوصية الميت فالحى هو الميت . وقال معاوية لعمرو ابن سعيد : الى من أوصى بك أبوك قال : ان أبى أوصى الىّ ولم يوص بى قال : وبِمَ أوصى اليك قال : أن لا يفقد اخوانه منه الا وجهه . ومن اشرف الناس همة عقيل بن عَلَّفة المُرّى وكان اعرابيا يسكن البادية وكان تصهر اليه الخلفاء وخطب اليه عبد الملك بن مروان ابنته لاحد أولاده فقال له : جنبنى هُجَناء ولدك . ودخل الفرزدق على سليمان بن عبد الملك فقال له : من أنت وتجهم له كأنه لا يعرفه فقال له الفرزدق وما تعرفنى يا أمير المؤمنين قال : لا قال : أنا من قوم منهم أوفى العرب وأسود العرب وأجود العرب وأحلم العرب وأفرس العرب وأشعر العرب قال : والله لتبيّنن ما قلت أو لأوجعن ظهرك ولأهدمن دارك قال : نعم يا أمير المؤمنين اما أوفى العرب فحاجب بن زُرارة الذى رهن قوسه عن جميع العرب فوفى بها وأما أسود العرب فقيس بن عاصم الذى وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم فبسط له رداءه وقال هذا سيد الوبر وأما أحلم العرب فعَتّاب بن ورقاء الرياحى وأما أفرس العرب فالحُرَيْش بن عبد الله السعدى وأما أشعر العرب فهأنذا بين

يديك يا أمير المؤمنين فاغتم سليمان مما سمع من فخره ولم ينكره وقال ارجع على عقبيك فمالك عندنا شئ من خير فرجع الفرزدق وقال

أتيناك لا من حاجة عرضت لنا ... اليك ولا من قلة فى مُجاشع

وقال الأحوص فى الفخر وهو أفخر بيت قالته العرب

مامن مصيبة نكبة أرمى بها ... الا تشرفنى وترفع شانى

واذاسألت عن الكرام وجدتنى ... كالشمس لا تخفى بكل مكان

وممن شرفت نفسه وبعدت همته طاهر بن الحسين الخُراسانى وذلك انه لما قتل محمد بن زبَيدة وخاف المأمون أن يغدِر به امتنع عليه بخراسان ولم يظهر خلعه وقال

أيسومنى المأمون خطة عاجز ... أوَ ماراى بالامس رأس محمد

يُوفِى على رأس الخلائق مثل ما ... تُوفِى الجبال على رؤُس الفدفد

انى من القوم الذين هم هم ... قتلوا أخاك وأقعدوك بمرصد

وهو القائل

غضبتُ على الدنيافأنهبتُ ماحوت ... واعقبتها منى بأحدى المتالف

قتلت أمير المؤمنين وانما ... بقيتُ فناءً بعده للخلائف

وقد بقيتْ فى أم رأسى فتكةً ... فأما لرشد أو لرأى مخالف

العلم والادب

قال ابن عبد ربه . قد مضى قولنا فى مخاطبة الملوك ومقاماتهم وما تفننوا فيه من بديع حكمهم والتزلف اليهم بحسن التوصل ولطيف المعانى وبارع منطقهم واختلاف مذاهبهم ونحن قائلون بحمد الله وتوفيقه فى العلم والادب فانهما القطبان اللذان عليهما مدار الدين والدنيا وفرق ما بين الانسان وسائر الحيوان وما بين الطبيعة الملكية والطبيعة البهيمية وهو مادة العقل وسراج البدن ونور القلب وعماد الروح وقد جعل الله بلطيف قدرته وعظيم سلطانه بعض الاشياء عمَداً لبعض ومتولداً من بعض فأجالة الوهم فيما تدركه الحواس تبعث خواطر الذكر وخواطر الذكر تنبه روية الفكر وروية الفكر تثير مكامن الارادة والارادة تحكم أسباب العمل فكل شئ يقوم فى العقل ويمثل فى الوهم يكون ذكراً ثم فكراً ثم ارادة ثم عملا والعقل متقبل للعلم لا يعمل فى غير ذلك شيئا والعلم علمان علم حُمِل وعلم استعمل فما حمل منه ضر وما استعمل نفع والدليل على ان العقل انما يعمل فى تقبل العلوم كالبصر فى تقبل الألوان والسمع فى تقبل الاصوات أن العاقل اذا لم يعلم شيئا كان كمن لا عقل له والطفل الصغير لو لم تعرفه أدبا وتلقنه كتابا كان كأبله البهائم وأضل الدواب فان زعم زاعم فقال : انا نجد عاقلا قليل العلم فهو يستعمل عقله فى قلة علمه فيكون أشد رأيا وأنبه فطنة وأحسن موارد ومصادر من الكثير العلم مع قلة العقل فان حجتنا عليه ما قد ذكرنا من حمل العلم واستعماله فقليل العلم يستعمله

العقل خير من كثيره يحفظه القلب

﴿ فنون العلم ﴾

قال عبد الله بن مُسلم بن قُتَيبة : من أراد أن يكون عالما فليطلب فنا واحدا ومن أراد أن يكون أديبا فليتفنن فى العلوم . وقال ابن سيرين : العلم أكثر من ان يحاط به فخذوا من كل شئ أحسنه

﴿ الحض على طلب العلم ﴾

قال النبي صلى الله عليه وسلم . لا يزال الرجل عالما ماطلب العلم فاذا ظن أنه قد علم فقد جهل . وقيل لأبي عمرو بن العَلاء :هل يحسن بالشيخ أن يتعلم ؟ قال : ان كان يحسن به أن يعيش فانه يحسن به أن يتعلم . وقال عُروة ابن الزبَير: يابنى اطلبوا العلم فان تكونوا صغارا لا يحتاج اليكم فعسى أن تكونوا كبار قوم آخرين لا يستغنى عنكم وقال رُؤبة بن العَجّاج : قال لى النسّابة البكري : يارؤبة لعلك من قوم ان سكتُّ عنهم لم يسألونى وان حدثتهم لم يَفهمونى قلت : انى أرجو أن لا أكون كذلك قال : فما آفة العلم ونُكرته وهُجنته ؟ قلت : تخبرنى قال : آفته النسيان ونكرته الكذب وهجنته نشره عند غير أهله . وقال بعض الحكماء : اقصد من أصناف العلم الى ماهو أشهى لنفسك وأخف على قلبك فان نفاذك فيه على حسب شهوتك له وسهولته عليك

﴿ فضيلة العلم ﴾

قال عليه الصلاة والسلام : يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف القائلين وانتحال المبطلين . وقال أبو الاسود الدؤلى : الملوك حكام على الدنيا والعلماء حكام على الملوك . وقال سفيان بن عيينة : انما العالم مثل السراج من جاء اقتبس من علمه ولا ينقصه شيئاً كما لا ينقص القابس من نور السراج شيئاً

﴿ ضبط العلم والتثبت فيه ﴾

قيل لمصقلة : ما أكثر شكك قال : محاماة عن اليقين . وقال : أيوب : ان من أصحابي من أرتجي بركة دعائه ولا أقبل حديثه . وقال الحكماء . علم علمك من يجهل وتعلم ممن يعلم فاذا فعلت ذلك حفظت ماعلمت وعلمت ما جهلت . وقال الخليل بن أحمد . انك لا تعرف خطأ معلمك حتى تجلس عند غيره

﴿ انتحال العلم ﴾

قال بعض العلماء . لاينبغي لاحد أن ينتحل العلم فان الله عز وجل يقول وما أوتيتم من العلم الا قليلا . وقال قتادة : حفظت مالم يحفظ أحد وأنسيت مالم ينس أحد حفظت القرآن في سبعة أشهر وقبضت على لحيتي وانا أريد قطع ما تحت يدي فقطعت ما فوقها

شرائط العلم

قالوا : لا يكون العالم عالما حتى تكون فيه ثلاث خصال لا يحتقر من دونه ولا يحسد من فوقه ولا يأخذ على العلم ثمنا . وقالوا : ماقرن شيء الى شيء أفضلَ من حلم الى علم ومن عفو الى قدرة . وقالوا : من تمام آلة العالم أن يكون شديد الهيبة رزين المجلس وقورا صموتا بطيء الالتفات قليل الاشارات ساكن الحركات لا يصخب ولا يغضب ولا يَبهَر فى كلامه . وقال عبدالله بن المبارك فى مالك بن أنس

يأبى الجوابَ فما يُراجَع هيبة والسائلون نواكس الاذقان
هَدى الوقار وعز سلطان التقى فهو المهيب وليس ذا سلطان

ودخل رجل على عبدالملك بن مروان وكان لا يسأله عن شيء الا وجد عنده منه علما فقال : أنّى لك هذا فقال : لم أَمنع قط يا أمير المؤمنين علما أُفيده ولم أحتقر علما أستفيده وكنت اذا لقيت الرجل أخذت منه وأعطيته

حفظ العلم واستعماله

قال مالك بن دينار : العالم اذا لم يعمل بعلمه زلت موعظته عن القلب كما يزل الماء عن الصفا . وقالوا : الكلمة اذا خرجت من القلب وقعت فى القلب واذا خرجت من اللسان لم تجاوز الآذان . وروى زياد عن مالك قال : كن عالما أو متعلما واياك والثالثة فانها مهلكة ولا تكون عالما حتى تكون عاملا ولا تكون مؤمنا حتى تكون تقيا

﴿ تحامل الجاهل على العالم ﴾

قال النبي صلى الله عليه وسلم : ويل لعالم أمر من جاهله . وقالوا : اذا أردت أن تُفحم عالما فأحضره جاهلا . وقالوا لا تناظر جاهلا ولا لجوجا فانه يجعل المناظرة ذريعة الى التعلم بغير شكر

﴿ تبجيل العلماء وتعظيمهم ﴾

قال على بن أبى طالب من حق العالم عليك اذا أتيته أن تسلم عليه خاصة وعلى القوم عامة وتجلس قدامه ولا تشر بيدك ولا تغمز بعينيك ولا تقل قال فلان خلاف قولك ولا تأخذ بثوبه ولا تُلح عليه فى السؤال فانما هو بمنزلة النخلة المرطبة لا يزال يسقط منها شئ

﴿ أخبار العلماء والأدباء ﴾

قال مالك بن دينار . من طلب العلم لنفسه فالقليل منه يكفيه ومن طلب العلم للناس فحوائج الناس كثيرة . دخل عُروة بن الزبَير بستانا لعبد الملك بن مروان فقال عروة : ما أحسن هذا البستان فقال له عبد الملك : أنت والله أحسن منه هذا يؤتى أكله كل عام وأنت تؤتى أكلك كل يوم . وقيل لأهل مكة : كيف كان عطاء فيكم فقالوا : كان والله مثل العافية لا يعرف فضلها حتى تفقد . وكان عبيد الله بن عبد الله بن عُتبة فقيها شاعرا وكان أحد السبعة من فقهاء المدينة لقيه سعيد بن المُسيّب فقال له : أنت الفقيه الشاعر قال : لابد للمصدور أن ينفث . كان الحسن فى جنازة فيها نوائح ومعه

سعيد بن جُبير فهم سعيد بالانصراف فقال له الحسن : ان كنت كلما رأيت قبيحا تركت له حسنا أسرع ذلك فى دينك . أمر الحجاج ان لا يؤم بالكوفة الا عربى وكان يحيي بن وَثاب يؤم قومه بنى أسدوهو مولى لهم فقالوا له . اعتزل فقال . ليس عن مثلى نهى انا لاحق بالعرب فأبوا فأتى الحجاج فقرأ فقال . من هـذا فقالوا . يحيى بن وثاب قال . ماله قالوا . أمرت أن لا يؤم بالكوفة الاعربى فنحاه قومه فقال . ليس عن مثل هذا نهيت يصلى بهم قال . فصلى بهم الفجر والظهر والعصر والمغرب والعشاء ثم قال . اطلبوا اماما غيرى انما أردت أن لا تستذلونى فأما اذ صار الامر لى فأنا لا أؤمكم ولا كرامة . وذكر عبدالملك بن مروان رَوْح بن زِنباع فقال . ما أعطى أحد ما أعطى ابو زرعة أعطى فقه أهل الحجاز ودهاء أهل العراق وطاعة أهل الشام . كان يجلس الى سفيان فتى كثير الفكرة طويل الاطراق فأراد سفيان أن يحركه ليسمع كلامه فقال: يافتى ان من قبلنا مروا على خيل عتاق وبقينا على حمير دَبِرة فقال . ياأبا عبدالله ان كنا على الطريق فما أسرع لحوقنا بالقوم . وكان ابراهيم النَّخَعى فى طريق فلقيه الاعمش فانصرف معه فقال له ياابراهيم ان الناس اذا رأونا قالوا أعمش وأعور قال . وما عليك أن يأثموا ونؤجر قال . وما عليك أن يسلموا ونسلم . قيل لأبى نُوَاس . قد بعثوا فى طلب أبى عُبَيده والاصمعى ليجمعوا بينهما قال . أما أبو عبيدة فان مكنوه من سِفره قرأ عليهم أساطير الأولين وأما الاصمعى فبلبل فى قفص يطربهم بصفيره .

﴿ قولهم فى حملة القرآن ﴾

قال رجل لابراهيم النخعي . انى أختم القرآن كل ثلاث قال . ليتك تختمه كل ثلاثين وتدرى أى شئ تقرأ . وقالت عائشة رضى الله عنها . كانت تنزل علينا الآية فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فنحفظ حلالها وحرامها وأمرها وزجرها ولا نحفظها . وقال عليه السلام : سيكون فى أمتى قوم يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية هم شر الخلق والخليقة

﴿ العقل ﴾

قال سحبان وائل . العقل بالتجارب لان عقل الغريزة سلم الى عقل التجربة ولذلك قال على بن أبى طالب . رأى الشيخ خير من جلد الشاب وعلى العاقل ان يكون عالما بأهل زمانه مقبلا على شانه . وقال الحسن البصرى . لسان العاقل وراء قلبه فاذا أراد الكلام تفكر فان كان له قاله وان كان عليه سكت وقلب الاحمق من وراء لسانه فاذا أراد ان يقول قال . دخل رجل على سليمان ابن عبد الملك فتكلم بكلام أُعجب منه سليمان فأراد ان يختبره لينظر عقله على قدر كلامه أم لا فوجده مضموفا فقال . فضل العقل على المنطق حكمة وفضل المنطق على العقل هُجنة وخير الامور ماصدق بعضه بعضا . وسئل المغيرة بن شعبة عن عمر فقال . كان والله أفضل من ان يَخدع واعقل من ان يُخدع . وقال زياد . ليس العاقل الذى اذا وقع فى الامر احتال له ولكن العاقل يحتال للامر حتى لا يقع فيه . وقيل لعمرو بن العاص . ما العقل

فقال ، الاصابة بالظن ومعرفة ما يكون بما قد كان . قال محمد بن مُناذِر

وترى الناس كثيراً فاذا ... عد أهل العقل قلوا فى العدد
لا يقل المرء فى القصد ولا ... يعدم القلة من لم يقتصد
لاتعد شرا وعد خيرا ولا ... تخلف الوعد وعجل ما تعد
لا تقل شعرا ولا تهمم به ... واذا ماقلت شعراً فأجد

وكان هَوْذة بن على الحنفى يجيز لَطيمة كسرى فى كل عام (واللطيمة عِير تحمل الطيب والبز) فوفد على كِسرى فسأله عن بنيه فسمى له عددا فقال . أيهم أحب اليك . قال الصغير حتى يَكْبَرَ والغائب حتى يرجع والمريض حتى يُفيق فقال له . ما غِذاؤك فى بلدك قال . الخبز فقال كسرى لجلسائه هذا عقل الخبز يفضّله على عقول أهل البوادى الذين غذاؤهم اللبن والتمر . وقال الأحنف بن قيس . أنا للعاقل المدبر أرجى منى للأحمق المُقبل

﴿ الحكمة ﴾

قال عليه السلام ، الحكمة ضالة المؤمن يأخذها ممن سمعها ولا يبالى فى أى وعاء خرجت . قيل لقُس بن ساعدة . ماأفضل المعرفة قال . معرفة الرجل نفسه قيل له ، فما أفضل العلم قال . وقوف المرء عند علمه قيل له . فماأفضل المروءة قال استبقاء الرجل ماء وجهه . وقالوا . ثلاثة لابقاء لها ظل الغمام وصحبة الأشرار والثناء الكاذب . وقالوا . ثلاثة لاتعرف الا فى ثلاثة ذو البأس لايعرف الا عند اللقاء وذو الأمانة لايعرف الا عند الأخذ والعطاء والاخوان لايعرفون الا عند النوائب . وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

أخوف ما أخاف عليكم شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه وقالوا . اذا قدُمت المصيبة تُركت التعزية واذا قدم الاخاء سمج الثناء . قال أزدَشير ابن بابَك . ان للآذان مجّة وللقلوب مللا ففرّقوا بين الحكمتين يكن ذلك استجماما

﴿ البلاغة وصفتها ﴾

قيل لرجل ما البلاغة فقال . ايجاز الكلام وحذف الفضول وتقريب البعيد . وقيل لبعضهم ، ما البلاغة قال . أن لا يؤتى القائل من سوء فهم السامع ولا يؤتى السامع من سوء بيان القائل وسمع خالد بن صفوان رجلا يتكلم ويكثر فقال . اعلم رحمك الله ان البلاغة ليست بخفة اللسان وكثرة الهذيان ولكنها باصابة المعنى والقصد الى الحجة . وقال رجل للعتّابي . ما البلاغة فقال كل من بلغك حاجته وأفهمك معناه بلا اعادة ولا حُبسة ولا استعانة فهو بليغ وقال ربيعة الرأى . انى لأسمع الحديث عطلا فأشنفه وأقرطه فيحسن وما زدت فيه شيئا ولا غيرت فيه معنى

﴿ فصول من البلاغة ﴾

قيل لابن السماك الاسدى أيام معاوية . كيف تركت الناس قال . تركتهم بين مظلوم لا ينتصف وظالم لا ينتهى . ولقى الحسين بن على الفرزدق فى مسيره الى العراق فسأله عن الناس فقال . القلوب معك والسيوف عليك والنصر فى السماء . وشكا قوم الى المسيح عليه السلام ذنوبهم فقال اتركوها تغفر لكم . مرّ عمرو بن عبيد بسارق يُقطع فقال . سارق

السريرة قطع سارق العلانية . وقيل للخليل بن أحمد : مالك تروى الشعر ولا تقوله قال . لأنى كالمسن أشحذ ولا أقطع . وذكر شبيب بن شَبة خالد ابن صفوان فقال . ليس له صديق فى السر ولا عدو فى العلانية . وقال المنصور لعمرو بن عبيد أعِنّى بأصحابك فقال . ارفع عَلَم الحق يتبعك أهله

﴿ الحلم ودفع السيئة بالحسنة ﴾

قال الله تعالى . ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتى هى أحسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم . شتم رجل أبا ذر فقال . ياهذا لا تُغرق وَدَعْ للصلح موضعا فانا لا نكافئ من عصى الله فينا بأكثر من أن نطيع الله فيه . ومرّ المسيح عليه السلام بقوم فقالوا له شراً فقال خيراً فقيل له . انهم يقولون شراً وتقول لهم خيراً فقال . كل واحد ينفق مما عنده . وقال الشاعر

وذى رحم قلمت أظفار جهله ... بحلمى عنه حين ليس له حلم
اذا سُمته وصل القرابة سامنى ... قطيعتها تلك السفاهة والاثم
فداويته بالحلم والمرء قادر ... على سهمه ما كان فى كفه السهم

قيل للاحنف بن قيس . ممن تعلمت الحلم قال . من قيس بن عاصم المِنقَرى رأيته قاعداً بفِناء داره محتبيا بحمائل سيفه يحدث قومه حتى أُتِىَ برجل مكتوف ورجل مقتول فقيل له هذا ابن أخيك قتل ابنك فوالله ماحل حُبوته ولا قطع كلامه ثم التفت الى ابن أخيه وقال له . يا ابن أخى أَثِمت بربك ورميت نفسك بسهمك وقتلت ابن عمك ثم قال لابن له آخر . قم

يابنى فوارِ أخاك وحل كتاف ابن عمك وسُق الى أمه مائة ناقة دية ابنها فانها غريبة ثم أنشأ يقول

انى امرؤ لا يطّبى حسبي ... دنس يهجّنه ولا أفن

مِنْ مِنقرٍ فى بيت مكرمة ... والغصن ينبت حوله الغُصُن

خُطباء حين يقول قائلهم ... بيض الوجوه أعفة لُسن

لا يفطنون لعيب جارهم ... وهم لحفظ جوارهم فطن

وقيل للاحنف بن قيس . من أحلم أنت أم معاوية فقال . تالله ما رأيت أجهل منكم ان معاوية يقدر فيحلم وأنا أحلم ولا أقدر فكيف أقاس عليه أو أدانيه . وقال معاوية انى لأستحي من ربى أن يكون ذنب أعظم من عفوى أو جهل أكبر من حلمى أو عورة لا أواريها بسترى . وقال على بن أبى طالب . من لانت كلمته وجبت محبته . وقال . رب غيظٍ تجرعته مخافة ما هو أشد منه . ومن أحسن بيت فى الحلم قول كعب بن زهير

اذا أنت لم تعرض عن الجهل والخنا ... أصبت حليما أو أصابك جاهل

﴿ السوودد ﴾

قيل لقيس بن عاصم . بم سوّدك قومك فقال . بكف الاذى وبذل الندى ونصر المولى . قدم أوس بن حارثة وحاتم بن عبد الله الطائيان على النُّعمان بن المنذر فقال النعمان لاياس بن قبيصة الطائى . أيهما أفضل فقال . أبيت اللعن أيها الملك انى من أحدهما ولكن سلهما عن أنفسهما فانهما يخبرانك فدخل عليه أوس فقال له . أنت أفضل أم حاتم فقال . أبيت اللعن ان أدنى

ولد حاتم أفضل مني ولو كنت أنا وولدي ومالي لحاتم لوهبنا في غداة واحدة . ثم دخل عليه حاتم فقال له . أنت أفضل أم أوس فقال . أبيت اللعن ان أدنى ولد أوس أفضل مني فقال النعمان . هذا والله السودد وأمر لكل واحد منهما بمائة من الابل . ونظر رجل الى معاوية وهو صغير فقال . انى أظن هذا الغلام سيسود قومه فسمعت أمه هند فقالت . ثكلته ان لم يسد غير قومه . ودخل ضَمْرة بن أبي ضمرة على النُّعمان وكانت به دمامة شديدة فالتفت النعمان الى أصحابه وقال . تسمع بالمُعَيدى خير من أن تراه فقال . أيها الملك انما المرء بأصغريه قلبه ولسانه فان قال قال ببيان وان قاتل قاتل بجَنان قال : صدقت وبحق سودك قومك . قال قيس بن عاصم لبنيه لما حضرته الوفاة : احفظوا عني فلا أحد أنصح لكم مني اذا أنا مُتّ فسوّدوا كباركم ولا تسوّدوا صغاركم فيحقِر الناس كباركم

﴿ سودد الرجل بنفسه ﴾

قال النبي صلى الله عليه وسلم . من أسرع به عمله لم يبطئ به نسبه ومن أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه . وقال عبدالله بن معاوية

لسنا وان أحسابنا كرمت ... يوما على الآباء نتكل
نبني كما كانت أوائلنا ... تبني ونفعل مثل مافعلوا

وقال عامر بن الطفيل العامري

واني وان كنت ابن سيد عامر ... وفارسها المشهور في كل موكب
فما سودتني عامر عن وراثة ... أبى الله أن أسمو بأم ولا أب

ولـكنني أحمي حماها وأتقي اذاها وأرمي من رماها بمنكبي

﴿ المروءة ﴾

قال عليه السلام : لادين الا بمروءة . وقال عمر بن الخطاب : المروءة مروءتان مروءة ظاهرة ومروءة باطنــة فالمروءة الظـاهرة الرياش والمروءة الباطنة العفاف . وقدم وفد على معاوية فقال لهم : ما تعدون المروءة فيكم ؟ فقالوا : العفاف واصلاح المعيشة . وقال الاحنف : لامروءة لـكذوب ولا سودد لبخيــل ولا ورع لسيئ الخلق . وقال العُتبي عن أبيــه : لا تتم مروءة الرجل الا بخمس أن يكون عالما صادقا عاقلا ذا بيان مستغنيا عن الناس . وقيل لعبد الملك بن مروان : أكان مُصعَب بن الزُبَير يشرب الطلاء ؟ فقال : لو علم مصعب أن الماء يفسد مروءته ماشربه

﴿ طبقات الرجال ﴾

قال الحسن . الرجال ثلاثة فرجل كالغِذاء لايستغنى عنه ورجل كالدواء لا يحتاج اليه الا حينا بعد حين ورجل كالداء لايحتاج اليه أبدا . وقالت الحكماء . الاخوان ثلاثة فأخ يخلص لك وده ويبذل لك رفده ويستفرغ في مهمتك جهده وأخ ذو نية يقتصر بك على حسن نيته دون رفده ومعونته وأخ يتملق لك بلسانه ويتشاغل عنك بشأنه ويوسعك من كذبه وأَيْمانه

﴿ التفاؤل بالأسماء ﴾

كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أمرائه لاتبردوا الى بَريداً الا

حسن الوجه حسن الاسم . ولما فرغ المهلب بن أبي صفرة من حرب الازارقة وجه بالفتح الى الحجاج رجلا يقال له مالك بن بَشير فلما دخل على الحجاج قال له . ما اسمك قال . مالك بن بشير قال . ملك وبشارة . وقال الشاعر

واذا تكون كريهة فرّجتها ... أدعو بأسلمَ مرةً ورباحْ

يريد التطير بأسلم ورباح للسلامة والربح . الرّياشي عن الأصمعي قال : لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة نزل على رجل من الانصار فصاح الرجل بغلاميه ياسالم ويايسار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : سلمت لنا الدار في يسر

وانما تطيرت العرب من الغراب للغربة اذ كان اسمه مشتقا منها وقال أبو الشيص

أشاقك والليل ملقى الجران ... غراب ينوح على غصن بان

وفي نعبات الغراب اغتراب ... وفي البان بينٌ بعيد التداني

ولآخر في السفرجل

أهدى اليه سفرجلا فتطيرا ... منه فظل مفكرا مستعبرا

خوف الفراق لان شطر هجائه ... سفر وحقّ له بأن يتطيرا

ولآخر في السوسن

ياذا الذي أهدى لنا السوسنا ... ما كنت في اهدائه محسنا

شطر اسمه سوء فقد سؤتني ... ياليت انى لم أر السوسنا

ولآخر في الأترج

أهدى اليه حبيبه أترجة ... فبكى وأشفق من عيافة زاجر

خاف التبدل والتلون أنها لو نان باطنها خلاف الظاهر

وقال الطائى فى الحمام

هن الحمام فان كسرت عيافة من حائهن فانهن حمام

الطيرة

قال النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة لا يكاد يسلم منهن أحد الطيرة والظن والحسد قيل . فما المخرج منهن يارسول الله قال . اذا تطيرت فلا ترجع واذا ظننت فلا تحقق واذا حسدت فلا تبغ . وقال أبو حاتم . السانح ماولاك ميامنه والبارح ماولاك مياسره والحائد ما استقبلك من تجاهك وقد كانت العرب تتطير ويأتى ذلك فى أشعارهم وقال بعضهم

وما صدقتك الطير يوم لقيتنا وما كان من دلاك فينا بخابر

وقال الشيبانى . لما قدم قتيبة بن مسلم واليا على خراسان قام خطيبا فسقطت المخصرة من يده فتطير به أهل خراسان فقال . أيها الناس ليس كما ظننتم ولكنه كما قال الشاعر

فألقت عصاها واستقر بها النوى كما قر عينا بالاياب المسافر

اتخاذ الاخوان وما يجب لهم

روى الاوزاعى عن يحي بن أبى كثير أن داود قال لابنه سليمان عليهما السلام . يابنى لا تستقل عدواً واحداً ولا تستكثر الف صديق ولا تستبدل بأخ قديم أخا مستحدثا ما استقام لك . وقال شبيب بن شبة اخوان

الصفاء خير من مكاسب الدنيا هم زينة فى الرخاء وعدة فى البلاء ومعونة على الاعداء وأنشد ابن الأعرابى

لعمرك ما مال الفتى بذخيرة ولكنّ اخوان الصفاء الذخائر

وقال الاحنف بن قيس . خير الاخوان من ان استغنيت عنه لم يزدك فى المودة وان احتجت اليه لم ينقصك منها وان كوثرت عضدك وان استرفدت رفدك وأنشد

أخوك الذى ان تدعه لملمة يجبك وان تغضب الى السيف يغضب

ومما يجب للصديق على الصديق النصيحة جهده فقد قالوا : صديق الرجل مرآته يريه حسناته وسيآته . وقالوا : الصديق من صدقك وده وبذل لك رفده . وقالوا : خير الاخوان من أقبل عليك اذا أدبر الزمان عنك وقال الشاعر

فان أولى الموالى أن تواليه عند السرور لمن واساك فى الحزن
ان الكرام اذا ما أسهلوا ذكروا من كان يألفهم فى المنزل الخشن

أنشد محمد بن يزيد المبرد لعبد الصمد بن المعذل فى ابراهيم بن الحسن

يامن فدت نفسه نفسى ومن جعلت له وقاء لما يخشى واخشاه
أبلغ أخاك وان شط المزار به أنى وان كنت لا ألقاه ألقاه
وأن طرفى موصول برؤيته وإن تباعد عن مثواى مثواه
الله يعلم أنى لست أذكره وكيف يذكره من ليس ينساه
عدوا فهل حسن لم يحوه حسن وهل فتى عدلت جدواه جدواه
فالدهر يفنى ولا تفنى مكارمه والقطر يحصى ولا تحصى عطاياه

وقيل لبعض الولاة . كم صديقا لك قال . لا أدرى الدنيا مقبلة على والناس كلهم اصدقائى وانما أعرف ذلك اذا أدبرت عنى

شبه الجلب بالرباغ

﴿ معاتبة الصديق واستبقاء مودته ﴾

قالت الحكماء . مما يجب للصديق على الصديق الاغضاء عن زلاته والتجاوز عن سيئاته فان رجع وأعتب والا عاتبته بلا اكثار فان كثرة العتاب مدرجة للقطيعة . وقال علىّ بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه : لاتقطع أخاك عن ارتياب ولا تهجره دون استعتاب . وقال أبو الدرداء : من لك بأخيك كله . وقالوا : أى الرجال المهذب . وقال بشار العقيلى

اذا أنت لم تشرب مرارا على القذى ... ظمئت وأى الناس تصفو مشاربه

وقالوا : معاتبة الأخ خير من فقده . وقال الشاعر

اذا ذهب العتاب فليس ودّ ... ويبقى الود ما بقى العتاب

ولأحمد بن أبان

اذا أنا لم أصبر على الذنب من أخ ... وكنت أجازيه فأين التفاضل
ولكن أداويه فان صح سرنى ... وان هو أعيا كان فيه تحامل

وقال الأحنف : من حق الصديق أن يتحمل ثلاثا ظلم الغضب وظلم الدالة وظلم الهفوة . لعبد الله بن معاوية

ولست ببادى صاحبي بقطيعة ... ولست بمفش سره حين يغضب
عليك باخوان الصّفاء فانهم ... قليل فصلهم دون من كنت تصحب
وما الخدن الا من صفالك وده ... ومن هو ذو نصح وأنت مغيب

﴿ فضل الصداقة على القرابة ﴾

قيل لبزرجمهر : من أحب اليك أخوك أو صديقك فقال : ما أحب أخى الا اذا كان لى صديقاً. وقال اكثم بن صيفى : القرابة تحتاج الى مودة والمودة لاتحتاج الى قرابة . وقال عبدالله بن عباس: القرابة تقطع والمعروف يكفر وما رأيت كتقارب القلوب . وقالوا : اياكم ومن تكرهه قلوبكم فان القلوب تجازى القلوب . وقال عبد الله بن طاهر الخراسانى

أميل مع الرفاق على ابن أمى ... وأحمل للصديق على الشقيق
وان ألفيتنى ملكا مطاعا ... فانك واجدى عبد الصديق
أفرق بين معروفى وبينى ... وأجمع بين مالى والحقوق

وقال حبيب الطائى

ولقد سبرت الناس ثم خبرتهم ... ووصفت ماوصفوا من الاسباب
فاذا القرابة لا تقرب قاطعا ... واذا المودة أقرب الانساب

وللمبرد

ما القرب الا لمن صحت مودته ... ولم يخنك وليس القرب للنسب
كم من قريب دوى الصدر مضطغن ... ومن بعيد سليم غير مقترب

وقال آخر

فصل حبال البعيد ان وصل الـ ... ـحبل وأقص القريب ان قطعه
قد يجمع المال غير آكله ... ويأكل المال غير من جمعه
فارض من الدهر ما أتاك به ... من قر عينا بعيشه نفعه

﴿ التحبب الى الناس ﴾

فى الحديث المرفوع أحب الناس الى الله أكثرهم تحببا الى الناس . وفيه أيضاً اذا أحب الله عبدا حببه الى الناس . ومن قولنا فى هذا المعنى

وجهٌ عليه من الحياء سكينةٌ ومحبة تجرى مع الانفاس
واذا أحب الله يوما عبده ألقى عليه محبة للناس

وكتب عمر بن الخطاب رضى الله عنه الى سعد بن أبى وقاص ان الله اذا أحب عبداً حببه الى خلقه فاعتبر منزلتك من الله بمنزلتك من الناس واعلم ان مالك عند الله مثل ماللناس عندك . وقال أبو دَهمان لسعيد بن مسلم ووقف الى بابه فحجبه حينا ثم أذن له فمثل بين يديه وقال : ان هذا الامر الذى صار اليك وفى يديك قد كان فى يدى غيرك فأمسى والله حديثاان خيراً فخير وان شراً فشر فتحببْ الى عباد الله بحسن البِشر وتسهيل الحجاب ولين الجانب فان حب عباد الله موصول بحب الله وبغضهم موصول ببغض الله لأنهم شهداء الله على خلقه ورقباؤه على من اعوج عن سبيله

﴿ مواصلتك لمن كان يواصل اباك ﴾

من حديث ابن ابى شيبة عن النبي صلى الله عليه وسلم لاتقطع من كان يواصل اباك تطفئ بذلك نوره فان ودّك ودّ ابيك . وقال ابو بكر : الحب والبغض يتوارثان . واجتمع عند ملك من ملوك العرب تميم ابن مرة وبكر بن وائل فوقعت بينهما منازعة ومفاخرة فقالا : ايها الملك اعطنا سيفين نتجالد بهما بين يديك حتى تعلم اينا اجلد فأمر الملك فنحت لهما سيفان من عود

فأعطاهما نجملا يضطربان مليا من النهار فقال بكر بن وائل :

لو كان سيفانا حديداً قطعا

قال تميم ابن مرة

أو نحتا من جندلٍ تصدعا

وحال الملك بينهما فقال تميم بن مرة لبكر بن وائل :

أساجلك العداوة مابقينا

فقال له بكر

وان متنا نورثها البنينا

فيقال ان عداوة بكر وتميم من أجل ذلك الي اليوم

﴿ الحسد ﴾

قال على رضى الله عنه : لا راحة لحسود ولا اخاء لملول ولا محب لسيء الخلق . وقال الحسن : مارأيت ظالما أشبه بمظلوم من حاسد نفس دائم وحزن لازم وغم لا ينفد . وقال معاوية : كل الناس أقدر أن أرضيهم الا حاسد نعمة فانه لا يرضيه الا زوالها وقال الشاعر

كل العداوة قد ترجى اماتتها   الا عداوة من عاداك من حسد

وقال عبد الله بن مسعود : لا تعادوا نعم الله قيل له : ومن يعادى نعم الله قال الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله يقول الله فى بعض الكتب الحسود عدوّ نعمتى متسخط لقضائى غير راض بقسمتى .

ولأبى العتاهية

فيارب ان الناس لا ينصفوننى | وكيف ولو انصفتهم ظلمونى
وان كان لى شئ تصدوا لأخذه | وان جئت أبغى منهم منعونى
وان نالهم بذلى فلا شكر عندهم | وان أنا لم أبذل لهم شتمونى
وان طرقتنى نقمة فرحوا بها | وان صحبتنى نعمة حسدونى
سأمنع قلبي أن يحن اليهم | وأحجب عنهم ناظرى وجفونى

أبو عبيدة معمر بن المثنى قال : مر قيس بن زهير ببلاد غطفان فرأى ثروة وعددا فكره ذلك فقيل له : أيسوءك مايسر الناس قال : انك لاتدرى ان مع النعمة والثروة التحاسد والتخاذل وان مع القلة التحاشد والتناصر . سئل بعض الحكماء أى أعدائك تحب أن يعود لك صديقا قال : الحاسد الذى لا يرده الا زوال نعمتى . صلى الاحنف بن قيس على حارثة بن قدامة السعدى فقال : رحمك الله كنت لا تحسد غنيا ولا تحقر فقيرا . وكان يقال : لايوجد الحر حريصا ولا الكريم حسودا . لرجل من قريش

حسدوا النعمة لما ظهرت | فرموها بأباطيل الكلم
واذا ما الله أسدى نعمة | لم يضرها قول أعداء النعم

وكانت عائشة رضى الله عنها تمثل بهذين البيتين

اذا ما الدهر جرّ على أناس | حوادثه أناخ بآخرينا
فقل للشامتين بنا أفيقوا | سيلقى الشامتون كما لقينا

ولبعضهم

اياك والحسد الذى هو آفة | فتوقه وتوق غرة من حسد
ان الحسود اذا رآك مودة | بالقول فهو لك العدو المجتهد

وقال بعض الحكماء : ما أمحق للايمان ولا أهتك للستر من الحسد وذلك ان الحاسد معاند لحكم الله باغ على عباده عات على ربه يعتد نعم الله نقما ومزيده غيرا وعدل قضائه حيفا للناس حال وله حال ليس يهدأ ليله ولا ينام جشعه ولا ينفعه عيشه محتقر لنعم الله عليه متسخط ماجرت به أقداره ولا يبرد غليله ولا تؤمن غوائله ان سالمته وترك وان واصلته قطعك وان صرمته سبقك . ذكر حاسد عند بعض الحكماء فقال : ياعجبا لرجل أسلكه الشيطان مهاوى الضلالة وأورده قُحَم الهلكة فصار لنعم الله تعالى بالمرصاد ان أنالها من أحب من عباده أشعر قلبه الاسف على مالم يقدر له وأغاره الكلف بما لم يكن لينالة . وقال المنصور لسليمان بن معاوية المهلبي : ما أسرع الناس الى قومك فقال . يا أمير المؤمنين

ان العرانين تلقاها محسّدة ... ولن ترى للئام الناس حسادا

وقال آخر

ان يحسدونى فانى غير لائمهم ... قبلى من الناس أهل الفضل قد حسدوا
فدام لى ولهم مابى وما بهم ... ومات أكثرنا غيظا بما يجد

وقال آخر

ان الغراب وكان يمشى مشية ... فيما مضى من سالف الاحوال
حسد القطاة فرام يمشى مشيها ... فأصابه ضرب من العقال

وقال حبيب الطائى

واذا أراد الله نشر فضيلة ... طويت اتاح لها لسان حسود
لولا اشتعال النار فيما جاورت ... ما كان يعرف طيب عرف العود

﴿ محاسدة الاقارب ﴾

كتب عمر بن الخطاب رضى الله عنه الى أبى موسى الأشعرى مُرْ ذوى القرابات أن يتزاوروا ولا يتجاوروا . وقالوا : أزهد الناس فى عالم أهله . وقال يحيى بن سعيد : من أراد أن يبين عمله ويظهر علمه فليجلس فى غير مجلس رهطه . وقال ذو الاصبع العَدوانى

لى ابن عم على ما كان من خلق … محاسد لى أُقليه ويقلينى
أزرى بنا أننا شالت نعامتنا … يخالنى دونه أو خلته دونى
ياعمرو الا تدع شتمى ومنقصتى … أضربك حتى تقول الهامة اسقونى
ماذا على وان كنتم ذوى رحمى … أن لا أحبكم ان لم تحبونى
لا أسأل الناس عما فى ضمائرهم … ما فى ضميرى لهم من ذاك يكفينى

وقال آخر

مهلا بنى عمنا مهلا موالينا … لا تنبشوا بيننا ما كان مدفونا
لا تطمعوا أن تهينونا ونكرمكم … وأن نكف الاذى عنكم وتؤذونا
الله يعلم انا لا نحبكم … ولا نلومكم ان لم تحبونا

وقال أيضا

ذو الود منى وذو القربى بمنزلة … واخوتى أسوة عندى واخوانى
عصابة جاورت آدابهم أدبى … فهم وان فرقوا فى الارض جيرانى

وقال عليه الصلاة والسلام : امتحنوا الناس باخوانهم

وقال آخر

اذا كنت فى قوم فصاحب خيارهم … ولا تصحب الاردى فتردى مع الردى

عن المرء لاتسأل وسل عن قرينه ... فكل قرين بالمقارن يقتدى

وقال آخر

اصحب ذوي الفضل وأهل الدين ... فالمرء منسوب الى القرين

﴿ السعاية والبغى ﴾

قال الله تعالى ذكره : يأيها الناس انما بغيكم على أنفسكم . وقال المأمون يوما لبعض ولده : اياك أن تصغي لاستماع قول السعاة فانه ماسعى رجل برجل الا انحط من قدره عندى مالا يتلافاه أبداً . وسأل رجل عبد الملك الخلوة فقال لأصحابه : اذا شئتم فقوموا فلما تهيأ الرجل للكلام قال له : اياك أن تمدحني فانا أعلم بنفسي منك أو تكذبني فانه لا رأى لكذوب أو تسعى الىّ بأحد وان شئت أقلتك قال : أقلني . ودخل رجل على الوليد ابن عبد الملك وهو والى دمشق لابيه فقال : للامير عندى نصيحة فقال : ان كانت لنا فاذكرها وان كانت لغيرنا فلا حاجة لنا فيها قال : جار لى عصى وفر من بعثه قال : أما أنت فتخبر أنك جار سوء وان شئت أرسلنا معك فان كنت صادقا أقصيناك وان كنت كاذبا عاقبناك وان شئت تاركناك قال : تاركني . وفى سير العجم ان رجلا وشى برجل الى الاسكندر فقال : أتحب أن نقبل منه عليك ومنك عليه قال : لا قال : فكف الشر يكف عنك الشر . وعاتب مُصعب بن الزُبير الاحنف فى شئ فأنكره فقال : أخبرنى الثقة قال : كلا ان الثقة لايبلغ وقد جعل الله السامع شريك القائل فقال سماعون للكذب أكالون للسحت . وقيل حسبك من شر سماعه

وقال الشاعر :

لعمرك ماسب الأمير عدوّه ولكنما سب الأمير المبلغ

﴿ الغيبة ﴾

قال النبي صلى الله عليه وسلم . اذا قلت في الرجل مافيه فقد اغتبته واذا قلت ماليس فيه فقد بهته . اغتاب رجل رجلا عند قُتيبة بن مسلم فقال له : أمسك عليك أيها الرجل فوالله لقدتلمظت بمضغةطالما لفظتها الكرام . وقال رجل لبكر بن محمد بن عِصمة : بلغني انك تقع فى قال : أنت اذا عليّ اكرم من نفسي . وعاب رجل رجلا عند بعض الاشراف فقال له : قد استدللتَ على كثرة عيوبك بما تكثر من عيوب الناس لان طالب العيوب انما يطلبها بقدر مافيه منها أما سمعت قول الشاعر

لاتهتكن من مساوى الناس ماستروا فيهتك الله سترا من مساويكا

واذكر محاسن مافيهم اذا ذكروا ولا تعب أحدا منهم بما فيكا

وقيل لعمرو بن عُبيد . لقد وقع فيك أيوب السِّختيانى حتى رحمناك قال : اياه فارحموا : وقال ابن عباس : اذكر أخاك اذا غاب عنك بما تحب ان تذكر به ودع منه ماتحب أن يدع منك

﴿ مداراة أهل الشر ﴾

قال النبي عليه الصلاة والسلام : شر الناس من اتقاه الناس لشره . وأنشد العتبي

لى صديق يرى حقوقى عليه نافلات وحقه الدهر فرضا

لو قطعت البلاد طولا اليه ثم من بعد طولها سرت عرضا
لرأى مافعلت غير كثير واشتهى أن يزيد فى الارض أرضا

وقال صالح بن عبد القدوس

تجنب صديق السوء واصرم حباله وان لم تجد عنه محيصا فداره
ومن يطلب المعروف من غير أهله يجده وراء البحر أو فى قراره
ولله فى عرض السموات جنة ولكنها محفوفة بالمكاره

عرض على أبى مسلم صاحب الدعوة فرس جواد فقال لقواده : لماذا يصلح مثل هذا الفرس قالوا : انا نغزو عليه العدو قال : لا ولكن يركبه الرجل فيهرب عليه من جار السوء

﴿ ذم الزمان ﴾

قالت الحكماء : جبل الناس على ذم زمانهم وقلة الرضا عن أهل عصرهم . فمنه قولهم : رضا الناس غاية لاتدرك . وقولهم لاسبيل الى السلامة من ألسنة العامة . وقولهم : الناس يعيرون ولا يغفرون والله يغفر ولا يعير . دخل مسلم بن يزيد بن وهب على عبد الملك بن هارون فقال عبدالملك : أى زمان أدركت أفضل وأى الملوك أكمل . قال أما الملوك فلم أر الا حامدا أو ذاما وأما الزمان فيرفع أقواما ويضع أقواما وكلهم يذم زمانه لانه يبلى جديدهم ويفرق عديدهم ويهرم صغيرهم ويهلك كبيرهم . أبو جعفر الشيبانى قال أتانا يوما أبو مياس الشاعر ونحن فى جماعة فقال : ماأنتم وماتذا كرون قلنا : نذكر الزمان وفساده قال : كلا انما الزمان وعاء وما ألقى فيه من

خيرأوشر كان على حاله ثم أنشأ يقول

أرى حللا تصان على أناس ... واخلاقا تداس فما تصان
يقولون الزمان به فساد ... وهم فسدوا ومافسد الزمان

وقال حبيب الطائي

لم أبك فى زمن لم أرض خلته ... الا بكيت عليه حين ينصرم

﴿ فساد الاخوان ﴾

قال أبو الدرداء : كان الناس ورقا لاشوك فيه فصاروا شوكا لاورق فيه . وقيل لعُروة بن الزبير : ألا تنتقل الى المدينة قال : مابقى بالمدينة الا حاسد على نعمة أوشامت بمصيبة : الحَسَنى أنشدنى الرِّياشي

اذا ذهب التكرم والوفاء ... وباد رجاله وبقى الغُثاء
واسلمنى الزمان الى رجال ... كأمثال الذئاب لها عُواء
صديق كلما استغنيت عنهم ... وأعداء اذا جهد البلاء
اذا ماجئتهم يتدافعونى ... كأنى أجرب أعداه داء
أقول ولا ألام على مقال ... على الاخوان كلهم العفاء

وقالت الحكماء : لاشئ أضيع من مودة من لاوفاء له واصطناع من لاشكر عنده والكريم يود الكريم عن لقية واحدة واللئيم لايصل أحداً الا عن رغبة أو رهبة . وفى كتاب للهند ان الرجل السوء لايتغير عن طبعه كما ان الشجرة المرة لو طليتها بالعسل لم تثمر الا مرا . وقال أبو العَتاهيَة فى هذا المعنى

لله در أبيك أى زمان أصبحت فيه وأى أهل زمان
كل يواريك المودة جاهداً يعطى ويأخذ منك بالميزان
فاذا رأى رجحان حبة خردل مالت مودته الى الرجحان

للبكرى

وخليل لم أخنه ساعة فى دمى كفيه ظلما قد غمس
كان فى سرى وجهرى ثقتى لست عنه فى مهم أحترس
ستر البغض بألفاظ الهوى وادعى الود بغش ودلس
ان رآنى قال لى خيرا وان غبت عنه قال شرا ودحس
ثم لما أمكنته فرصة حمل السيف على مجرى النفس
وأراد الروح لكن خانه قدر أيقظ من كان نعس

وأنشد العُتبى

اذا كنت تغضب من غير ذنب وتعتب من غير جرم عليا
طلبت رضاك فان عزنى عددتك ميتا وان كنت حيا
فلا تعجبن بما فى يديك فأكثر منه الذى فى يديا

وقال ابن أبى حازم

وخلّ كان يحفظ لى جناحا فودعنى فنابذنى جماحا
فقلت له ولى نفس عزوف اذا حميت تقحمت الرماحا
سأبدل بالمطامع منك يأسا وباليأس استراح من استراحا

وقال عبد الله بن معاوية بن جعفر

وأنت أخى ما لم تكن لى حاجة فان عرضت أيقنت أن لا أخاليا

فلا زاد ما بيني وبينك بعد ما بلوتك في الحاجات الا تماديا
كلانا غني عن أخيه حياته ونحن اذا متنا اشد تغانيا
وعين الرضا عن كل عيب كليلة كما أن عين السخط تبدي المساويا

وقال ابن أبي حازم

وقالوا لو مدحت فتى كريما فقلت وكيف لي بفتى كريم
بليت ومر بي خمسون حولا وحسبك بالمجرب من عليم
فلا أحد يعد ليوم خير ولا أحد يعود على عديم

﴿ من قاده الكبر الى النار ﴾

نظر الحسن الى عبد الله بن الاهتم يخطر في المسجد فقال : انظروا الى هذا ليس منه عضو الا ولله عليه نعمة وللشيطان فيه لعنة . وقال يحيى بن حيّان : الشريف اذا تقوّى تواضع والوضيع اذا تقوى تكبر وقيل للحجاج : كيف وجدت منزلك بالعراق أيها الامير قال : خير منزل لو أدركت بها أربعة نفر فتقربت الى الله سبحانه وتعالى بدمائهم قيل له : ومن هم قال : مقاتل بن مِسمع ولي سجستان فأتاه الناس فأعطاهم الاموال فلما قدم البصرة بسط له الناس أرديتهم فمشى عليها فقال : لمثل هذا فليعمل العاملون وعبد الله ابن ظَبيان خطب خطبة أوجز فيها فناداه الناس من أعراض المسجد كثر الله فينا أمثالك قال : لقد كلفتم ربكم شططا ومعبد بن زُرارة كان ذات يوم جالسا على طريق فمرت به امرأة فقالت : ياعبد الله أين الطريق لمكان كذا فقال : لمثلي يقال يا عبد الله ويلك وأبو سماك الحنفي أضل ناقته فقال والله

لئن لم ترد عليّ ناقتى لاصليت أبدا . وقالوا : من أبطره الغنى أذله الفقر . وقالوا : من ولى ولاية يرى نفسه أكبر منها لم يتغير لها ومن ولى ولاية يرى ولايته أكبر من نفسه تغير لها . وقال كسرى : احذروا صولة الكريم اذا جاع واللئيم اذا شبع

﴿ التواضع ﴾

قال النبي صلى الله عليه وسلم : من تواضع لله رفعه الله . قالت الحكماء : كل نعمة يحسد عليها الا التواضع . وأصبح النجاشي يوما جالسا على الارض والتاج عليه فأعظمت بطارقته ذلك وسألوه عن السبب الذى أوجبه فقال : وجدت فيما أنزل الله على المسيح اذا أنعمت على عبدى نعمة فتواضع أُتممتها عليه وانه ولد لى هذه الليلة غلام فتواضعت شكرا لله

﴿ الرفق والاناة ﴾

قال النبي صلى الله عليه وسلم : من أوتى حظه من الرفق فقد أوتى حظه من خير الدنيا والآخرة . وقالت الحكماء : يدرك بالرفق مالا يدرك بالعنف ألا ترى أن الماء على لينه يقطع الحجر على شدته؟ وقال النابغة

الرفق يمن والاناة سعادة ‎ ‎ ‎ ‎ فاستأن فى رفق تلاق نجاحا

وقالوا : العَجَل بريد الزلل . أخذ القُطامى التغلَبى هذا المعنى فقال

قد يدرك المتأنى بعض حاجته ‎ ‎ ‎ ‎ وقد يكون مع المستعجل الزلل

﴿ استراحة الرجل بمكنون سره الى صديقه ﴾

قالت الحكماء : لكل سر مستودع . وقالوا : مكاتمة الادنين صريح العقوق وقال الشاعر

وابثثت عمرا بعض مافى جوانحى — وجرعته من مر ما أتجرع
ولا بد من شكوى الى ذى حفيظة — اذا جعلت اسرار نفسى تطلع

وقال حبيب

شكوت وما الشكوى لمثلى عادة — ولكن تفيض النفس عند امتلائها

وأنشد أبو الحسن محمد المصرى

لعب الهوى بمعالمى ورسومى — ودفنت حيا تحت ردم همومى
وشكوت همى حين ضقت ومن شكا — هما يضيق به فغير ملوم

﴿ الاستدلال باللحظ على الضمير ﴾

قالت الحكماء : العين باب القلب فما كان فى القلب ظهر فى العين . عثمان بن ابراهيم بن محمد قال : انى لأعرف فى العين اذا عرفت وأعرف فيها اذا أنكرت وأعرف فيها اذا لم تعرف ولم تنكر أما اذا عرفت فبحوص وأما اذا أنكرت فبجحظ وأما اذا لم تعرف ولم تنكر فبسجو . وقال محمود الوراق

ان العيون على القلوب شواهد — فبغيضها لك بين وحبيبها
واذا تلاحظت العيون تفاوضت — وتحدثت عما تجن قلوبها
ينطقن والافواه صامتة فما — يخفى عليك بريئها ومريبها

﴿ الاستدلال بالضمير على الضمير ﴾

كتب حكيم الى حكيم اذا أردت معرفة مالك عندى فضع يدك على صدرك فكما تجدنى كذلك أجدك . وقالوا : اياكم ومن تبغضه قلوبكم فان القلوب تجازى القلوب . وقال ذو الاصبع :

لا أسأل الناس عما فى ضمائرهم　　مافى ضميرى لهم من ذاك يكفينى

وقال محمود الوراق :

لا تسألن المرء عما عنده　　واستمل مافى قلبه من قلبكا
ان كان بغضا كان عندك مثله　　أو كان حبا فاز منك بحبكا

﴿ تقديم القرابة وتفضيل المعارف ﴾

قال الشّيباني : أول من آثر القرابة والاولياء عثمان بن عفان رضى الله عنه . وقال : كان عمر يمنع أقاربه ابتغاء وجه الله ولا يرى أفضل من عمر . وقال : لما آوى الحَكم بن أبي العاص ما نقم الناس علىّ أن وصلت رحما وقربت عما . وقيل لمعاوية بن أبي سفيان : ان آذنك يقدم معارفه وأصدقاءه فى الاذن على أشراف الناس ووجوههم فقال : ويلكم ان المعرفة لتنفع فى الكلب العقور والجمل الصؤول فكيف فى رجل حسيب ذى كرم ودين . وقال الشاعر

أقول لجارى اذ أتانى مخاصما　　يدل بحق أو يدل بباطل
اذا لم يصل خيرى وأنت مجاورى　　اليك فما شرى اليك بواصل

وولى ابن شُبْرمة قضاء البصرة وهو كاره فأحسن السيرة فلما عزل

اجتمع اليه أهل خاصته ومودته فقال لهم : والله لقد وليت هذه الولاية وأنا كاره وعزلت عنها وأنا كاره وما بي في ذلك الا مخافة ان يلي هذه الوجوه من لا يعرف حقها . ويقول الحكماء : أحق من شاركك في النعمة شركاؤك في المصيبة

﴿ التنزه عن استماع الخنى والقول به ﴾

اعلم ان السامع شريك القائل في الشر قال الله : سماعون للكذب . وقال العتبي : حدثني أبي عن سعد القصر قال : نظر عمر بن عُتبة رجلا يشتم عندي رجلا فقال لي : ويلك وما قال لي ويلك قبلها نزه نفسك عن استماع الخنى كما تنزه لسانك عن الكلام به فان السامع شريك القائل وانه عمد الى شر مافي وعائه فأفرغه في وعائك ولو ردت كلمة جاهل في فيه لسعد رادها كما شقي قائلها

﴿ الغلو في الدين ﴾

توفي رجل في عهد عمر بن ذر ممن أسرف على نفسه في الذنوب وجاوز في الطغيان فتجافى الناس عن جنازته فحضرها عمر بن ذر وصلى عليه فلما أُدلي في قبره قال : يرحمك الله أبا فلان صحبت عمرك بالتوحيد وعفرت وجهك لله بالسجود فان قالوا مذنب وذو خطايا فمن منا غير مذنب وذي خطايا : ومن حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ان الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال يأيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا وقال يأيها الذين آمنوا كلوا من طيبات مارزقناكم ثم ذكر الرجل يرى أشعث

أغبر يمد يديه الى السماء يقول يارب يارب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام فأنى يستجاب له . وقال صلى الله عليه وسلم : ان هذا الدين متين فأوغل فيه برفق فان المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى . وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه : خير هذه الامة النمط الاوسط يرجع اليهم الغالى ويلحق بهم التالى . مُطَرِّف بن عبد الله بن الشِّخِّير لابنه وكان قد تعبد : يابنى ان الحسنة بين السيئتين يعنى الدين بين الافراط والتقصير وخير الامور أوسطها وشر السير الحقحقة . وقالوا : عامل البركات كل الطعام ان اكل منه قوتا عصمه وان أسرف منه بشمه . وفى بعض الحديث ان عيسى بن مريم عليه السلام لقى رجلا فقال له : ماتصنع قال : أتعبد قال : فمن يعود عليك قال : أخى قال : هو أعبد منك . ونظير هذا ان رفقة من الاشعريين كانوا فى سفر فلما قدموا قالوا : مارأينا يارسول الله بعدك أفضل من فلان كان يصوم النهار فاذا نزلنا قام من الليل حتى نرتحل قال : فمن كان يمهن له ويكفله قالوا : كلنا قال : كلكم أفضل منه . وصلى الاعمش فى مسجد قوم فأطال بهم الامام فلما فرغ قال له : ياهذا لاتطل صلاتك فانه يكون خلفك ذو الحاجة والكبير والضعيف قال الامام : وانها لكبيرة الا على الخاشعين فقال له الاعمش أنا رسول الخاشعين اليك انهم لايحتاجون الى هذا منك

محمد بن حاطب الجُمَحى قال : حدثنى من سمع عمرو بن شُعَيب وكنت سمعته أنا وأبى جميعا قال : حدثنى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن عبد الله بن عمرو وكانت امرأته تلطف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كيف أنت ياأم عبد الله قالت . كيف أكون وعبد الله بن عمرو رجل

قد تخلى من الدنيا قال لها . كيف ذلك قالت : حرم فلا ينام ولا يفطر ولا يطم اللحم ولا يؤدى الى أهله حقهم قال . فأين هو قالت . خرج ويوشك أن يرجع الساعة قال : فاذا رجع فاحبسيه عليّ نخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاء عبد الله وأوشك رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الرجعة فقال : ياعبد الله بن عمرو ماهذا الذى بلغني عنك أنك لا تنام قال : أردت بذلك الأمن من الفزع الاكبر قال : وبلغنى أنك لا تفطر قال : أردت بذلك ماهو خير منه فى الجنة قال : وبلغنى انك لا تؤدى الى أهلك حقهم قال : أردت بذلك نساء هن خير منهن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ياعبد الله بن عمرو ان لك فى رسول الله أسوةً حسنة فرسول الله يصوم ويفطر ويأكل اللحم ويؤدى الى أهله حقوقهم ياعبد الله بن عمرو ان لله عليك حقا وان لبدنك عليك حقا وان لأهلك عليك حقا فقال : يارسول الله ماتأمرنى أن أصوم خمسة أيام وأفطر يوما قال : لا قال فأصوم أربعة وأفطر يوما قال : لا قال : فأصوم ثلاثة وأفطر يوما قال : لا قال : فيومين وأفطر يوما قال : لا قال : فيوما قال ذلك صيام أخى داود ياعبد الله بن عمرو كيف بك اذا بقيت فى حثالة من الناس قد مرجت عهودهم ومواثيقهم فكانوا هكذا وخالف بين أصابعه قال : فما تأمرنى يارسول الله قال : تأخذ ماتعرف وتدع ماتنكر وتعمل بخاصة نفسك وتدع الناس وعوام أمرهم . قال ثم أخذ بيده وجعل يمشي به حتى وضع يده فى يد أبيه وقال له : أطع أباك فلما كان يوم صفين قال له أبوه عمرو : ياعبد الله اخرج فقاتل فقال : ياأبتاه أتأمرني ان اخرج فأقاتل وقد سمعت من رسول الله

صلى الله عليه وسلم ما سمعت وعهد الىّ قال : انشدك الله ألم يكن آخر ما قال لك ان أخذ بيدك فوضعها فى يدى وقال اطع أباك قال : اللهم بلى قال : فانى أعزم عليك أن تخرج فتقاتل قال نخرج فقاتل متقلداً بسيفين

﴿ ماجاء فى ذم الحمق والجهل ﴾

قال النبي صلى الله عليه وسلم : الجاهل يظلم من خالطه و يعتدى على من هو دونه ويتطاول على من هو فوقه ويتكلم بغير تميز وان رأى كريمة أعرض عنها وان عرضت فتنة أردته وتهوّر فيها . وقال أبو الدرداء : علامة الجاهل ثلاث العُجب وكثرة المنطق وأن ينهى عن شئ و يأتيه . وقال ازدشير بحسبكم دلالة على عيب الجاهل أن كل الناس تنفر منه ويغضب من أن ينسب اليه . وكان يقال . لاتغررك قرابة ولا أخوة ولا إلف فان أحق الناس بتحريق النار أقربهم منها . وقيل . خصلتان لاتقربانك من الاحمق كثرة الالتفات وسرعة الجواب . وقيل لاتصحب الجاهل فانه يريد أن ينفعك فيضرك . ولبعضهم

لكل داء دواء يستطب به ... الا الحماقة أعيت من يداويها

ولابى العتاهية

احذر الاحمق لا تصحبه ... انما الاحمق كالثوب الخلق
كلما رقعته من جانب ... زعزته الريح يوما فانخرق
أو كصدع فى زجاج فاحش ... هل ترى صدْعَ زجاج يلتصق
فاذا عاتبته كى يرعوى ... زاد شراً وتمادى فى الحمق

﴿ أصناف الاخوان ﴾

قال العَتّابى . الاخوان ثلاثة أصناف فرع بائن من أصله وأصل متصل بفرعه وفرع ليس له أصل فأما الفرع البائن من أصله فاخاء بنى على مودة ثم انقطعت فحافظ على زمام الصحبة وأما الاصل المتصل بفرعه فاخاء أصله الكرم وأغصانه التقوى وأما الفرع الذى لا أصل له فالمموّه الظاهر الذى ليس له باطن . وقال النبى صلى الله عليه وسلم . الصاحب رقعة فى قميصك فانظر بم ترقعه . وقالوا . من علامة الصديق أن يكون لصديق صديقه صديقا ولعدوّ صديقه عدوا . وقال الشاعر

ليس الصديق الذى ان زل صاحبه يوما رأى الذنب منه غير مغفور
وان أضاع له حقا فعاتبه فيه أتاه بتزويق المعاذير
ان الصديق الذى تلقاه يعذر فيـ ـما ليس صاحبه فيه بمعذور

وكتب العباس بن جرير الى الحسن بن مُخَلَّد

ارع الاخاء أبا محمـ ـد الذى يصفو وصنه
واذا رأيت منافسا فى نيل مكرمة فكنه
ان الصديق هو الذى يرعاك حيث تغيب عنه
فاذا كشفت اخاءه أحمدت ما كشّفت عنه
مثل الحسام اذا انتضا ه ذو الحفيظة لم يخنه
يسعى لما يسعى له كرما وان لم تستعنه

وقال آخر

اذا رأيت انحرافا من أخي ثقة ضاقت علىّ برحب الارض أوطاني
فان صددتُ بوجهي كي أكافئه فالعين غضبي وقلبي غير غضبان

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه . ثلاث يثبتن لك الود في صدر أخيك أن تبدأه بالسلام وتوسع له في المجلس وتدعوه بأحب الاسماء اليه

ولابن أبي حازم

ارض من المرء في مودته بما يؤدى اليك ظاهره
من يكشف الناس لم يجد أحدا يصح منه غداً سرائره
يوشك أن لايتم وصل أخ في كل زلاته تنافره
ان ساءني صاحبي احتملت وان سر فاني اخوه شاكره
أصفح عن ذنبه وان طلب الا عذر فاني عليه عاذره

ولمحمود الوراق

لا بِرّ اعظم من مساعدة فاشكر أخاك على مساعدته
واذا هفا فأقله هفوته حتى يعود أخا كعادته
فالصفح عن زلل الصديق وان أعياك خير من معاندته

﴿أخبار الخوارج﴾

كان الخوارج من أصحاب علي رضي الله عنه فلما كان من أمر الحكمين ما كان واختداع عمرو لأبي موسى قالوا لا حكم الا لله فلما سمع على رضي الله عنه نداءهم قال كلمة حق يراد بها باطل وانما مذهبهم ان لا يكون

أمير ولا بد من أمير برّا كان أو فاجراً وقالوا لعلى: شككت فى أمرك وحكمت عدوك فى نفسك وخرجوا الى حروراء وخرج اليهم على رضى الله عنه فخطبهم متوكئا على قوسه وقال: هذا مقام من أفلح فيه أفلح يوم القيامة أنشدكم الله هل علمتم ان أحداً كان أكره للحكومة منى. قالوا: اللهم لا قال: فعلام خالفتمونى ونابذتمونى قالوا: انا أتينا ذنبا عظيما فتبنا الى الله منه فتب الى الله منه واستغفره نعد اليك فقال على: انى أستغفر الله من كل ذنب فرجعوا معه وهم فى ستة آلاف فلما استقروا بالكوفة اشاعوا أن عليا رجع عن التحكيم وتاب منه ورآه ضلالا فأتى الاشعث بن قيس عليا رضى الله عنه فقال: يا أمير المؤمنين ان الناس قد تحدثوا انك رأيت الحكومة ضلالا والاقامة عليها كفرا وتبت فخطب علىّ الناس فقال: من زعم انى رجعت عن الحكومة فقد كذب ومن رآها ضلالا فهو أضل منها فخرجت الخوارج من المسجد فحكمت فقيل لعلى: انهم خارجون فقال: لا أقاتلهم حتى يقاتلونى وسيفعلون فوجه اليهم عبد الله بن العباس فلما سار اليهم رحبوا به وأكرموه فرأى منهم جباها قرحة لطول السجود وأيديا كثفنات الابل وعليهم قمص مرحضة وهم مشمرون قالوا: ماجاء بك يابن عباس قال: جئتكم من عند صهر رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عمه واعلمنا بربه وسنة نبيه ومن عند المهاجرين والانصار فقالوا: انا أتينا عظيما حين حكمنا الرجال فى دين الله فان تاب كما تبنا ونهض لمجاهدة عدونا رجعنا فقال: ابن عباس: نشدتكم الله الا ماصدقتم أنفسكم أما علمتم أن الله أمر بتحكيم الرجال فى أرنب تساوى ربع ربع درهم تصاد فى الحرم وفى شقاق امرأة ورجلها فقالوا: اللهم نعم قال: فأنشدكم الله

هل علمتم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمسك عن القتال للهدنة بينه وبين أهل الحُدَيبية قالوا : نعم ولكن عليا محا نفسه من خلافة المسلمين قال ابن عباس : ذلك ليس بمزيلها عنه وقد محا رسول الله صلى الله عليه وسلم اسمه من النبوة اذ قال سهيل بن عمرو : لو علمت أنك رسول الله ماحاربتك فقال للكاتب : اكتب محمدُ بن عبد الله وقد أخذ عليّ على الحكمين أن لايجورا فعليّ أولى من معاوية وغيره قالوا : ان معاوية يدعى مثل دعوى على قال : فأيهما رأيتموه أولى فولوه قالوا : صدقت قال ابن عباس : ومتى جار الحكمان فلا طاعة لهما ولا قبول لقولهما فاتبعه منهم ألفان وبقى أربعة آلاف فصلى بهم صلاتهم ابنُ الكوّاء وقال متى حدث حرب فرئيسكم شَبَث بن رِبْعيّ الرياحى فلم يزالوا على ذلك حتى اجتمعوا على البيعة لعبد الله ابن وهب الراسِبي فخرج بهم الى النَّهْرَوان فأوقع بهم عليّ فقتل منهم ألفين وثمانمائة وكان عددهم ستة آلاف وكان منهم بالكوفة زُهاءَ ألفين ممن يُسِرُّ أمْرَه فخرج منهم رجل بعد أن قال على رضى الله عنه : ارجعوا وادفعوا الينا قاتل عبد الله بن خَبّاب قالوا : كلنا قتله وشرِكَ فى دمه وذلك أنهم لما خرجوا اليهم لقوا مسلما ونصرانيا فقتلوا المسلمَ وأوصَوْا بالنصرانى خيراً وقالوا احفظوا ذمة نبيكم ولقوا عبدَ الله بنَ خباب وفى عنقه المصحف ومعه امرأته وهى حامل فقالوا ان هذا الذى فى عنقك يأمرنا بقتلك فقال لهم : احيوا ما أحيا القرآن وأميتوا ما أمات القرآن قالوا : حدثنا عن أبيك قال : حدثنى أبى قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تكون فتنة يموت فيها قلب الرجل كما يموت بدنه يمسى مؤمنا ويصبح كافراً فكن عبد الله

المقتول ولا تكن عبد الله القاتل قالوا : فما تقول فى أبى بكر وعمر فأثنى خيرا قالوا : فما تقول فى الحكومة والتحكيم قال : أقول ان عليا أعلم بالله منكم وأشد توقيا على دينه وأنفذ بصيرة قالوا : انك لست تتبع الهدى بل الرجال على أسمائها ثم قربوه الى شاطئ البحر فذبحوه فامذقرّ دمه أى جرى مستطيلا على دقة وساموا رجلا نصرانيا بنخلة فقال هى لكم هبة قالوا : ما كنا نأخذها الا بثمن فقال : ما أعجب هذا تقتلون مثل عبد الله بن خباب ولا تقبلون منا نخلة الا بثمن .

ثم افترقت الخوارج على أربعة أضرب (الأباضية) أصحاب عبدالله بن إباض (والصفرية) واختلفوا فى تسميتهم فقال قوم : سموا بابن صفار وقال قوم : نهكتهم العبادة فاصفرت وجوههم ومنهم (البيهسية) وهم أصحاب أبى بيهس ومنهم (الازارقة) أصحاب نافع بن الازرق الحنفى وكانوا قبل على رأى واحد لا يختلفون الا فى الشئ الشاذ فبلغهم خروج مسلم بن عقبة الى المدينة وقتله أهل الحرة وانه مقبل الى مكة فقالوا : يجب علينا أن نمنع حرم الله منهم ونمتحن ابن الزبير فان كان على رأينا بايعناه فلما صاروا الى ابن الزبير عرفوه أنفسهم وما قدموا له فأظهر لهم انه على رأيهم حتى أتاهم مسلم بن عقبة وأهل الشام فدافعوهم الى أن يأتى رأى يزيد بن معاوية ولم يبايعوا ابن الزبير ثم تناظروا فيما بينهم فقالوا : ندخل الى هذا الرجل فننظر ما عنده فان قدم أبا بكر وعمر وبرئ من عثمان وعلى وكفّر أباه وطلحة بايعناه وان تكن الاخرى ظهر لنا ما عنده وتشاغلنا بما يجدى علينا فدخلوا على ابن الزبير وهو متبذل وأصحابه متفرقون عنه فقالوا : انا جئناك لتخبرنا رأيك فان كنت على

صواب بايعناك وان كنت على خلاف دعوناك الى الحق ماتقول فى الشيخين قال : خيراً قالوا : فما تقول فى عثمان الذى أحمى الحمى وآوى الطريد وأظهر لأهل مصر شيئا وكتب بخلافه واوطأ آل أبى مُعَيط رقاب الناس وآثرهم بفئ المسلمين وفى الذى بعده الذى حكم الرجال وأقام على ذلك غير تائب ولا نادم وفى أبيك وصاحبه وقد بايعا عليا وهو امام عادل مرضى لم يظهر منه كفر ثم نكثا بيعته وأخرجا عائشة تقاتل وقد أمرها الله وصواحبها بأن يقَرْن فى بيوتهن وكان فى ذلك مايدعوك الى التوبة فان أنت قبلت كل ماتقول فلك الزلفى عند الله والنصر على أيدينا ان شاء الله ونسأل الله لك التوفيق وان أبيت خذلك الله وانتصر منك بأيدينا فقال ابن الزبير : ان الله أمر وله العزة والقدرة فى مخاطبة أكفر الكافرين وأعتى العاتين بأرأف من هذا القول قال لموسى وأخيه صلى الله عليهما . «اذهبا الى فرعون انه طغى فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى» وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تؤذوا الاحياء بسب الاموات فنهى عن سب أبى جهل من أجل عِكرمة ابنه وأبو جهل عدوُّ الله ورسولِه والمقيم على الشرك والجادُّ فى محاربة رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الهجرة والمحارب له بعدها وكفى بالشرك ذنبا وقد كان يغنيكم عن هذا القول الذى سميتم فيه طلحة وأبى ان تقولوا : أتبرأ من الظالمين فان كانا منهم دخلا فى غمار الناس وان لم يكونا منهم لم تُحفظونى بسبب أبى وصاحبه وأنتم تعلمون ان الله جل وعز قال للمؤمن فى أبويه : «وان جاهداك على أن تشرك بى ماليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما فى الدنيا معروفا» وقال : «وقولوا للناس حسنا» وهذا الذى دعوتم اليه أمر

له مابعده وليس يقنعكم الا التوفيق والتصريح ولعمرى أن ذلك أحرى بقطع الحجج وأوضح لمنهاج الحق وأولى بأن يعرف كلٌّ صاحبه من عدوّه فروحوا الىّ من عشيتكم هذه اكشف لكم ما أنا عليه ان شاء الله تعالى . فلما كان العشى راحوا اليه فخرج اليهم وقد لبس سلاحه فلما رأى ذلك نجدة قال : هذا خروج منابذ لكم فجلس على رفع من الارض فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه ثم ذكر أبا بكر وعمر احسن ذكر ثم ذكر عثمان فى السنين الاوائل من خلافته ثم وصلهن بالسنين التى انكروا سيرته فيها فجعلها كالماضية وأخبر أنه آوى الحكم بن أبى العاصى باذن رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر الحمى وما كان فيه من الصلاح وأن القوم استعتبوه ما كان له أن يفعله أولا مصيبا ثم اعتبهم بعد ذلك محسنا وان أهل مصر لما اتوه بكتاب ذكروا انه منه بعد ان ضمن لهم العتبى ثم كُتب ذلك الكتابُ بقتلهم فدفعوا الكتاب اليه فحلف بالله انه لم يكتبه ولم يأمر به وقد أمر الله عز وجل بقبول اليمين ممن ليس له مثل سابقته مع ما اجتمع له من صهر رسول الله صلى الله عليه وسلم ومكانه من الامامة وان بيعة الرضوان تحت الشجرة انما كانت بسببه وعثمان الرجل الذى لزمته يمين لو حلف عليها حلف على حق فافتداها بمائة الف ولم يحلف وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حلف بالله فليصدق ومن حُلف له بالله فليقبل وعثمان أمير المؤمنين كصاحبه وأنا ولى وليه وعدوّ عدوّه وأبى وصاحبه صاحبا رسول الله صلى الله عليه وسلم ورسول الله يقول عن الله عز وجل يوم احُد لما قطعت اصبع طلحة : سبقته الى الجنة وقال : أوجب طلحة وكان الصدّيق اذا ذكر

يوم أحد قال : ذلك يوم كله لطلحة والزبير حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم وصفوته وقد ذكر أنهما في الجنة وقال عز وجل : «لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة» وما أخبرنا بعد انه سخط عليهم فان يكن ماصنعوا حقاً فأهل ذلك هم وان يكن زلة ففي عفو الله تمحيصها وفيما وفقهم له من السابقة مع نبيهم صلى الله عليه وسلم ومهما ذكرتموهما فقد بدأتم بأمكم عائشة فان أبى آب ان تكون له أماً نبذ اسم الايمان عنه وقد قال جل ذكره : «النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم» فنظر بعضهم الى بعض ثم انصرفوا عنه

وكتب بعد ذلك نافع بن الازرق الى عبد الله بن الزبير يدعوه الى أمره أما بعد فاني أحذرك من الله يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا فاتق الله ربك ولا تول الظالمين فان الله يقول : ومن يتولهم منكم فانه منهم وقال : لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء وقد حضرت عثمان يوم قتل فلعمري لئن كان قتل مظلوما لقد كفر قاتلوه وخاذلوه وان كان قاتلوه مهتدين وانهم لمهتدون لقد كفر من تولاه ونصره ولقد علمت ان أباك وطلحة وعليا كانوا أشد الناس عليه وكانوا في أمره بين قاتل وخاذل وأنت تتولى أباك وطلحة وعثمان فكيف ولاية قاتل متعمد ومقتول في دين واحد ولقد ملك علي بعده فنفى الشبهات واقام الحدود واجرى الأحكام مجاريها واعطى الامور حقها فيما عليه وله فبايعه أبوك وطلحة ثم خلعا بيعته ظالمين له وان القول فيك وفيهما لكما قال ابن عباس رحمه الله :

ان يكن على فى وقت معصيتكم ومحاربتكم له كان مؤمنا لقد كفرتم بقتال المؤمنين وأئمة العدل وان كان كافراً كما زعمتم وفى الحكم جائراً لقد بؤتم بغضب من الله لفراركم من الزحف ولقد كنت له عدوّا ولسيرته عائبا فكيف توليته بعد موته

وكتب نجدة وكان من الصُّفرية القَعدية الى نافع بن الازرق لما بلغه عنه استعراضه للناس وقتله الاطفال واستحلاله الامانة : بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فان عهدى بك وانت لليتيم كالأب الرحيم وللضعيف كالأخ البر لا تأخذك فى الله لومة لائم ولا ترى معونة ظالم فلما شريت نفسك فى طاعة ربك ابتغاء رضوانه واصبت من الحق فصّه تجرد لك الشيطان فلم يكن أحد أثقل وطأة عليه منك ومن أصحابك فاستمالك واستغواك فغويت وأكفرت الذين عذرهم الله فى كتابه من قَعَد المسلمين وضَعَفتهم فقال جل ثناؤه وقوله الحق ووعده الصدق « ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ماينفقون حرج اذا نصحوا لله ورسوله » ثم سماهم أحسن الاسماء فقال : « ماعلى المحسنين من سبيل » ثم استحللت قتل الاطفال وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتلهم وقال جل ثناؤه « ولا تزر وازرة وزر أخرى » وقال فى القَعَد خيراً وفضل الله من جاهد عليهم ولا يدفع منزلة أكثر الناس عملا منزلة من هو دونه أوما سمعت قوله تبارك وتعالى : « لا يستوى القاعدون من المؤمنين غيرُ أولى الضرر » فجعلهم من المؤمنين وفضّل عليهم المجاهدين بأعمالهم ورأيتَ أن لا تؤدى الامانة الى من يخالفك والله يأمر أن تؤدى الأماناتِ الى أهلها فاتق الله وانظر لنفسك واتق يوما

لا يجزى والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا فان الله بالمرصاد وحكمه العدل وقوله الفصل والسلام

فكتب اليه نافع بن الازرق : بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فقد أتانى كتابُك تعظنى فيه وتذكرنى وتنصح لى وتزجرنى وتصف ما كنتُ عليه من الحق وما كنتُ أوثره من الصواب وأنا أسأل الله أن يجعلنى من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه وعبتَ على مادِنتُ به من إكفار القعد وقتل الاطفال واستحلال الامانة وسأفسر لك ذلك ان شاء الله أما هؤلاء القعد فليسوا كمن ذكرت ممن كان بعهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لانهم كانوا بمكة مقهورين محصورين لايجدون الى الهرب سبيلا ولا الى الاتصال بالمسلمين طريقا وهؤلاء قد فقهوا فى الدين وقرءوا القرآن والطريق لهم نَهجٌ واضح وقد عرفت مايقول الله لمن كان مثلهم اذ قال : «الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فيمَ كنتم قالوا كنا مستضعفين فى الارض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها» وقال : «فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وقال : وجاء المعذرون من الأعراب ليؤذن لهم وقعد الذين كذبوا الله ورسوله سيصيب الذين كفروا منهم عذاب أليم» فسماهم بالكفر وأما أمر الاطفال فان نبى الله نوحا كان أعرف بالله يانجدة منى ومنك فقال : رب لا تذر على الارض من الكافرين ديّاراً انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجرا كفارا فسماهم بالكفر وهم اطفال وقبل أن يولدوا! فكيف جاز ذلك فى قوم نوح ولا يجوز فى قومنا والله يقول : «أكفاركم خير من أولئكم أم لكم براءة فى الزبر» وهؤلاء كمشركى

العرب لا تقبل منهم جزية وليس بيننا وبينهم الا السيف أو الاسلام وأما استحلال أمانات من خالفنا فان الله عز وجل أحل لنا أموالهم كما أحل لنا دماءهم فدماؤهم حلال طلق وأموالهم فئ للمسلمين فاتق الله وراجع نفسك فانه لاعذر لك الا بالتوبة ولا يسعك خذلاننا والقعود دوننا والسلام على من أقر بالحق وعمل به

وكان مرداس أبو بلال من الخوارج وكان مستتراً فلما رأى جد ابن زياد فى قتل الخوارج وحبسهم قال لاصحابه انه والله لا يسعنا المقام بين هؤلاء الظالمين تجرى علينا أحكامهم مجانبين للعدل مفارقين للفصل والله ان الصبر على هذا لعظيم وان تجريد السيف واخافة السبيل لعظيم ولكنا ننتبذ عنهم ولا نجرد سيفا ولا نقاتل الا من قاتلنا فاجتمع عليه أصحابه وهم ثلاثون رجلا فأرادوا أن يولوا أمرهم حريث بن حجل فأبى فولوا أمرهم مرداسا أبا بلال فلما مضى بأصحابه لقيه عبد الله بن رباح الانصارى وكان له صديقا فقال له : يا أخى أين تريد قال : أريد أن أهرب بدينى ودين أصحابى هؤلاء من أحكام الجورة والظلمة فقال له : أعلم بكم أحد قال : لا قال : فارجع قال : أو تخاف على مكروها قال : نعم قال : فلا تخف فانى لا أجرد سيفا ولا أخيف أحداً ولا أقاتل الا من قاتلنى ثم مضى حتى نزل آسك وهو ما بين رامهرمز وأرجان فمر به مال يحمل الى ابن زياد وقد بلغ أصحابه أربعين رجلا فحط ذلك المال وأخذ منه عطاءه وأعطيات أصحابه ورد الباقى على الرسل وقال : قولوا لصاحبكم انما قبضنا أعطياتنا فقال بعض أصحابه : فعلام ندع الباقى فقال : انهم يقسمون هذا الفئ كما يقيمون الصلاة فلا

نقاتلهم ولمرداس هذا أشعار فى الخروج منها قوله

ابعد ابن وهب ذى النزاهة والتقى ومن خاض فى تلك الحروب المهالكا
أحب بقاء أو أرجى سلامة وقد قتلوا زيد بن حصن ومالكا
فيارب سلم نيتى وبصيرتى وهب لى التقى حتى ألاقى أولئكا

وقالوا ان رجلا من أصحاب ابن زياد قال : خرجنا فى جيش نريد خراسان فمررنا بآسك فاذا نحن بمرادس وأصحابه وهم أربعون رجلا فقال : أقاصدون لقتالنا أنتم قلنا : لا انما نريد خراسان قال : فأبلغوا من لقيتم انا لم نخرج لنفسد فى الارض ولا لنروع احدا ولكن هربا من الظلم ولسنا نقاتل الا من قاتلنا ولا نأخذ من الفىء الا أعطياتنا ثم قال : أندب لنا أحد فقلنا : نعم أسلم بن زرعة الكلابى قال : فمتى ترونه يصل الينا قلنا له: يوم كذا وكذا فقال أبو بلال : حسبنا الله ونعم الوكيل وندب عبدالله بن زياد أسلم بن زرعة الكلابى ووجهه اليهم فى الفين فلما صار اليهم صاح به أبو بلال اتق الله يا أسلم فانا لا نريد قتالا ولا نحتجن مالا فما الذى تريد قال : أريد أن أردكم الى ابن زياد قال : اذاً يقتلنا قال : وان قتلكم قال . أفتشركه فى دمائنا قال : نعم انه محق وأنتم مبطلون قال أبو بلال : وكيف هو محق وهو فاجر يطيع الظلمة ثم حملوا عليه حملة رجل واحد فانهزم هو وأصحابه فلما ورد على ابن زياد غضب عليه غضبا شديدا وقال : انهزمت وأنت فى الفين عن أربعين رجلا قال له اسلم : والله لأن تذمنى حيا أحب الىّ من أن تحمدنى ميتا وكان اذا خرج الى السوق ومر بالصبيان صاحوا به أبو بلال وراءك حتى شكا الى ابن زياد فأمر الشرط أن يكفوا الناس عنه

﴿ جامع الآداب ﴾

﴿ أدب الله لنبيه صلى الله عليه وسلم ﴾

قال أبو عبدالله أحمد بن محمد : أول مانبدأبه أدب الله لنبيه صلى الله عليه وسلم ثم أدبه صلى الله عليه وسلم لأمته ثم الحكماء والعلماء. وقد أدب الله نبيه بأحسن الآداب كلها فقال له : ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولاتبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا فنهاه عن التقتير كما نهاه عن التبذير وأمره بتوسط الحالتين كما قال عز وجل : والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما . وقد جمع الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم جوامع الكلم فى كتابه المحكم ونظم له مكارم الاخلاق كلها فى ثلاث كلمات فقال : خذ العفو وأمر بالعُرف وأعرض عن الجاهلين ففى أخذه العفو صلة من قطعه والصفح عمن ظلمه وفى الأمر بالمعروف تقوى الله وغض الطرف عن المحارم وصون اللسان عن الكذب وفى الاعراض عن الجاهلين تنزيه النفس عن مماراة السفيه ومنازعة اللجوج ثم أمر تبارك وتعالى فيما أدبه باللين فى عريكته والرفق بأمته فقال : واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين وقال : ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك وقال تبارك وتعالى : ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتى هى أحسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم وما يُلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم فلما وعى عن الله عز وجل وكملت فيه هذه الآداب قال الله تبارك وتعالى : لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز

عليه ماعنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم فان تولوا فقل حسبي الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم

﴿ آداب النبي صلى الله عليه وسلم لأمته ﴾

قال النبي صلى الله عليه وسلم فيما أدب به أمته وحضها عليه من كل مكارم الاخلاق وجميل المعاشرة واصلاح ذات البين وصلة الارحام : أوصانى ربى بتسع أوصيكم بها أوصانى بالاخلاص فى السر والعلانية والعدل فى الرضا والغضب والقصد فى الغنى والفقر وان أعفو عمن ظلمني وأعطى من حرمنى وأصل من قطعنى وأن يكون صمتى فكرا ونطق ذكرا ونظري عبرا . وقد قال صلى الله عليه وسلم : نهيتكم عن قيل وقال واضاعة المال وكثرة السؤال وقد قال صلى الله عليه وسلم : لاتقعدوا على ظهور الطرق فان أبيتم فغضوا الابصار وأفشوا السلام واهدوا الضّلال وأعينوا الضعيف وقال : اليد العليا خير من اليد السفلى وأبدأ بمن تعول وقال : لا تجن يمينك على شمالك ولا يلدغ المؤمن من جحر مرتين وقال : المرء كثير بأخيه وقال : أفضل الاصحاب من اذا ذكرت اعانك واذا نسيت ذكرك وقال: لا يؤمر ذو سلطان في سلطانه ولا يجلس على تكرمته الا باذنه وقال صلى الله عليه وسلم : يقول ابن آدم مالى مالى وانما له من ماله ما أكل فأفنى أو لبس فأبلى أو وهب فأمضى وقال : لا يحكم الحاكم بين اثنين وهو غضبان وقال : لو تكاشفتم ما تدافنتم وما هلك امرؤ عرف قدره وقال : الناس كابل مائة لاتكاد تجد فيها راحلة والناس كلهم سواء كاسنان المُشط وقال : رحم الله

عبدا قال خيرا فغنم أو سكت فسلم

﴿ فى آداب الحكماء والعلماء ﴾

(فى فضيلة الأدب) — أوصى بعض الحكماء بنيه فقال : الأدب أكرم الجواهر طبيعة وأنفسها قيمة يرفع الأحساب الوضيعة ويفيد الرغائب الجليلة ويعز بلا عشيرة ويكثر الانصار لغير رزية فالبسوه حلة وتزينوه خلة يؤنسكم فى الوحشة ويجمع لكم القلوب المختلفة . وقال شَبيب بن شبة : اطلبوا الادب فانه مادة للعقل ودليل على المروءة وصاحب فى الغربة ومؤنس فى الوحشة وصلة فى المجلس . وقال عبد الملك بن مروان لبنيه : عليكم بطلب الأدب فانكم ان احتجتم اليه كان لكم مالا وان استغنيتم عنه كان لكم جمالا . وقال بعض الحكماء : اعلم ان جاهاً بالمال انما يصحبك ماصحبك المال وجاها بالأدب غير زائل عنك . وقال ابن المقفع : اذا اكرمك الناس لمال أو لسلطان فلا يعجبك ذلك فان الكرامة تزول بزوالهما ليعجبك اذا اكرموك لدين أو أدب . وقال الاحنف بن قيس : رأس الأدب المنطق ولا خير فى قول الا بفعل ولا فى مال الا بجود ولا فى صديق الا بوفاء ولا فى فقه الا بورع ولا فى صدق الا بنية . وقال بُزرجَمهر : ماورث الآباء الابناء شيئا خيرا من الأدب لأن بالأدب يكسبون المال وبالجهل يتلفونه . وقال الفضيل بن عياض : رأس الأدب معرفة الرجل قدره . وقالوا : حسن الخلق خير قرين والأدب خير ميراث والتوفيق خير قائد . وقال سفيان الثّورى : من عرف نفسه لم يضره ماقال

الناس فيه . وقالت الحكماء : اذا كان الرجل طاهر الاثواب كثير الآداب حسن المذهب تأدب بأدبه وصلح بصلاحه جميع أهله وولده : قال الشاعر

رأيت صلاح المرء يصلح أهله ... ويفسدهم رب الفساد اذا فسد
يعظم في الدنيا لفضل صلاحه ... ويُحفَظ بعد الموت في الأهل والولد

﴿ في رقة الأدب ﴾ — قال أبو بكر بن أبي شيبة : قيل للعباس بن عبد المطلب : أنت أكبر أم رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : هو أكبر مني وانا أسن منه . وقيل لعمر بن ذر : كيف بر ابنك بك . قال: مامشيت نهارا قط الا مشى خلفى ولا ليلا الا مشى امامى ولا رقى عُلِّيَّة وأنا تحته . ومن حديث عائشة قالت : مارأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يبجل احدا تبجيله لعمه العباس وكان عمر وعثمان اذا لقيا العباس نزلا اعظاماله اذا كانا راكبين

﴿ في الأدب في الحديث والاستماع ﴾ — قالت الحكماء : رأس الأدب كله حسن الفهم والتفهم والاصغاء للمتكلم . وقال الشعبى فيما يصف به عبد الملك بن مروان : والله ماعلمته الا آخذا بثلاث تاركا لثلاث آخذا بحسن الحديث اذا حدث وبحسن الاستماع اذا حُدث وبأيسر المؤنة اذا خولف تاركا لمجاوبة اللئيم ومماراة السفيه ومنازعة اللجوج . وقال بعض الحكماء لابنه . يابنى تعلم حسن الاستماع كما تتعلم حسن الحديث وليعلم الناس أنك أحرص على أن تسمع منك على أن تقول فاحذر ان تسرع فى القول فيما يجب عنه الرجوع بالفعل حتى يعلم الناس انك الى فعل مالم تقل اقرب منك الى قول مالم تفعل قالوا : من حسن الأدب ان لا تغالب احدا

على كلامه واذا سئل غيرك فلا تجب عنه واذا حدث بحديث فلا تنازعه اياه ولا تقتحم عليه فيه ولا تره أنك تعلمه واذا كلمت صاحبك فاخذته حجتك فحسن مخرج ذلك عليه ولا تظهر الظفر به وتعلم حسن الاستماع كما تعلم حسن الكلام . وقال الحسن البصرى : حدثوا الناس ماأقبلوا عليكم بوجوههم

﴿ فى المجالسة ﴾ قال المهلب بن ابى صفرة : العيش كله فى الجليس الممتع . أبو أمامة قال : خرج الينا النبى صلى الله عليه وسلم فقمنا اليه فقال : لا تقوموا كما تقوم العجم لعظمائها فما قام اليه احد منا بعد ذلك . وحدث ابن عمر أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : ان خرجت عليكم وأنتم جلوس فلا يقومن منكم أحد فى وجهى وان قمت فكما انتم وان جلست فكما أنتم فان ذلك خلق من اخلاق المشركين . وقال سعيد بن العاص : مامددت رجلى قط بين يدى جليسى ولا قمت حتى يقوم . وقال ابراهيم النخعى : اذا دخل أحدكم بيتا فليجلس حيث أجلسه اهله : وطرح ابو قلابة لرجل جلس اليه وسادة فردها فقال : أما سمعت الحديث لا ترد على اخيك كرامته . وقال الحسن : مجالسة الرجل من غير أن يسئل عن اسمه واسم أبيه مجالسة النوكى ولذلك قال شبيب بن شبة لابى جعفر ولقيه فى الطواف وهو لا يعرفه فأعجبه حسن هيئته وسمته أصلحك الله انى احب المعرفة واجلك عن المسئلة فقال . انا فلان بن فلان : ذكروا انه كان يوما ابو السمراء عند عبد الله بن طاهر وعنده اسحاق بن ابراهيم فاستدنى عبد الله اسحاق فناجاه بشئ وطالت النجوى بينهما قال : فاعترتنى حيرة فيما بين القعود على ماهما عليه

والقيام حتى انقطع مابينهما وتنحى اسحاق الى موقفه ونظر عبد الله الى فقال

اذا النجيان سرا عنك أمرهما فابرح بسمعك يجهل مايقولان
ولا تحملهما ثقلا لخوفهما على تناجيهما بالمجلس الدانى

فما رأيت أكرم منه ولا أرفق أدبا ترك مطالبتى فى هفوتى بحق الامراء وأدبنى أدب النظراء.

﴿ فى الأدب فى المماشاة ﴾ — وجه هشام بن عبد الملك ابنه على الصائفة ووجه معه ابن أخيه وأوصى كل واحد منهما بصاحبه فلما قدما عليه قال لابن أخيه : كيف رأيت ابن عمك فقال : ان شئت أجملت وان شئت فسرت قال : بل أجمل قال : عرضت بيننا جادة فتركها كل واحد منا لصاحبه فما ركبناها حتى رجعنا اليك . وقال يحيى بن أكثم ماشيت المأمون يوما من الايام فى بستان مؤنسة بنت المهدى فكنت من الجانب الذى يستره من الشمس فلما انتهى الى آخره وأراد الرجوع أردت أن ادور الى الجانب الذى يستره من الشمس فقال : لاتفعل ولكن كن بحالك حتى أسترك كما سترتنى فقلت . ياأمير المؤمنين لو قدرت أن أقيك حر النار لفعلت فكيف الشمس فقال ليس هذا من كرم الصحبة ومشى ساترا لى من الشمس كما سترته

﴿ فى تأديب الصغير ﴾ — قالت الحكماء : من أدب ولده صغيرا سر به كبيرا . وقالوا : اطبع الطين ما كان رطبا واغمز العود ما كان لدنا وقالوا: من أدب ولده غم حاسده . وقال ابن عباس : من لم يجلس فى

الصغر حيث يكره لم يجلس فى الكبر حيث يحب قال الشاعر

اذا المرء أعيته المروءة ناشئا　　فمطلبها كهلا عليه شديد

وقالوا . ماأشد فطام الكبير وأعسر رياضة الهرم . وقال صالح بن عبد القدوس

وان من أدبته فى الصبا　　كالعود يسقى الماء فى غرسه
حتى تراه مورقا ناضرا　　بعد الذى أبصرت من يبسه
والشيخ لايترك أخلاقه　　حتى يوارى فى ثرى رمسه
اذا ارعوى عاد له جهله　　كذى الصبا عاد الى بلسه
ما تبلغ الاعداء من جاهل　　مايبلغ الجاهل من نفسه

وقال عمرو بن عتبة لمعلم ولده : ليكن اول اصلاحك لولدى اصلاحك لنفسك فان عيونهم معقودة بعينك فالحسن عندهم ماصنعت والقبيح ماتركت علمهم كتاب الله ولا تُمِلّهم فيه فيتركوه ولا تتركهم منه فيهجروه روهم من الحديث أشرفه ومن الشعر أعفه ولا تنقلهم من علم الى علم حتى يحكموه فان ازدحام الكلام فى القلب مشغلة للفهم وعلمهم سنن الحكماء وجنبهم محادثة النساء ولا تتوكل على عذر منى لك فقد اتكلت على كفاية منك

﴿ فى حب الولد ﴾ — أرسل معاوية الى الاحنف بن قيس فقال : ياأبا بحر ماتقول فى الولد قال . ثمار قلوبنا وعماد ظهورنا ونحن لهم أرض ذليلة وسماء ظليلة فان طلبوا فأعطهم وان غضبوا فأرضهم يمنحوك ودهم

ويحبوك جهدهم ولا تكن عليهم ثقيلا فيملوا حياتك ويحبوا وفاتك فقال : لله أنت يا أحنف لقد دخلت على وانى لمملوء غضبا على يزيد فسللته من قلبي فلما خرج الاحنف من عنده بعث معاوية الى يزيد : بمائتي ألف درهم ومائتي ثوب فبعث يزيد الى الاحنف بمائة ألف درهم ومائة ثوب شاطره البعثة . وكان عبدالله بن عمر يذهب بولده سالم كل مذهب حتى لامه الناس فيه فقال :

يلومونني في سالم وألومهم وجلدة بين العين والانف سالم

وقال : ان ابني سالما يحب الله حبا لو لم يخفه ما عصاه : ودخل عمرو ابن العاص على معاوية وبين يديه بنته عائشة فقال : من هذه فقال : تفاحة القلب فقال له : انبذها عنك فوالله انهن ليلدن الاعداء ويقربن البعداء ويورثن الضغائن قال : لاتقل ذاك ياعمرو فوالله مامرّض المرضى ولاندب الموتى ولا أعان على الاحزان مثلهن ورب ابن أخت قد نفع خاله . وقال المعلى الطائى :

لولا بنيات كزغب القطا رددن من بعض الى بعض
لكان لى مضطرب واسع فى الارض ذاتِ الطول والعرض
وانما أولادنا بيننا أكبادنا تمشى على الارض

﴿ الاعتضاد بالولد ﴾ ـ قال الله تبارك وتعالى : فيما حكاه عن عبده زكريا ودعائه اليه فى الولد : وزكريا اذنادى ربه رب لاتذرنى فردا وأنت خير الوارثين وقال : وانى خفت الموالى من ورائى وكانت امرأتي عاقرا

فهب لى من لدنك وليا يرثني ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيا والموالى ههنا بنو العم . وقال الشاعر :

من كان ذا عضد عزت ظلامته ... ان الذليل الذى ليست له عضد
تنبو يداه اذا ماقل ناصره ... ويأنف الضيم ان أثرى له عدد

العتبي قال : لما أسن أبو براء عامر بن مالك وضعفه بنو أخيه وخرفوه ولم يكن له ولد يحميه أنشأ يقول

دفعتكم عنى وما دفع راحة ... بشيء اذا لم تستعن بالانامل
يضعفنى حلمى وكثرة جهلكم ... على وانى لا أصول بجاهل

﴿ فى التجارب والتأدب بالزمان ﴾ ـ قالت الحكماء : كفى بالتجارب تأديبا وبتقلب الايام عظة . وقالوا : كفى بالدهر مؤدبا وبالعقل مرشدا. وقال حبيب

أحاولت ارشادى فعقلى مرشد ... أم استمت تأديبي فدهرى مؤدبى

وقال ابراهيم بن شكلة :

من لم يؤدبه والداه ... أدبه الليل والنهار
كم قد أذلا كريم قوم ... ليس له منهما انتصار
من ذا يد الدهر لم تنله ... أو اطمأنت به الديار
كل عن الحادثات مغض ... وعنده للزمان ثار

وقال آخر

وما أبقت لك الايام عذرا ... وبالايام يتعظ اللبيب

وقالوا : كفى بالدهر مخبرا بما مضى عما بقى . وقالوا لعيسى بن مريم عليهما السلام . من أدبك قال : ما أدبنى أحد رأيت الجهل قبيحا فاجتنبته

﴿ فى صحبة الايام بالموادعة ﴾ ـ قالت الحكماء . اصحب الأيام بالموادعة ولا تسابق الدهر فتنكب . وقال الشاعر

من سابق الدهر كبا كبوة   لم يستقلها من خطا الدهر
فاخط مع الدهر اذا ما خطا   واجر مع الدهر كما يجرى

وقال بشّار العُقيلى

اعاذل ان العذر سوف يفيق   وان يسارا من غد لخليق
وما كنت الا كالزمان اذا صحا   صحوت وان ماق الزمان أموق

وقال آخر

تحامق مع الحمقى اذا ما لقيتهم   ولاقهم بالجهل فعل ذوى الجهل
وخلط اذا لاقيت يوما مخلطا   يخلط فى قول صحيح وفى هزل
فانى رأيت المرء يشقى بعقله   كما كان قبل اليوم يسعد بالعقل

ومن أمثالهم فى ذلك تطامنْ لها تخطك : ومن قولنا فى هذا المعنى

تطامن للزمان يجزك عفواً   وان قالوا ذليل قل ذليل

﴿ فى التحفظ من المقالة القبيحة وان كانت باطلا ﴾ ـ قالت الحكماء : اياك وما يعتذر منه . وقالوا من عرض نفسه للتهم فلا يأمن اساءة الظن . وقالوا : حسبك من شر سماعه . وقالوا : كفى بالقول عاراً وان كان باطلا .

وقال الشاعر .

ومن دعا الناس الى ذمه ذموه بالحق وبالباطل
مقالة السوء الى أهلها أسرع من منحدر سائل

وقال آخر

قد قيل ماقيل ان حقا وان كذبا فما اعتذارك من قول اذا قيلا

وقال ارسطاطاليس للاسكندر: ان الناس اذا قدروا أن يقولوا قدروا أن يفعلوا فاحترس من أن يقولوا تسلم من أن يفعلوا. وقال امرؤ القيس: «وجرح اللسان كجرح اليد» وقال الاخطل: «والقول ينفذ مالا تنفذ الأيدى» وقال يعقوب المحمدى

وقد يرجى لجرح السيف برء ولا برء لما جرح اللسان

ولآخر

قالوا ولو صح ماقالوا لفزت به من لى بتصديق ماقالوا وتكذيب

﴿الأدب فى العيادة﴾ — مرض أبو عمرو بن العلاء فدخل عليه رجل من أصحابه فقال له: أريد أن أساهرك الليلة قال له: أنت معافى وأنا مبتلى فالعافية لا تدعك ان تسهر والبلاء لايدعنى ان أنام واسأل الله ان يهب لأهل العافية الشكر ولأهل البلاء الصبر. ودخل كُثَيِّر عزة على عبد العزيز ابن مروان وهو مريض فقال: لو ان سرورك لايتم الا بأن تسلم واسقم لدعوت ربى ان يصرف مابك الى ولكن اسأل الله لك أيها الامير العافية ولى فى كنفك النعمة فضحك وأمر له بجائزة فخرج وهو يقول

ونعود سيدنا وسيد غيرنا ليت التشكى كان بالعوّاد

لو كان يقبل فدية لفديته ... بالمصطفى من طارفى وتلادى

وكتب رجل من أهل الأدب الى عليل

نبئت انك معتل فقلت لهم ... نفسى الفداء له من كل محذور

ياليت علته بى ثم كان له ... أجرُ العليل وانى غيرُ مأجور

وكتب آخر الى عليل

وقيناك لو يُعطَى الهوى فيك والمنى ... لكان بنا الشكوى وكان لك الأجر

وقال بكر بن عبد الله لقوم عادوه فى مرضه فأطالوا الجلوس عنده: المريض يعاد والصحيح يزار. وقال سفيان الثورى: حُمْق القراء أشد على المرضى من أمراضهم يجيئون في غير وقت ويطيلون الجلوس. ودخل رجل على عمر بن عبد العزيز يعوده فى مرضه فسأله عن علته فلما أخبره قال من هذه العلة مات فلان ومات فلان فقال له عمر: اذا عُدْتَ المرضى فلا تنع اليهم الموتى واذا خرجت عنا فلا تعد الينا. وقال ابن عباس: اذا دخلتم على الرجل وهو فى الموت فبشروه ليلقى ربه وهو حسن الظن ولقنوه الشهادة ولا تُضجروه. ومرض الأعمش فأبرمه الناس بالسؤال عن حاله فكتب قصته فى كتاب وجعله عند رأسه فاذا سأله أحد قال: عندك القصة فى الكتاب فاقرأها. وأنشد محمد بن يزيد قال: أنشدنى أبو دهمان لنفسه وقد دخل على بعض الامراء يعوده

بأنفسنا لا بالطوارف والتلد ... نقيك الذى تخشى من السقم أو تبدى

بنا معشرَ العواد مابك من أذى ... فان أشفقوا مما أقول في وحدى

﴿ الأدب فى اصلاح المعيشة ﴾ — قالوا : من أشبع أرضه عملا أشبعته خبزاً وقالوا : يقول الثوب لصاحبه أكرمني داخلا أكرمك خارجا وقالت عائشة المغزل بيد المرأة أحسن من الرمح بيد المجاهد فى سبيل الله . وقال عمر بن الخطاب لا تنهكوا وجه الارض فان شحمها فى وجهها

﴿ أدب الملوك ﴾ — قال العلماء : لا يؤمر ذو سلطان فى سلطانه ولا يجلس على تكرمته الا باذنه . ودخل عبد الله بن عباس على معاوية وعنده زياد فرحب به معاوية ووسع له الى جنبه وأقبل عليه يسائله ويحادثه وزياد ساكت فقال له ابن عباس : كيف حالك أبا المغيرة كأنك أردت أن تحدث بيننا وبينك هجرة فقال : لا ولكنه لا يسلم على قادم بين يدى أمير المؤمنين قال ابن عباس : ما أدركت الناس الا وهم يسلمون على اخوانهم بين يدى أمرائهم فقال له معاوية : كف عنه يا ابن عباس فانك لا تشاء أن تغلب الا غلبت . وقالوا : اذا زادك الملك اكراما فزده اعظاما ولا تديمن النظر اليه ولا تكثر من الدعاء له فى كل كلمة ولا تتغير له اذا سخط ولا تغتر به اذا رضى ولا تلحف في مسئلته وقال أصحاب معاوية لمعاوية : انا ربما جلسنا عندك فوق مقدار شهوتك فأنت تكره أن تستخف بنا فتأمرنا بالقيام ونحن نكره أن نثقل عليك بطول الجلوس فلو جعلت لنا علامة نعرف بها ذلك فقال : علامة ذلك أن أقول : اذا شئتم . وقيل مثل ذلك ليزيد بن معاوية فقال : اذا قلت على بركة الله

﴿ الكناية والتعريض ﴾

دخل حارثة بن بدر على زياد وفى وجهه أثر فقال له زياد ماهذا الاثر الذى فى وجهك قال : ركبت فرسى الاشقر فجمح بى فقال : أما انك لو ركبت الاشهب لما فعل ذلك فكنى حارثة بالاشقر عن النبيذ وكنى زياد بالاشهب عن اللبن . ولما عزل عثمان بن عفان عمرو بن العاص عن مصر وولاها ابن أبى سرح دخل عمرو على عثمان وعليه جبة محشوة فقال له عثمان ماحشو جبتك ياعمرو قال : انا قال : قد علمت أنك فيها ثم قال له ياعمرو أشعرت ان اللقاح درت بعدك ألبانها فقال : لأنكم أعجفتم أولادها فكنى عثمان عن خراج مصر باللقاح وكنى عمرو عن جور الوالى بعده وانه حرم الرزق أهل العطاء ووفره على السلطان

﴿ الكناية يورى بها عن الكذب والكفر ﴾ — لما هزم الحجاج عبد الرحمن بن الاشعث وقتل أصحابه وأسر بعضهم كتب اليه عبد الملك بن مروان أن يعرض الاسرى على السيف فمن أقر منهم بالكفر خلى سبيله ومن أبى يقتله فأتى منهم بعامر الشعبى ومطرف بن عبد الله بن الشخير وسعيد بن جبير فأما الشعبى ومطرف فذهبا الى التعريض والكناية ولم يصرحا بالكفر فقبل كلامهما وعفا عنهما وأما سعيد بن جبير فأبى ذلك فقتل وكان مما عرض به الشعبى ان قال : أصلح الله الامير نبا بنا المنزل وأجزل بنا الجناب واستحلسنا الخوف واكتحلنا السهر وخبطتنا فتنة لم نكن فيها بررة أتقياء ولا فجرة أقوياء : قال صدق والله مابروا بخروجهم علينا ولا قووا خليا عنه ثم قدم اليه

مطرف بن عبد الله فقال له الحجاج : أتقر على نفسك بالكفر قال : ان من شق العصا وسفك الدماء ونكث البيعة وأخاف المسلمين لجدير بالكفر قال : خليا عنه ثم قدم اليه سعيد بن جبير فقال له : أتقر على نفسك بالكفر قال : ما كفرت بالله مذ آمنت به قال : اضربوا عنقه

﴿ فى الكناية والتعريض فى طريق الدُّعابة ﴾ — سئل ابن سيرين عن رجل فقال : توفى البارحة فلما رأى جزع السائل قال : الله يتوفى الانفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها وانما أردت بالوفاة النومَ . ومرض زياد فدخل عليه شُرَيح القاضى يعوده فلما خرج بعث اليه مسروق بن الاجدع يسأله كيف تركت الامير قال : تركته يأمر وينهى فقال مسروق : ان شريحا صاحب تعريض فاسألوه فسألوه قال : تركته يأمر بالوصية وينهى عن البكاء . ومرّ رجل من بنى نُمير برجل من بنى تَميم على يده بازى فقال التميمى للنميرى : هذا البازى قال له النميرى . نم وهو يَصيد القطا أراد التميمى قول جرير

أنا البازى المطلّ على نُمير ... أُتيح لها من الجو انصبابا

واراد النميرى قول الطِرِمّاح

تميم بطُرْق اللؤم أهدى من القطا ... ولو سلكت سُبْلَ المكارم ضلت

ودخل رجل من مُحارِب على عبدالله بن يزيد الهلالى وهو والى إرْمينيّة وقريب منه غدير فيه ضفادع فقال عبد الله بن يزيد : ما تركتْنا شيوخ محارب ننام الليلة فقال له المحاربى : أصلح الله الامير أو تدرى لم ذلك قال :

ولم قال . لانها أضلت برقعا لهـا قال قبحك الله وقبح ما جئت به أراد ابن يزيد الهلالى قول الاخطل

تنق بلا شئ شيوخ محارب وما خلتها كانت تريش ولا تبرى
ضفادع فى الظلماء ليل تجاوبت فدل عليها صوتها حية البحر

واراد المحاربى قول الشاعر

لكل هلالى من اللؤم برقع ولابن هلال برقع وقميص

فى الصمت

قال لقمان . الصمت حكم وقليل فاعله . وقال أبو عبيد الله كاتب المهدى : كن على التماس الحظ بالسكوت أحرص منك على التماسه بالكلام ان البلاء موكل بالمنطق . وقال أبو الدرداء : انصف أذنيك من فيك فانما جعل لك أذنان اثنان وفم واحد لتسمع أكثر مما تقول . وقال المهلب بن أبى صفرة لأن أرى لعقل الرجل فضلا على لسانه أحب الى من أن أرى للسانه فضلا على عقله . وقالوا : من ضاق صدره اتسع لسانه ومن كثر كلامه كثر سقطه ومن ساء خلقه قل صديقه . وقال هرم بن حيان . صاحب الكلام بين منزلتين ان قصر فيه خصم وان أعرق فيه أثم : وقال شبيب ابن شبة: من سمع الكلمة يكرهها فسكت عنها انقطع ضرها عنه

وقال الحسن بن هانئ

خل جنبيك لرام وامض عنه بسلام
مت بداء الصمت خير لك من داء الكلام

رب لفظ ساق آجال فئام وفئام
انما السالم من ألجم فاه بلجام

﴿ في المنطق ﴾

قال الذين فضلوا المنطق . انما بعثت الانبياء بالكلام ولم يبعثوا بالسكوت وبالكلام وصف فضل الصمت ولم يوصف القول بالصمت وبالكلام يؤمر بالمعروف وينهى عن المنكر والبيان من الكلام هو الذى منّ الله به على عباده فقال : خلق الانسان علمه البيان والعلم كله لا يؤديه الى أوعية القلوب الا اللسان فنفع المنطق عام لقائله وسامعه ونفع الصمت خاص لفاعله قال . وأعدل شئ قيل فى الصمت والمنطق قولهم . الكلام فى الخير كله أفضل من الصمت والصمت فى الشر كله أفضل من الكلام

﴿ فى الفصاحة ﴾

قال الله تبارك وتعالى فيما حكاه عن نبيه موسى صلى الله عليه وسلم واستيحاشه لعدم الفصاحة وأخى هرون هو أفصح منى لسانا فأرسله معى ردءا يصدقنى . وقال معاوية يوما لجلسائه : أى الناس أفصح فقال رجل من السماط . يا أمير المؤمنين قوم قد ارتفعوا عن رُتّة العراق وتياسروا عن كَسْكَسة بكر وتيامنوا عن قشقشة تغلب ليس فيهم غمغمة قضاعة ولا طُمْطُمانية حمير قال : من هم قال : قومك يا أمير المؤمنين قريش قال : صدقت فمن أنت قال : من جرم قال الاصمعى . جرم فصحاء الناس . قال أبو العباس محمد بن يزيد النحوى : التمتمة فى المنطق التردد فى التاء

والفأفأة التردد فى الفاء والعقلة هى التواء اللسان عند ارادة الكلام والحبسة تعذر الكلام عند ارادته واللفف ادخال حرف فى حرف والطمطمة أن يكون الكلام مشبها لكلام العجم واللكنة أن تعترض عند الكلام اللغة الاعجمية وسنفسر هذا حرفا حرفا وما قيل فيه ان شاء الله واللثغة أن يعدل بحرف الى حرف والغنة أن يشرب الحرف صوت الخيشوم والخنة أشد منها والترخيم حذف الكلام يقال رجل فأفاء تقديره فاعال ونظيره من الكلام ساباط وخاتام قال الراجز

يامى ذات الجورب المنشق أخذت خاتامى بغير حق

وقال آخر

ليس بفأفاء ولا تمتام ولا محب سقط الكلام

وأما الرتة فانها تكون غريزية . وقال الراجز « يأيها المخلط الأرت » ويقال انها تكثر فى الاشراف وأما الغمغمة فانها قد تكون من الكلام وغيره لانها صورة لا يفهم تقطيع حروفها وأما كشكشة تميم فان بنى عمرو بن تميم اذا ذكرت كاف المؤنث فوقفت عليها أبدلت منها شينا لقرب الشين من الكاف فى المخرج وأما كسكسة بكر فقوم منهم يبدلون من الكاف سينا كما فعل التميميون فى الشين وأما طمطمانية حمير ففيها يقول عنترة :

تأوى له حرف النعام كأنها حرف يمانية لأعجم طمطم

وكان صهيب أبو يحيى رحمه الله يرتضخ لكنة رومية . وكان عبيد الله بن زياد يرتضخ لكنة فارسية من قبل زوج أمه شيرويه الأسوارى . وكان زياد الاعجم وهو رجل من عبد القيس يرتضخ لكنة أعجمية وأنشد المهلب فى مدحه اياه

فتى زاده السلتان فى الحمد رغبة ... اذا غير السلتان كل جليل

يريد السلطان وذلك أن بين التاء والطاء نسبا لأن التاء من مخرج الطاء وأما الغنة فتستحسن من الجارية الحديثة السن

﴿ فى الاعراب واللحن ﴾

أبو عُبَيدة قال : مر الشعبي بقوم من الموالى يتذاكرون النحو فقال لهم : لئن أصلحتموه انكم لأولُ من أفسده . وقال الحجاج لابن يعمرَ أتَسْمَعنى ألحن قال : لا وربما سبقك لسانك ببعضه فى آن وآن قال : فاذا كان ذلك فعرِّفْنى . وقال عبد الملك بن مروان : أضرَّ بنا فى الوليد حبنا له فلم نلزمه البادية . وقد يستثقل الاعراب فى بعض المواضع كما يستخف اللحن فى بعضها وذلك أنه من حكى نادرة مضحكة وأراد أن يوفى حروفها حظها من الاعراب طمس حسنها وأخرجها عن مقدارها

﴿ فى اللحن والتصحيف ﴾ — كان بِشر المَريسى يقول لجلسائه : قضى الله لكم الحوائج على أحسن الوجوه واهنؤها فسمع قاسم التمار قوما يضحكون . فقال : هذا كما قال الشاعر

ان سليمى والله يكلؤها ... ضنت بشئ ما كان يرزؤها

وبِشْر المريسي رأس فى الرأى وقاسم التمار متقدم فى أصحاب الكلام واحتجاجه لبشر أعجبُ من لحن بشر

﴿ فى تكليف الرجل ماليس من طبعه ﴾

قالوا : ليس الفقه بالتفقه ولا الفصاحة بالتفصح لأنه لا يزيد متزيد

فى كلامه الا النقص يجده فى نفسه ومما اتفقت عليه العرب والعجم قولهم الطبع أملك . وقال حفص بن النُّعمان : المرء يضع نفسه فتى ماتبلُه ينزع الى العرق . وقال العَرْجىّ

يأيها المتحلى غير شيمته ... ومن شمائله التبديل والملق
ارجع الى خلقك المعرف ديدنه ... ان التخلق يأبى دونه الخلق

وقال آخر

ومن يبتدع ماليس من سُوس نفسة ... يدعه ويغلبه على النفس خِيمها

وقال آخر

كل امرئ راجع يوما لشيمته ... وان تخلق أخلاقا الى حين

وقال الخُزَيمى

يلام أبو الفضل فى جوده ... وهل يملك البحر أن لا يفيضا

وقال آخر

ولائمة لامتك يافيض فى الندى ... فقلت لها هل يقدح اللوم فى البحر
أرادت لتثنى الفيض عن عادة له ... ومن ذا الذى يثنى السحاب عن القطر

وقال حبيب

تعود بسط الكف حتى لوانه ... ثناها لقبض لم تجبه أنامله

وقالوا : ان ملكا من ملوك فارس كان له وزير حازم مجرب فكان يصدر عن رأيه ويتعرف اليُمن فى مشورته ثم انه هلك ذلك الملك وقام بعده ولده فاعجب بنفسه مستبدا برأيه ومشورته فقيل له : ان أباك كان لا يقطع أمرا دونه فقال : كان يغلط فيه وسأمتحنه بنفسي فأرسل اليه فقال له : أيهما

أغلب على الرجل الأدب أو الطبيعة فقال له الوزير : الطبيعة أغلب لأنها أصل والأدب فرع وكل فرع يرجع الى أصله فدعا بسفرته فلما وضعت أقبلت سنانير بأيديها الشمع فوقفت حول السفرة فقال للوزير : اعتبر خطأك وضعف مذهبك متى كان أبو هذه السنانير شماعا فسكت الوزير وقال : امهلني فى الجواب الى الليلة المقبلة . فقال ذلك لك : فخرج الوزير فدعا بغلام له فقال : التمس لى فأرا واربطه فى خيط وجئنى به فأتاه به الغلام فعقده فى سَبنَيته وطرحه فى كمه ثم راح من الغد الى الملك فلما حضرت سفرته أقبلت السنانير بالشمع حتى حفت بها فحل الوزير الفأر من سبنيته ثم ألقاه اليها فاستبقت السنانير اليه ورمت بالشمع حتى كاد البيت يضطرم عليهم نارا فقال الوزير : كيف رأيت غلبة الطبع على الأدب ورجوع الفرع الى أصله قال : صدقت ورجع الى ما كان أبوه عليه معه فانما مدار كل شئ على طبعه والتكلف مذموم من كل وجه وقالوا : من تطبع بغير طبعه نزعته العادة حتى تردّه الى طبعه كما ان الماء اذا أسخنته وتركته عاد الى طبعه من البرودة والشجرة المرة لو طليتها بالعسل لاثمر الا مرا

﴿ فى ترك المشاراة والمماراة ﴾

دخل السائب بن صيفى على النبى صلى عليه وسلم : فقال أتعرفنى يارسول الله قال : وكيف لاأعرف شريكي فى الجاهلية الذى كان لايشارى ولايمارى . وقال ابن المقفع : المشاراة والمماراة يفسدان الصداقة القديمة ويحلان العقدة الوثيقة وأيسر مافيهما انهما ذُربة الى المنافسة

والمغالبة . وقال عبد الرحمن بن أبي ليلى : لاتمار أخاك فاما أن تغضبه واما أن تكذبه

﴿ تحنك الفتى ﴾

قيل لعمر بن الخطاب : ان فلانا لايعرف الشر قال : ذلك أحرى أن يقع فيه . وقال عمرو بن العاص : ليس العاقل الذى يعرف الخير من الشر انما العاقل الذى يعرف خير الشرين ومثل ذلك قول الشاعر

رضيت ببعض الذل خوف جميعه   كذلك بعض الشر أهون من بعض

وكان عامر بن عبد الله بن الزبير فى غاية الفضل والدين وكان لايعرف الشر فبينا هو جالس في المسجد اذ أتى بعطائه فقام الى منزله فنسيه فلما صار الى بيته ذكره فقال لخادمه : اذهب الى المسجد فأتنى بعطائى فقال له : وأين نجده قال : سبحان الله وبقى أحد يأخذ ماليس له . وقال أبو أيوب : من أصحابى من أرتجى بركة دعائه ولا أقبل شهادته . وكانوا يستحسنون الحُنكة للفتى والصبوة للحدث ويكرهون الشيب قبل أوانه ويشبهون ذلك بيبوس الثمرة قبل نضجها وان ذلك لايكون الا من ضرر فيها فأمتع الاخوان مجلسا وأكرمهم عشرة وأشدهم حذقا وأنبههم نفسا من لم يكن بالشاطر المتفتك ولا الزاهد المتنسك ولا الماجن المتطرف ولا العابد المتقشف

وقال عبد العزيز بن زُرارة

قد عشت فى الدهر أطوارا على طرق   شتى فصادفت منه اللين والفظعا

كلا عرفت فما النعماء تبطرني   ولا تخشعت من لأوائه جزعا

لا يملأ الامر صدرى قبل وقعته ولا أضيق به ذرعا اذا وقعا

وقال آخر

لئن كنت محتاجا الى الحلم اننى الى الجهل فى بعض الأحايين أحوج
وما كنت ارضى الجهل خدناوصاحبا ولكننى أرضى به حين أحرج
فان قال قوم ان فيه سماجة فقد صدقوا والذل بالحر أسمج
ولى فرس للحلم بالحلم ملجم ولى فرس للجهل بالجهل مسرج
فمن شاء تقويمى فانى مقوم ومن شاء تعويجى فانى معوّج

﴿ فى الرجل النفاع الضرار ﴾

يقال . انه لخراج ولاج وانه لحوّل قُلّب اذا كان متصرفا فى أموره نفاعا لأوليائه ضراراً لأعدائه واذا كان على غير ذلك قيل . مايحلى ولا يمر ولا يعد فى العير ولا فى النفير ومافيه خير يرجى ولا شر يتقى . وقال رجل يذم قومه وأغارت بنو شيبان على ابله فاستنجدهم فلم ينجدوه وكان فيهم ضعف فقال فيهم

لو كنتُ من مازن لم تستبح ابلى بنو اللقيطة من ذهل بن شيبانا
اذا لقام بنصرى معشر خشن عند الحفيظة ان ذو لوثة لانا
لا يسألون أخاهم حين يندبهم فى النائبات على ماقال برهانا
قوم اذا الشر أبدى ناجذيه لهم طاروا اليه زرافات ووحدانا
لكن قومى وان كانوا ذوى عدد ليسوا من الشر فى شئ وان هانا
كأن ربك لم يخلق لخشيته سواهم من جميع الناس انسانا

ولم يرد بهذا أنه وصفهم بالحلم ولا بالخشية لله وانما أراد به الذل والعجز وقال آخر

وليس فتى الفتيانِ مَن راح واغتدى — لشربِ صَبوح أو لشربِ غَبوق
ولكن فتى الفتيان من راح واغتدى — لضرِّ عدوّ أو لِنفع صديق

﴿ فى طلب الرغائب واحتمال الرغائب ﴾

فى كتاب للهند من لم يركب الاهوال لم ينل الرغائب ومن ترك الامر الذى لعله أن ينال منه حاجته مخافة ما لعله يوقاه فليس ببالغ جسيما وان الرجل ذا المروءة ليكون خامل الذِّكر خافض المنزلة فتأبى مروءته الا أن يستعلى ويرتفع كالشعلة من النار التى يصونها صاحبها وتأبى الا ارتفاعا وذو الفضل لايُخفى فضله وان أخفاه كالمسك الذى يختم عليه ثم لا يمنع ذلك ريحه من التذكى والظهور . وقالوا: لاينبغى للعاقل أن يكون الا فى احدى منزلتين اما فى الغاية من طلب الدنيا واما فى الغاية مِن تركها ولا ينبغى له أن يُرى الا فى مكانين امامع الملوكِ مكرما وامامع العبادِ متبتلا ولا يعد الغُرمُ غرما اذا ساق غنما ولا الغُنم غَنما اذا ساق غرما .. ونظر معاوية الى عسكر علىٍّ رضى الله عنه يوم صِفّين فقال . من طلب عظيما خاطر بعظيمته وأشار الى رأسه . وقال حبيب الطائى

أعاذلتى ما أخشن الليل مركبا — وأخشن منه فى الملمات راكبه
ذرينى وأهوال الزمان أقاسها — فأهواله العظمى تليها رغائبه

ومما جبل عليه الحر الكريم أن لايقنع من شرف الدنيا والآخرة

بشيء مما انبسط له أملا فيما هو أسنى منه درجة وأرفع منزلة ولذلك قال عمر ابن عبد العزيز لدكين الراجز : ان لى نفسا تواقة فاذا بلغك انى صرت الى أشرف من منزلتى فبعين ماأرينك قال له ذلك وهو عامل سليمان بن عبد الملك فلما صارت اليه الخلافة قدم عليه دُكين فقال له : أنا كما أعلمتك أن لى نفسا تواقة وأن نفسى تاقت الى أشرف منازل الدنيا فلما بلغته وجدتها تتوق الى أشرف منازل الآخرة . ومن الشاهد لهذا المعنى ان موسى صلوات الله عليه لما كلمه الله تكليما سأله النظر اليه اذ كان ذلك لو وصل اليه أشرف من المنزلة التى نالها فانبسط أمله الى مالا سبيل اليه ليستدل بذلك ان الحر الكريم لا يقنع بمنزلة اذا رأى ماهو أشرف منها . وقال تأبط شراً فى ابن عم له يصفه بركوب الاهوال وبذل الاموال

وانى لمهد من ثنائى فقاصد ... به لابن عم الصدق شمس بن مالك
أهز به فى ندوة الحى عِطفه ... كما هز عطفى بالهجان الأوارك
قليل التشكى للملم يصيبه ... كثير النوى شتى الهوى والمسالك
ويسبق وفد الريح من حيث تنتحى ... بمنخرق من شده المتدارك
يظل بموماة ويمسى بغيرها ... وحيدا ويعرورى ظهور المهالك
اذا خاط عينيه كرى النوم لم يزل ... له كالئ من قلب شيحان فاتك
اذا هزه فى عظم قرن تهللت ... نواجذ أفواه المنايا الضواحك

﴿ فى الحركة والسكون ﴾

قال وهب بن منبِّه : مكتوب فى التوراة ابن آدم خلقت من الحركة

فتحرك وأنا معك . وفى بعض الكتب ابن آدم امدد يدك الى باب من العمل أفتح لك بابا من الرزق . وقيل لأعشى بكر الى كم هذه النجعة والاغتراب اما ترضى بالخفض والدعة فقال : لودامت الشمس عليكم لملتموها أخذه حبيب فقال :

وطول مقام المرء في الحى مخلق　　لديباجتيه فاغترب تتجدد

فاني رأيت الشمس زيدت محبة　　الى الناس اذ ليست عليهم بسرمد

قال أبو سعيد احمد بن عبد الله المكى : سمعت الشافعى يقول . قلت بيتين من شعر وأنشده

انى أرى نفسى تتوق الى مصر　　ومن دونها خوض المهامه والقفر

فوالله ما أدرى الى الخفض والغنى　　أقاد اليها أم أقاد الى قبرى

فدخل مصر فمات . وقال المأمون : لاشئ ألذ من سفر فى كفاية لأنك فى كل يوم تحل محلة لم تحلها وتعاشر قوما لم تعاشرهم . وقال الشاعر

لا يمنعنك خفض العيش فى دعة　　من أن تبدل أوطانا بأوطان

تلق بكل بلاد ان حللت بها　　أهلا بأهل واخوانا بأخوان

مع ان المقام بالمقام الواحد يورث الملالة . وبعد فهل يجوز فى وهم أو يتمثل فى عقل أو يصح فى قياس أن يحصد زرع بغير بذر أو تجنى ثمرة بغير غرس أو يورى زند بغير قدح أو يثمر مال بغير طلب

﴿ التماس الرزق وما يعود على الأهل والولد ﴾

قال النبى صلى الله عليه وسلم : العائد على أهله وولده كالمجاهد المرابط

فى سبيل الله . وقال صلى الله عليه وسلم : اليد العليا خير من اليد السفلى وابدأ بمن تعول . وقال عمر بن الخطاب : لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق ويقول اللهم ارزقنى وقد علم أن السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة وان الله تعالى انما يرزق الناس بعضهم من بعض وتلا قول الله جل وعلا : فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الارض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون . وقال محمد بن ادريس الشافعى : احرص على ماينفعك ودع كلام الناس فانه لا سبيل الى السلامة من ألسنة العامة ومثله قول مالك بن دِينار . من عرف نفسه لم يضره ماقال الناس فيه . وقال عمر بن الخطاب : يامعشر القراء التمسوا الرزق ولا تكونوا عالة على الناس . وقال عمرو بن العاص : اعمل لدنياك عمل من يعيش أبدا واعمل لآخرتك عمل من يموت غدا . ومرّ المسيح برجل من بنى اسرائيل يتعبد فقال ماتصنع قال : أتعبد قال . ومن يقوم بك قال : أخى قال : أخوك أعبد منك . وقد جعل الله طلب الرزق مقصورا على الخلق كله من الانس والجن والطير والهوام منهم بتعليم ومنهم بالهام وأهل التحصيل والنظر يطلبونه بأحسن وجوهه من التصرف والتحرز وأهل العجز والكسل يطلبونه بأقبح وجوهه من السؤال والاتكال والخلابة والاحتيال

﴿ فضل المال ﴾

قال الله تعالى : المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا . وقال النبى صلى الله عليه وسلم للمُجَاشِعى : ان كان لك مال فلك حسب وان كان لك خُلق فلك مُروءة وان كان لك دين

فلك كرم . وفى كتاب الأدب للجاحظ : ان تثمير المال آلة للمكارم وعون على الدين وتأليف للاخوان وان مَنْ فقـد المال قلّتْ الرغبـة اليه والرهبة منـه ومن لم يكن بموضع رغبة ولا رهبة استهان الناس به فاجهدْ جهدك كله فى أن تـكون القلوبُ معلقةً منك برغبـة أو رهبـة فى دين أودنيا . وقال حكيم لابنه : يابنى عليك بطلب المال فلو لم يكن فيـه الا أنه عز فى قلبك وذلٌّ فى قلب عـدوك لـكفى . وقالت الحكماء : لاخيرفيمن لايجمع المالَ يصون به عرضَه ويحمى به مروءته ويصل به رحمَه . وقال عبد الرحمن ابن عوف : ياحبـذا المالُ أصون به عرضى وأتقرب به الى ربى وقال عُروة ابن الوَرْد .

ذرينى للغنى أسـعى فانى ... رأيت الناس شرهم الفقيرُ
وأحقرهم وأهونهم عليهـم ... وان أمسي له كرم وخـيرُ
يباعـده القريب وتزدريه ... حليلته وينهره الصغيرُ
وتلقى ذا الغنى وله جـلال ... يكاد فؤاد صاحبـه يطير
قليل ذنبـه والذنب جمّ ... ولـكن للغنى رب غفور

وقال آخر

سأكسب مالا أو أموت ببلدة ... يقل بها قطرُ الدموع على قـبرى

وقال آخر

سأعمـل نص العيس حتى يكفنى ... غنى المال يوما أو غِنَى الحـدثان
فللموتُ خـيرمن حياة يرى لهـا ... على المرء بالاقـلال وسم هوان
اذا قال لم يسمع لحسن مقـاله ... وان لم يقـل قالوا عـديم بيان

وأنشد أبو ملجم لرجل من ولد قيس بن عاصم

وكنت اذا خاصمت خصما كببته على الوجه حتى خاصمتني الدراهم
فلما تنازعنا الخصومة غلبت على وقالوا قم فانك ظالم

﴿ تدبير المال ﴾

قالوا : لاخرق ولا عيلة على مصلح وخير المال ما أطعمك لا ما أطعمته . وقال صاحب كليلة ودمنة : لينفق ذو المال ماله فى الصدقة ان أراد الآخرة وفى مصانعة السلطان ان أراد الذكر . وقال : ان صاحب الدنيا يطلب ثلاثة ولا يدركها الا بأربعة فأما الثلاثة التى تطلب فالسعة فى المعيشة والمنزلة فى الناس والزاد الى الآخرة وأما الاربعة التى تدرك بها هذه الثلاثة فاكتساب المال من أحسن وجوهه وحسن القيام عليه ثم التشمير له ثم انفاقه فيما يصلح المعيشة ويرضى الاهل والاخوان ويعود فى الآخرة نفعه فان اضاع شيئاً من هذه الاربعة لم يدرك شيئاً من هذه الثلاثة فانه ان لم يكتسب لم يكن له مال يعيش به وان كان ذا مال واكتساب ولم يحسن القيام عليه يوشك أن يفنى ويبقى بلا مال وان هو أنفقه ولم يثمره لم ينفعه الانفاق من سرعة النفاد كالكحل الذى انما يؤخذ منه على الميل مثل الغبار ثم هو مع ذلك سريع نفاده وان هو اكتسب وأصلح وثمر ولم ينفق الأموال فى أبوابها كان بمنزلة الفقير الذى لامال له ثم لا يمنع ذلك ماله من أن يفارقه ويذهب حيث لامنفعة فيه كحابس الماء فى الموضع الذى تنصب فيه المياه ان لم يخرج منه بقدر ما

يدخل فيه تمصل وسال من نواحيه فيذهب المال ضياعا . وهذا يوافق قول الله تعالى : والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما وقوله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم : ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا

سعد القصر قال : ولاّني عتبة أمواله بالحجاز فلما ودعته قال لى : ياسعد تعاهد صغير مالى ولا تضيع كثيره فيصغر فانه ليس يشغلنى كثيرُ ماعندى عن اصلاح كثير مالى ولا يمنعني قليلُ مافى يدى الصبرُ على كثير ماينوبنى قال : فقدمت المدينة فحدثت بها رجالاتِ قريش ففرقوا بها الكتب على الوكلاء

﴿ الاقلال ﴾

قال ارسطاطاليس . الغنى فى الغربة وطن والمقل فى أهله غريب اخذه الشاعر فقال :

لعمرى ما الغريب بذى التنائى ... ولكن المقل هو الغريب
اذا ما المرء أعوز ضاق ذرعا ... بحاجته وأبعده القريبُ

وقال آخر

فكل مقل حين يغدو لحاجة ... الى كل من يلقى من الناس مذنب
وكان بنو عمى يقولون مرحبا ... فلما رأونى مقترا مات مرحب

وقال أبو الشَّمَقْمَق

أترانى أرى من الدهر يوما ... لى فيه مطية غيرَ رِجلى
كلما كنت فى جموع فقالوا ... قرِّبوا للرحيل قربت نعلى

حيثما كنت لا اخلف رحلا من رآني فقد رآني ورحلي

وقال أيضا

برزت عن المنازل والقباب فلم يعسر على أحد حجابي
فمنزلي الفضاء وسقف بيتي سماء الله أو قِطع السحاب
فانت اذا أردت دخلت بيتي عليّ مسلما من غير باب
لأني لم أجد مصراع باب يكون من السحاب الى التراب
ولا خفت الاباق على عبيدي ولا خفت الهلاك على دوابي
ولا حاسبت يوما قَهرمانا محاسبة فأغلط في حسابي
وفي ذا راحة وفراغ بال فدأب الدهر ذا أبدا ودابي

﴿ السؤال ﴾

قال النبي صلى الله عليه وسلم : ليأخذن أحدكم أحبله فيحتطب بها على ظهره أهون عليه من أن يأتي رجلا أعطاه الله من فضله فيسأله أعطاه أو منعه . وقال النعمان بن المنذر : من سأل فوق حقه استحق الحرمان ومن ألحف في مسئلته استحق المطل والرفق يمن والخرق شؤم وخير السخاء ماوافق الحاجة وخير العفو مع القدرة . وقال شُريح : من سأل حاجة فقد عرض نفسه على الرق فان قضاها المسئول منه استعبده بها وان رده عنها رجع كلاهما ذليلا هذا بذل البخل وذلك بذل الرد . الحَسني قال : قال أبو غسّان أخبرني أبو زيد قال : سأل سائل بمسجد الكوفة وقت الظهر فلم يعط شيئا فقال : اللهم انك بحاجتي عالم لا تعلم أنت الذي لا يعوزك نائل

ولا يخفيك سائل ولا يبلغ مدحك قائل أسألك صبراً جميلا وفرجا قريبا وبصرا بالهدى وقوة فيما تحب وترضى فتبادروا اليه يعطونه فقال: والله لا رزأتكم الليلة شيئا ثم خرج وهو يقول

مانال باذل وجهه بسؤاله ... عوضا ولو نال الغنى بسؤال
واذا النوال مع السؤال وزنته ... رجح السؤال وشال كل نوال

﴿ الشيب ﴾

قال قيس بن عاصم: الشيب خُطام المَنية. وقال غيره: الشيب نذير الموت وقال النُميرى: الشيب عنوان الكبَر. وقيل لرجل من الشعراء: عجل عليك الشيب فقال: وكيف لا يعجل وأنا أَعصر قلبى فى عمل لا يرجى ثوابه ولا يؤمن عقابه. وقال محمود الوراق:

بكيت لقرب الاجل ... وبعد فوات الامل
ووافد شيب طرا ... بعقب شباب رحل
شباب كأن لم يكن ... وشيب كأن لم يزل

وقال العَلَوى:

عيرتنى بشيب رأسى نوار ... يابنة العم ليس فى الشيب عار
انما العار فى الفرار من الزحـ ... ـف اذا قيل أين أين الفرار

ومن قولنا فيه

جار المشيب على رأسى فغيره ... لما رأى عندنا الحكام قد جاروا
كأنما جن ليل فى مفارقه ... فاعتاقه من بياض الصبح أسفار

﴿ الشباب والصحة ﴾

قال أبو عمرو بن العلاء : مابكت العرب شيئا مابكت على الشباب ومابلغت به مايستحقه . وقال الأصمعى : أحسن انماط الشعر المراثى والبكاء على الشباب . وقيل لكثير عزة : لم لاتقول الشعر قال ذهب الشباب فما أطرب ومات عبد العزيز فما أرغب . وقال عبدالله بن عباس : الدنيا العافية والشباب الصحة

وقال ابن أبى حازم

ولى الشباب فظل الدمع ينهمل ... فقد الشباب بفقد الروح متصل
لا تكذبن فما الدنيا بأجمعها ... من الشباب بيوم واحد بدل

ومن قولنا فيه

قالوا شبابك قد مضت أيامه ... بالعيش قلت وقد مضت أيامى
لله أية نعمة كان الصبا ... لو أنها وصلت بطول دوام
حسر المشيب قناعه عن وجهه ... وصحا العواذل بعد طول ملام
فكأن ذاك العيش ظل غمامة ... وكأن ذاك اللهو طيف منام

﴿ كبرة السن ﴾

قيل لاعرابي قد أخذته السن : كيف أصبحت فقال أصبحت تقيدنى الشعرة وأعثر بالبعرة قد أقام الدهر صعرى بعد ان أقمت صعره . وقال محمدبن حسان النبطى : لاتسأل نفسك العام ماأعطتك فى العام الماضى . وقال معاوية لما أسن : مامن شئ كنت أستلذه وأنا شاب فأجده اليوم كما

أجده الا اللبن والحديث الحسن عاش ضِرَار بن عمر حتى ولد له ثلاثة عشر ذكرا فقال : من سره بنوه ساءته نفسه وقال الشاعر

من عاش أخلقت الايام جدته وخانه ثقتاه السمع والبصر
قالت عهدتك مجنونا فقلت لها ان الشباب جنون برؤه الكبر

وقال حُمَيد بن ثور الهلالى

أرى بصرى قد رابنى بعد صحة وحسبك داء أن تصح وتسلما

وقال آخر

كانت قناتى لاتلين لغامز فألانها الاصباح والامساء
ودعوت ربى بالسلامة جاهدا ليصحنى فاذا السلامة داء

التعازى والمراثى

قال احمد بن محمد بن عبد ربه : نحن قائلون بعون الله فى النوادب والمراثى والنهانى والتعازى بأبلغ ماوجدناه من الفطن الزكية والالفاظ الشجية التى ترق القلوب القاسية وتذيب الدموع الجامدة مع اختلاف النوادب عند نزول المصائب فنادبة تثير الحزن من ربضته وتبعث الوجد من رقدته بصوت كترجيع الطير وتقطع أنفاس المآتم وتترك صدْعا فى القلوب الجلامد ونادبة تخفض من نشيجها وتقصد فى نحيبها وتذهب مذهب الصبر والاستسلام والثقة بجزيل الثواب . وقال الأصمعى قلت لاعرابى : مابال المراثى أشرف أشعاركم قال : لانا نقولها وقلوبنا محترقة . وقال عمر بن عبدالعزيز

لابنه عبد الملك : كيف تجدك يابنى قال : أجدنى فى الموت فاحتسبنى فان ثواب الله خير لك منى قال : والله يابنى لأن تكون فى ميزانى أحب الى من أن أكون فى ميزانك قال : وأنا والله لأن يكون ماتحب أحب الى من أن يكون ماأحب . لما احتضر عمر بن عبد العزيز رحمه الله استأذن عليه مَسلمة بن عبد الملك فأذن له وأمره أن يخفف الوقفة فلما دخل وقف عند رأسه فقال : جزاك الله ياأمير المؤمنين عنا خيراً فلقد ألنت لنا قلوبا كانت علينا قاسية وجعلت لنا فى الصالحين ذكرا . قالت عائشة أم المؤمنين : مارأيت أحدا من خلق الله أشبه حديثا وكلاما برسول الله صلى الله عليه وسلم من فاطمة وكانت اذا دخلت عليه أخذ يدها فقبلها ورحب بها وأجلسها فى مجلسه وكان اذا دخل عليها قامت اليه ورحبت به وأخذت بيده فقبلتها فدخلت عليه فى مرضه الذى توفى فيه فأسر اليها فبكت ثم أسر اليها فضحكت فقلت كنت أحسب لهذه المرأة فضلا عن النساء فاذا هى واحدة منهن بينما هي تبكى اذ هى تضحك فلما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم سألتها فقالت : أسر الى فاخبرنى انه ميت فبكيت ثم اسر الى انى أول أهل بيته لحوقا به فضحكت . لما احتضر عمرو بن العاص جمع بنيه فقال : يابني ماتغنون عنى من أمر الله شيئا قالوا : ياأبت انه الموت ولو كان غيره لوقيناك بأنفسنا فقال : اسندونى فأسندوه ثم قال : اللهم انك أمرتنى فلم آتمر وزجرتنى فلم أزدجر اللهم لاقوِىَ فأنتصر ولا برئٌ فأعتذر ولا مستكبر بل مستغفر أستغفرك وأتوب اليك لااله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين فلم يزل يكررها حتى مات

﴿ الجزع من الموت ﴾

الفُضَيل بن عِياض قال : ماجزع أحد من اصحابنا عند الموت ماجزع سفيان الثورى فقلنا : يا أبا عبدالله ماهذا الجزع أليس تذهب الى من عبدته وفررت بيدنك اليه فقال : ويحكم انى أسلك طريقا لم أعرفه وأقدم على رب لم أره . ومر النبي صلى الله عليه وسلم بنسوة من الانصار يبكين ميتا فزجرهن عمر فقال النبي صلى الله عليه وسلم دعهن يا عمر فان النفس مصابة والعين دامعة والعهد قريب . وقال أبو بكر بن عياش : نزلت بى مصيبة أوجعتنى فذكرت قول ذى الرُّمة

لعل انحدار الدمع يُعقب راحة ... من الوجد أو يشفى شجى البلابل

نخلوت فبكيت فسلوت . وقال الفرزدق فى هذا المعنى

ألم ترأنى يوم جو سُويقة ... بكيت فنادتنى هُنيدة ماليا

فقلت لها ان البكاء لراحة ... به يَشتفى من ظن أن لا تلاقيا

نعيذكما الله الذى أنتما له ... ألم تسمعا بالبيضتين المناديا

حبيب دعا والرمل بينى وبينه ... فأسمعنى سقيا لذلك داعيا

يقال نعيذك الله معناه سألتك بالله . وكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا دخل المقبرة قال السلام عليكم دار قوم مؤمنين وانا ان شاء الله بكم لاحقون . ولما دفن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أقبل عبد الله بن مسعود وقد فاتته الصلاة عليه فوقف على قبره يبكى ويطرح رداءه ثم قال : والله لئن فاتتنى الصلاة عليك لا فاتنى حسن الثناء اما والله لقد كنت سخيا بالحق

بخيلا بالباطل ترضى حين الرضاء وتسخط حين السخط ما كنت عيابا ولا مداحا فجزاك الله عن الاسلام خيراً . ووقف على بن أبى طالب عليه السلام على قبر خبّاب فقال : رحم الله خبابا لقد أسلم راغبا وجاهد طائعا وعاش مجاهدا وابتلى فى جسمه أحوالا ولن يضيع الله أجر من أحسن عملا . وقف الأحنف ابن قيس على قبر ابن أخيه فأنشد

فوالله لا انسى قتيلا رزئته   بجانب قُوَسى ما مشيت على الارض
بلى انها تعفو الكلوم وانما   نوكل بالادنى وان جل ما يمضى

ووقف محمد بن الحنفيّة على قبر الحسن بن على رضى الله عنهما فخنقته العَبرة ثم نطق فقال : يرحمك الله أبا محمد فلئن عزت حياتك فلقد هدت وفاتك ولنعم الروح روح ضمه بدنك ولنعم البدن بدن ضمه كفنك وكيف لا يكون كذلك وأنت بقية ولد الانبياء وسليل الهدى وخامس أصحاب الكساء غذتك اكف الحق وربيت فى حجر الاسلام فطبت حيا وطبت ميتا وان كانت أنفسنا غير طيبة بفراقك ولا شاكة فى الخيار لك . ووقفت عائشة على قبر أبى بكر فقالت : نضّر الله وجهك وشكر لك صالح سعيك فقد كنت للدنيا مذلا بادبارك عنها وكنت للآخرة معزا باقبالك عليها ولئن كان أجل الحوادث بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم رزءك وأعظم المصائب بعده فقدك ان كتاب الله ليعد بحسن الصبر فيك وحسن العوض منك فأنا أنتجز موعد الله بحسن العزاء عليك واستعيضه منك بالاستغفار لك فعليك السلام ورحمة الله توديع غير قالية لك ولا زارية على القضاء فيك ثم انصرفت . لما قبض أبو بكر سجّى بثوب فارتجت المدينة بالبكاء عليه

ودهش القوم كيوم قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاء على بن أبى طالب باكيا مسرعا مسترجعا حتى وقف بالباب وهو يقول : رحمك الله أبا بكر كنت والله أول القوم اسلاما وأخلصهم ايمانا وأشدهم يقينا وأعظمهم غناء وأحفظهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحدبهم على الاسلام وأحناهم على أهله وأشبههم برسول الله صلى الله عليه وسلم خلقا وفضلا وهديا وسمتا فجزاك الله عن الاسلام وعن رسول الله وعن المسلمين خيرا صدقت رسول الله حين كذبه الناس وواسيته حين بخلوا وقمت معه حين قعدوا سماك الله فى كتابه صدّيقا فقال : والذى جاء بالصدق وصدق به يريد محمدا ويريدك كنت والله للاسلام حصنا وعلى الكافرين عذابا لم تفلل حجتك ولم تضعف بصيرتك ولم تجبن نفسك كنت كالجبل لا تحركه العواصف ولا تزيله القواصف كنت كما قال رسول الله ضعيفا فى بدنك قويا فى أمر الله متواضعا فى نفسك عظيما عند الله قليلا فى الارض كثيرا عند المؤمنين لم يكن لاحد عندك مطمع ولا لأحد عندك هوادة فالقوى عندك ضعيف حتى تأخذ الحق منه والضعيف عندك قوى حتى تأخذ له فلا أحرمنا الله أجرك ولا أضلنا بعدك . المدائنى قال : لما دفن على بن أبى طالب كرم الله وجهه فاطمة عليها السلام تمثل عند قبرها فقال

لكل اجتماع من خليلين فرقة ... وكل الذى دون الممات قليل
وان افتقادى واحدا بعد واحد ... دليل على أن لا يدوم خليل

وقف معاوية على قبر أخيه عُتبة فدعا له وترحم عليه ثم التفت الى من معه فقال : لو أن الدنيا بنيت على نسيان الاحبة مانسيت عتبة أبدا .

﴿ المراثى ﴾

(من رثى نفسه وقبره ووصف مايكتب على القبر)

قال ابن قتيبة : ان أول من بكى على نفسه وذكر الموت فى شعره يزيد ابن خرّاق فقال

هل للفتى من بنات الدهر من واق … أم هل له من حمام الموت من راق
قد رجلونى وما بالشعر من شعث … وألبسونى ثيابا غير اخلاق
وطيبونى وقالوا أيما رجل … وأدرجونى كانى طى مخراق
وأرسلوا فتية من خيرهم حسبا … ليسندوا فى ضريح القبر أطباق
وقسموا المال وارفضت عوائدهم … وقال قائلهم مات ابن خراق
هون عليك ولا تولع باشفاق … فانما مالنا للوارث الباقى

وقال أبو ذؤيب الهذلى وكان له أولاد سبعة فماتوا كلهم الا طفلا فقال يرثيهم

أمن المنون وريبه تتفجع … والدهر ليس بمعتب من يجزع
قالت أمامة ما لجسمك شاحبا … منذ ابتذلت ومثل مالك ينفع
أم ما لجسمك لا يلائم مضجعا … الا أقض عليك ذاك المضجع
فأجبتها أما لجسمى انه … أودى بنىّ من البلاد فودعوا
أودى بنى وأعقبونى حسرة … بعد الرقاد وعبرة ما تقلع
سبقوا هوىّ وأعنقوا لهواهم … فتخرموا ولكل جنب مصرع
فبقيت بعدهم بعيش ناصب … واخال انى لاحق مستتبع

ولقد حرصت بأن أدافع عنهم　　　واذا المنيـة أقبلت لا تدفع
واذا المنيـة أنشبت أظفارها　　　ألفيت كل تميمـة لا تنفع
فالعـين بعدهم كأن حداقها　　　سملت بشوك فهي عور تدمع
حتى كأني للحوادث مروة　　　بصـفا المشقر كل يوم تقرع
وتجلدي للشامتين أريهم　　　اني لريب الدهر لا أتضعضع

وقال في الطفل الذي بقي له

والنفس راغبـة اذا رغبتها　　　واذا ترد الى قليـل تقنع

وقال الأصمعي : هذا أبدع بيت قالته العرب . وقال أعرابي يرثي بنيه :

أسكان بطن الارض لو يقبل الفدا　　　فـدينا وأعطينا كم سا كن الظهر
فياليت من فيهـا عليها وليت من　　　عليهـا ثوى فيهـا مقيما الى الحشر
وقاسمني دهري بنيّ بشطره　　　فلمّا تقضى شـطره مال في شطري
فصاروا ديونا للمنايا ولم يكن　　　عليهم لهـا دين قضوه على عسر
كأنهم لم يعرف الموت غـيرهم　　　فثكل على ثكل وقـبر الى قبر
وقد كنت حي الخوف قبل وفاتهم　　　فلما توفوا مات خوفي من الدهر
فلله ما أعطى ولله ما حوى　　　وليس لأيام الرزية كالصـبر

وقيل لاعرابيـة مات ابنها : ما أحسن عزاءك قالت : ان فقدي اياه آمنني كل فقد سواه وان مصيبتي به هونت على المصائب بعده ثم أنشأت تقول .

من شاء بعدك فليمت　　　فعليك كنت أحاذر
كنت السواد لناظري　　　فعمي عليك الناظر

ليت المنازل والديا ... ر حفائر ومقابر
انى وغيرى لا محا ... لة حيث صرت لصائر

وقال أبو الخطّار يرثى ابنه الخطار :

ألا خبرانى بارك الله فيكما ... متى العهد بالخطار يا فتيان
فتى لا يرى يوم العشاء غنيمة ... ولا ينثنى من صولة الحدثان

وقال أبو الشغب يرثى ابنه شغبا :

قد كان شغب لو ان الله عمره ... عزا تزاد به فى عزها مضر
ليت الجبال تداعت قبل مصرعه ... دكا فلم يبق من أحجارها حجر
فارقت شغبا وقد قوست من كبر ... بئس الخليطان طول الحزن والكبر

وقال اعرابى يرثى ابنه

ولما دعوت الصبر بعدك والأسى ... أجاب الاسى طوعا ولم يجب الصبر
فان ينقطع منك الرجاء فانه ... سيبقى عليك الحزن ما بقى الدهر

وقال اعرابى يرثي ابنه

بنى لئن ضنت جفون بمائها ... لقد قرحت منى عليك جفون
دفنت بكفى بعض نفسى فأصبحت ... وللنفس منها دافن ودفين

توفى ابن لاعرابي فبكى عليه حينا فلما هم أن يسلو عنه توفى له ابن آخر فقال فى ذلك

ان أفق من حزن جاء حزن ... ففؤادى ماله اليوم سكن
وكما تبلى وجوه فى البلى ... فكذا يبلى عليهن الحزن

وقال فى ذلك

عيون قد بكينك موجعات　　أضر بها البكاء وما بنينا

اذا أنفدن دمعا بعد دمع　　براجعن الشؤون فيستقينا

أبو عُبيد البَجلى قال : وقفت اعرابية على قبر ابن لها يقال له عامر فقالت

أقمت أبكيه على قبره　　من لىَ من بعدك يا عامرُ

تركتنى فى الدار ذا وحشة　　قد ذل من ليس له ناصرُ

الشيبانى قال : كانت امرأة من هُذيل وكان لها عشرة اخوة وعشرة أعمام فهلكوا جميعا فى الطاعون وكانت بنتا لم تتزوج فخطبها ابن عم لها فتزوجها فلم تلبث ان اشتملت على غلام فولدته فنبت نباتا كأنما يُمد بناصيته وبلغ فزوجته وأخذت فى جهازه حتى اذا لم يبق الا البناء أتاه أجله فلم تشق لها جيبا ولم تدمع لها عين فلما فرغوا من جهازه دعيت لتوديعه فأكبت عليه ساعة ثم رفعت رأسها ونظرت اليه وقالت

ألا تلك المسرة لا تدوم　　ولا يبقى على الدهر النعيم

ولا يبقى على الحدثان عفر　　بشاهقة له أم رءوم

ثم أكبت عليه أخرى فلم تقطع نحيبها حتى فاضت نفسها فدفنا جميعا.

خليفة بن خيّاط قال ما رأيت أشد كمدا من امرأة من بنى شيبان قتل ابنها وأبوها وزوجها وأمها وعمتها وخالتها مع الضحاك الحرورى فما رأيتها قط ضاحكة ولا متبسمة حتى فارقت الدنيا وقالت ترثيهم

من لقلب شفه الحزن　　ولنفس مالها سكن

ظعن الابرار فانقلبوا　　خيرهم من معشر ظعنوا

معشر قضّوا نحوبهم كل ماقد قدموا حسن
صبروا عند السيوف فلم ينكلوا عنها ولا جبنوا
فتيـة باعوا نفوسـهم لاوربِّ البيت ماغبنوا
فأصاب القوم ماطلبوا منـة ما بعـدها مـنن

خرج اعرابى هاربا من الطاعون فبينما هو سائر اذ لدغته أفعى فمات فقال أبوه يرثيه

طاف يبغى نجوة من هلاك فهلك
والمنايا رصـد للفتى حيث سلك
ليت شعرى ضلة أى شئ قتلك
كل شئ قاتل حين تلقى أجلك

الرِّياشى قال: صلى مُتَمِّم بن نُوَيرة الصبح مع أبي بكر الصديق رضى الله تعالى عنه ثم أنشد

نعم القتيـل اذا الرياح تناوحت تحت البيوت قتلت يابن الأزور
أدعوته بالله ثم قتلتـه لو هو دعاك بذمـة لم يغـدر
لا يضمر الفحشاء تحت ردائه حلو شمائله عفيف المئزر

قال: ثم بكي حتى سالت عينه العوراء قال أبو بكر: ما دعوته ولا قتلته وقال متمم يرثى أخاه مالكا وهى التى تسمى أم المراثي

لعمرى وما دهرى بتأبين مالك ولا جزعا مما ألم فأوجعا
لقد غيب المنهال تحت ردائه فتى غير مبطان العشيات أروعا
ولا برما يهـدى النساء لعرسه اذا القشع من برد العشاء تقعقعا

تراه كظل السيف يهتز للندى ... اذا لم تجد عند امرئ السوء مطمعا
فعيني هلا تبكيان لمالك ... اذا هزت الريح الكنيف المرعا
وأرملة تدعو بأشعث محثل ... كفرخ الحبارى ريشه قد تمزعا
وما كان وقافا اذا الخيل أحجمت ... ولا طالبا من خشية الموت مفزعا
ولا بكهام سيفه من عدوه ... اذا هو لاقى حاسرا أو مقنعا
أبى الصبر آيات أراها واننى ... أرى كل حبل بعد حبلك أقطعا
وانى متى ما أدع باسمك لم تجب ... وكنت حريا أن تجيب وتسمعا
تحيته منى وان كان نائما ... وأمسى ترابا فوقه الارض بلقعا
فان تكن الايام فرقن بيننا ... فقد بان محمودا أخى حين ودعا
فعشنا بخير فى الحياة وقبلنا ... أصاب المنايا رهط كسرى وتبعا
وكنا كندمانى جذيمة حقبة ... من الدهر حتى قيل لن يتصدعا
فلما تفرقنا كأنى ومالكا ... لطول اجتماع لم نبت ليلة معا
فما شارف حنت حنينا ورجعت ... أنينا فأبكى شجوها البرك أجمعا
وما وجد أظآر ثلاث روائم ... رأين مجرا من حوار ومصرعا
بأوجد منى يوم قام بمالك ... مناد فصيح بالفراق فاسمعا
سقى الله أرضا حلها قبر مالك ... رهام الغوادى المزجيات فأمرعا

قال ابن اسحق صاحب المغازى . لما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم الصفراء وقال ابن هشام : الأثيل أمر على بن أبى طالب بضرب عنق النضر ابن الحرث بن كلدة بن علقمة بن عبد مناف صبرا بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت أخته قتيلة بنت الحرث ترثيه .

يارا كبا ان الأثيل مظنة | من صبح خامسة وأنت موفق
أبلغ بها ميتا بأن تحية | ما ان تزال بها النجائب تخفق
منى عليك وعبرة مسفوحة | جادت بوا كفها وأخرى تخنق
هل يسمعنى النضر ان ناديته | أم كيف يسمع ميت لا ينطق
امحمد ياخير ضنء كريمة | فى قومها والفحل فحل معرق
ما كان ضرك لو مننت وربما | منّ الفتى وهو المغيظ المحنق
فالنضر أقرب من اسرت قرابة | واحقهم ان كان عتقا يعتق
ظلت سيوف بنى أبيه تنوشه | لله أرحام هناك تشقق
صبرا يقاد الى المنية متعبا | رسف المقيد وهو عان موثق

دخلت خنساء على عائشة أم المؤمنين رضى الله تعالى عنها وعليها صدار من شعر قد استشعرته الى جلدها فقالت لها : ماهذا ياخنساء فوالله لقد توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم فما لبسته قالت : ان له معنى دعانى الى لباسه وذلك ان أبى زوجنى سيد قومه وكان رجلا متلافا فاسرف فى ماله حتى انفده ثم رجع فى مالى فأنفده أيضاً ثم التفت الى فقال : الى أين ياخنساء قلت : الى اخى صخر قالت : فأتيناه فقسم ماله شطرين ثم خيرنا فى أحسن الشطرين فرجعنا من عنده فلم يزل زوجى حتى أذهب جميعه ثم التفت الى فقال : الى أين ياخنساء قلت : الى أخى صخر قالت . فرحلنا اليه ثم قسم ماله شطرين وخيرنا فى أفضل الشطرين فقالت له زوجته : اما ترضى أن تشاطرهم مالك حتى تخيرهم بين الشطرين فقال :

والله لا أمنحها شرارها * فلو هلكت قددت خمارها * واتخذت من شعر صدارها

فآليت أن لايفارق الصدار جسدى مابقيت . قيل للخنساء : صفى لنا أخويك صخرا ومعاوية فقالت : كان صخر والله جنة الزمان الأغبر وذُعاف الخميس الأحمر وكان والله معاوية القائل الفاعل قيل لها : فأيهما كان أسنى وأفخر قالت : اما صخر فحر الشتاء وأما معاوية فبرد الهواء قيل لها: فأيهما أوجع وأفجع قالت : اما صخر فجمر الكبد وأما معاوية فسقام الجسد وانشأت

اسدان محمرا المخالب نجدة ... بحران فى الزمن الغضوب الانمر
قمران فى النادى رفيعا محتد ... فى المجد فرعا سؤدد متخير

وقالت الخنساء ترثى أخاها :

قذى بعينك أم بالعين عوّار ... أم ذرفت أن خلت من أهلها الدار
كأن دمعى من ذكرى اذا خطرت ... فيض يسيل على الخدين مدرار
فالعين تبكى على صخر وحق لها ... ودونه من جديد الارض أستار
بكاء والهة ضلت أليفتها ... لها حنينان أصغار واكبار
ترعى اذا نسيت حتى اذا ذكرت ... فانما هى إقبال وادبار
وان صخرا لتأتم الهداة به ... كأنه علم فى رأسه نار
حامى الحقيقة محمود الخليقة مهـ ... دى الطريقة نفّاع وضَرار

وقالت أيضاً

الا ما لعينى ألاَ مالها ... لقد أخضل الدمع سربالها
امن بعد صخر من آل الشريـ ... ـد حلت به الارض أثقالها
فآليت آسى على هالك ... وأسأل باكية مالها

وجمت بنفسي بعض الهموم　　　فاولى لنفسي أولى لها
سأحمل نفسي على حالة　　　فاما عليها واما لها

وقالت أيضا :

أعيني جودا ولا تجمدا　　　ألا تبكيان لصخر الندى
ألا تبكيان الجرئ الجواد　　　ألا تبكيان الفتى السيدا
طويل النجاد رفيع العما　　　د ساد عشيرته أمردا
يحمله القوم ما عالهم　　　وان كان أصغرهم مولدا
جموع الضيوف الى بابه　　　يرى أفضل الكسب أن يحمدا

وقالت أيضا

فما أدركت كف امرئ متناول　　　من المجد الا والذى نلت أطول
وما بلغ المهدون للمدح غاية　　　ولا جهدوا الا الذى فيك أفضل
وما الغيث في جعد الثرى دمث الربا　　　تبعق فيها الوابل المتهلل
بأفضل سيبا من يديك ونعمة　　　تجود بها بل سيب كفيك أجزل
من القوم مغنى الرواق كأنه　　　اذا سيم ضيما خادر متبسل
شرنبث أطراف البنان ضبارم　　　له في عرين الغيل عرس وأشبل

وقالت أخت الوليد بن طريف ترثي أخاها الوليد بن طريف :

فياشجر الخابور مالك مورقا　　　كأنك لم تجزع على ابن طريف
فتى لا يريد العز الا من التقى　　　ولا المال الا من قنا وسيوف
فقدناه فقدان الربيع فليتنا　　　فديناه من ساداتنا بألوف
خفيف على ظهر الجواد اذا عدا　　　وليس على أعدائه بخفيف

عليك سلام الله وقفا فانني ... أرى الموت وقافا لكل شريف

وقال كعب يرثى أخاه أبا المغوار

تقول سليمى ما لجسمك شاحبا ... كأنك يحميك الشراب طبيب
فقلت نحول من خطوب تتابعت ... على كبار والزمان يريب
لعمرى لئن كانت أصابت منية ... أخى فالمنايا للرجال شعوب
فانى لباكيه وانى لصادق ... عليه وبعض القائلين كذوب
أخى ما أخى لا فاحش عند ريبة ... ولا ورع عند اللقاء هيوب
أخ كان يكفينى وكان يعيننى ... على نائبات الدهر حين تنوب
هو العسل الماذىّ لينا وشيمة ... وليث اذا لاقى الرجال قطوب
هوت أمه مايبعث الصبح غاديا ... وماذا يؤدى الليل حين يؤوب
كعالية الرمح الردينى لم يكن ... اذا ابتدر الخيل الرجال يخيب
وداع دعا يامن يجيب الى الندى ... فلم يستجبه عند ذاك مجيب
فقلت ادع أخرى وارفع الصوت ثانيا ... لعل أبى المغوار منك قريب
يجبك كما قد كان يفعل انه ... بأمثاله رحب الذراع أريب
وحدثتمانى أنما الموت فى القرى ... فكيف وهذى هضبة وكثيب
فلو كانت الموتى تباع اشتريته ... بما لم تكن عنه النفوس تطيب
بعينىّ أو يمنى يدى وخلتنى ... انا الغانم الجذلان حين أءوب
لقد أفسد الموت الحياة وقد أتى ... على يومه علق الىّ حبيب
أتى دون حلو العيش حتى أمره ... خطوب على آثارهن نكوب
فوالله لا أنساه ما ذر شارق ... وما اهتز من فرع الاراك قضيب

فان تكن الأيام أحسن مرة   الى لقد عادت لهن ذنوب

قالت أسماء بنت أبي بكر ذات النطاقين ترثي زوجها الزُّبَير بن العوّام وكان قتله عمرو بن جُرْمُوز المُجاشِعي بوادي السباع وهو منصرف من وقعة الجمل

غدر ابن جرموز بفارس بهمة   يوم الهياج وكان غير معرد

ياعمرو لو نبهته لوجدته   لا طائشا رعش الجنان ولا اليد

ثكلتك أمك ان قتلت لمسلما   حلت عليك عقوبة المتعمد

وقالت اعرابية ترثي زوجها

كنا كغصنين في جرثومة بسقا   حينا على خير ما تنمى به الشجر

حتى اذا قيل قد طالت فروعهما   وطاب قنواهما واستمطر الثمر

أخنى على واحدي ريب الزمان وما   يبقى الزمان على شيء ولا يذر

كنا كأنجم ليل بينها قمر   يجلو الدجى فهوى من بينها القمر

الاصمعي قال: دخلت بعض مقابر الاعراب ومعي صاحب لي فاذا جارية على قبر كأنها تمثال وعليها من الحلي والحلل مالم أر مثله وهي تبكي بعين غزيرة وصوت شجي فالتفت الى صاحبي فقلت: هل رأيت أعجب من هذه قال: لا والله ولا أحسبني أراه ثم قلت لها: ياهذه اني أراك حزينة وما عليك زى الحزن فأنشدت تقول

فان تسألاني فيم حزني فانني   رهينة هذا القبر يافتيان

واني لأستحييه والترب بيننا   كما كنت استحييه حين يراني

اهابك اجلالا وان كنت في الثرى   مخافة يوم أن يسوءك لساني

ثم اندفعت فى البكاء وجعلت تقول

ياصاحب القبر يامن كان ينعم بى ... بالا ويكثر فى الدنيا مواساتى
قد زرت قبرك فى حلى وفى حلل ... كأننى لست من أهل المصيبات
أردت آتيك فيما كنت أعرفه ... ان قد تسر به من بعض هيآتى
فمن رآنى رأى عبرى مولهة ... عجيبة الزى تبكى بين أموات

وقال آخر يرثي قيس بن عاصم المِنقرى

عليك سلام الله قيس بن عاصم ... ورحمته ما شاء أن يترحما
تحية من ألبسته منك نعمة ... اذا زار عن شحط بلادك سلما
فما كان قيس هلكه هلك واحد ... ولكنه بنيان قوم تهدما

وقال

سأبكيك مافاضت دموعى فان تغض ... فحسبك منى ماتجن الجوانح
كأن لم يمت حى سواك ولم تقم ... على أحد الا عليك النوائح
لئن حسنت فيك المراثى وذكرها ... لقد حسنت من قبل فيك المدائح
فما أنا من رزء وان جل جازع ... ولا بسرور بعد موتك فارح

المهلبى من مرثية المتوكل

لا حزن الا أراه دون ما أجد ... وهل كمن فقدت عيناى مفتقد
لا يبعدن هالك كانت منيته ... كما هوى عن غطاء الزبية الاسد
لا يدفع الناس ضيما بعد ليلتهم ... اذ لا تمد على الجانى عليك يد
لو أن سيفى وعقلى حاضران له ... أبليته الجهد اذ لم يبله أحد
هلا أتاه معاديه مجاهرة ... والحرب تسعر والابطال تطرد

نخر فوق سرير الملك منجدلا		لم يحمه ملكه لما انقضى الأمد
قد كان أنصاره يحمون حوزته		وللردى دون أرصاد الفتى رصد
وأصبح الناس فوضى يعجبون له		ليثا صريعا تنزى حوله النقد
علتك أسياف من لا دونه أحد		وليس فوقك الا الواحد الصمد
جاءوا لدنيا عظيم يسعدون بها		فقد شقوا بالذى جاءوا وماسعدوا
ضجت نساؤك بعد العز حين رأت		خدا كريما عليه قارت جسد
أضحى شهيد بنى العباس موعظة		لكل ذى عزة فى رأسه صيد
خليفة لم ينل ما ناله أحد		ولم يضع مثله روح ولا جسد
كم فى أديمك من فوهاء هادرة		من الجوائف يغلى فوقها الزبد
اذا بكيت فان الدمع منهمل		وان رثيت فان القول مطرد
قد كنت أسرف فى مالى ويخلف لى		فعلمتنى الليالى كيف أقتصد
لما اعتقدتم أناسا لا حلوم لهم		ضعتم وضيعتم من كان يعتقد
فلو جعلتم على الأحرار نعمتكم		حمتكم السادة المذكورة الحشد
قوم هم الجِذم والانساب تجمعكم		والمجد والدين والأرحام والبلد
قد وتر الناس طرا ثم قد صمتوا		كأنما كان ما يتلونه رشد
من الألى وهبوا للمجد أنفسهم		فما ينالون ما نالوا اذا حمدوا

وقال الاسود بن يَعْفُر

ماذا اؤمل بعد ال مُحَرّق		تركوا منازلهم وبعد إياد
أهل الخَورنق والسَدير وبارق		والقصر ذى الشرفات من سنداد
نزلوا بأنقِرَة يسيل عليهم		ماء الفرات يجئ من أطواد

جرت الرياح على محل ديارهم   فكأنما كانوا على ميعاد
واقد غنوا فيها بأنم عيشة   فى ظل ملك ثابت الأوتاد
فاذا النعيم وكل مايلهى به   يوما يصير الى بلى ونفاد

وقال أيضا

أما القبور فانهن أوانس   بجوار قبرك والديار قبور
عمت مصيبته وعم هلاكه   فالناس فيه كلهم مأجور
ردت صنائعه اليه حياته   فكأنها من نشرها منشور

وقال حبيب الطائى يرثى خالد بن يزيد بن مزيد

اشيبان لاذاك الهلال بطالع   علينا ولاذاك الغمام بعائد
اشيبان عمت نارها من رزية   فما تشتكى وجدا الى غير واجد
فما جانب الدنيا بسهل ولا الضحى   بطلق ولا ماء الحياة ببارد
فياوحشة الدنيا وكانت أنيسة   ووحدة من فيها بمصرع واحد

وأنشد أبو محمد الليثى فى يزيد بن مزيد

أحق انه أودى يزيد   فبين أيها الناعى المشيد
أبن لى كيف قلت وكيف فاهت   به شفتاك واراك الصعيد
احامى الملك والاسلام اودى   فما للارض ويحك لاتميد
تأمل هل ترى الاسلام مالت   دعائمه وهل شاب الوليد
وهل شيمت سيوف بنى نزار   وهل وضعت عن الخيل اللبود
وهل تسق البلاد عشار مزن   بدرتها وهل يخضر عود
اما هدت لمصرعه نزار   بلى وتقوض المجد المشيد

وجل ضريحه اذ حل فيه ... طريف المجد والمجد التليد
وهد العز والاسلام لما ... ثوى وخليفة الله الرشيد
لقد أوفى ربيعة كل نحس ... لمهلكه وغيبت السعود
وأنصلت الأسنة من قناها ... واشرعت الرماح لمن يكيد
نعى يزيد ان لم يبق بأس ... غداة مضى وان لم يبق جود
نعي ابن الزبير لكل يوم ... عبوس الوجه زينته الحديد
أأودى عصمة البارى يزيد ... وسيف الله والغيث الحميد
فمن يحمي حمى الاسلام أم من ... يقوم بها اذا اعوج المتود
ومن يحمى الخميس اذا تعايا ... بحيلة نفسه البطل النجيد
وأين يؤم منتجع ولاج ... واين تحط أرحلها الوفود
لقد رزئت نزار يوم أودى ... عميدا مايقاس به عميد
فلو قبل الفداء فداه منا ... بمهجته المسود والمسود
أبعد يزيد تختزن البواكى ... دموعا أو تصان لها خدود
اما بالله لاتنفك عيني ... عليه بدمعها ابدا تجود
وان تجمد دموع لئيم قوم ... فليس لدمع ذى حسب جمود
وان يك غاله حسب فأودى ... لقد أودي وليس له نديد
وان يعثر به دهر لما قد ... يفادى من مخافته الاسود
وان يهلك يزيد فكل حى ... فريس للمنية أو طريد
فان يك عن خلود قد دعته ... مآثره فكان لها الخلود
فما أودى امرؤ أودى وأبقى ... لوارثه مكارم لاتبيد

ألم تعلم أخى ان المنايا … عدون به وهن له جنود
قصدن له وكن يحدن عنه … اذا ما الحرب شب لها الوقود
فهلا يوم يقدمها يزيد … الى الابطال والخيلان صيد
ولو لاقى الحتوف على سواء … للاقاها به حتف عنيد
أضرّاب الفوارس كل يوم … ترى فيه الحتوف لها وعيد
فمن يرضى القواطع والعوالى … اذا ماهزها فرع شديد
لتبكك قبة الاسلام لما … وهت أطنابها ووهى العمود
ليبكك مرهق يتلوه خيل … اباسل وهو مجدول وحيد
ويبكك خامل ناداك لما … تواكله الاقارب والبعيد
ويبكك شاعر لم يبق دهر … له نشبا وقد كسد القصيد
تركت المشرفية والعوالى … مخلاة وقد خان الورود
وغادرت الجياد بكل ثغر … عواطل بعد زينتها ترود
فان تصبح مسلبة فمما … تفيد بها الجزيل وتستفيد
ألم تك تكشف الغمرات عنها … عوابس والوجوه البيض سود
أصيب المجد والاسلام لما … أصابك بالردى سهم شديد
لقد عزى ربيعة ان يوما … عليها مثل يومك لايعود
ومثلك من قصدن له المنايا … باسهمها وهن له جنود
فيا للدهر ماصنعت يداه … كأن الدهر منها مستفيد
سقى جدثا أقام به يزيد … من الوسمى بسام رعود
فان أجزع لمهلكه فأنى … على النكبات اذ أودى جليد

ليذهب من أراد فلست آسى | على من مات بعدك يايزيد

وقال المُهلهِل بن رَبيعة يرثى أخاه كُلَيب وائل وكان كليب اذا جلس لم يرفع أحد بحضرته صوته

ذهب الخيار من المعاشر كلهم | واستب بعدك يا كليب المجلس
وتناولوا من كل أمر عظيمة | لو كنت حاضر أمرهم لم ينبسوا

وقال فَرْوة بن نَوْفل الحَرُورى وكان بعض أهل الكوفة يقاتلون الخوارج ويقولون والله لنحرقنهم ولنفعلن ولنفعلن فقال فى ذلك فروة بن نوفل وكان من الخوارج

ماان نبالى اذا أرواحنا قبضت | ماذا فعلتم بأجساد وأبشار
تجرى المجرة والنسران بينهما | والشمس والقمر السارى بمقدار
لقد علمت وخير العلم أنفعه | ان السعيد الذى ينجو من النار

وقال يرثى قومه

هموا نصبوا الاجساد للنبل والقنا | فلم يبق منها اليوم الا رميمها
تظل عناق الطير تحجل نحوهم | يعللن اجساداً قليلا نعيمها
لطاف براها الصوم حتى كأنها | سيوف اذا ما الخيل تدمى كلومها

قال عبد الرحمن بن أبى بكر لسليمان بن عبد الملك يعزيه فى ابنه أيوب وكان ولى عهده وأكبر ولده : ياأمير المؤمنين انه من طال عمره فقد أحبته ومن قصر عمره كانت مصيبته فى نفسه فلو لم يكن فى ميزانك لكنت فى ميزانه

وكتب الحسن بن أبى الحسن الى عمر بن عبد العزيز يعزيه فى ابنه عبد الملك

وعوضت أجرا من فقيد فلا يكن   فقيدك لا يأتى وأجرك يذهب

أتى على بن أبى طالب كرم الله وجهه الاشعث يعزيه عن ابنه فقال : ان تحزن فقد استحقت ذلك منك الرحم وان تصبر فان فى الله خلفا من كل هالك مع انك ان صبرت جرى عليك القدر وأنت مأجور وان جزعت جرى عليك القدر وأنت آثم .

الاصمعى قال : عزى صالح المرّى رجلا بابنه فقال له : ان كانت مصيبتك لم تحدث لك موعظة فصيبتك بنفسك أعظم من مصيبتك بابنك واعلم ان التهنئة على آجل الثواب أولى من التعزية على عاجل المصيبة

﴿ كتاب تعزية ﴾

أما بعد فان أحق من تعزّى وأولى من تأسى وسلم لامر الله وقبل تأديبه فى الصبر على نكبات الدنيا وتجرع غصص البلوى من تنجز من الله وعده وفهم عن كتابه أمره وأخلص له نفسه واعترف له بما هو أهله وفى كتاب الله سلوة من فقد كل حبيب وان لم تطب النفس عنه وأنس من كل فقيد وان عظمت اللوعة به اذ يقول عز وجل : كل شئ هالك الا وجهه له الحكم واليه ترجعون . وحيث يقول : الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون والموت سبيل الماضين والغابرين ومورد الخلائق أجمعين وفى أنبياء الله وسالف أوليائه أفضل العبرة وأحسن الاسوة فهل أحد منهم الا وقد أخذ من فجائع الدنيا بأجزل الاعطاء ومن الصبر عليها باحتساب الاجر فيها بأوفر

الانصباء فجع نبينا عليه الصلاة والسلام بابنه ابراهيم وكان ذخر الايمان وقرة عين الاسلام وعقب الطهارة وسليل الوحى ونتيج الرحمة وحضين الملائكة وبقية آل ابراهيم واسماعيل صلوات الله عليهم أجمعين وعلى عامة الأنبياء والمرسلين فعمت الثقلين مصيبته وخصت الملائكة رزيته فشكر قضاه واتبع رضاه فقال يحزن القلب وتدمع العين ولا نقول ما يسخط الرب وانا بك يا براهيم لمحزونون . واذا تأمل ذو النظر ماهو مُشْفٍ عليه من غير الدنيا وانتصح نفسه وفكره فى غيرها بتنقل الاحوال وتقارب الآجال وانقطاع يسير هذه المدة ذلت الدنيا عنده وهانت المصائب عليه وتسهلت الفجائع لديه فأخذ للأمر أهبته واستعد للموت عدته ومن صحب الدنيا بحسن روية ولاحظها بعين الحقيقة كان على بصيرة من وشك زوالها قال النبي صلى الله عليه وسلم : اذكروا الموت فانه هاذم اللذات ومنغص الشهوات وليس شئ مما اقتصصت الا وقد جعلك الله مقدما فى العلم به ولعمرى ان الخطب فيما أصبت به لعظيم غير ان معوضه فى الاجر والمثوبة عليه بحسن الصبر يهونان الرزية وان ثقلت ويسهلان الخطب وان عظم فوهب الله لك من عصمة الصبر ما يكمل لك به زلفى الفائزين وقربة الشاكرين وجعلك من المرضيين قولا وفعلا الذين أعظاهم ووفقهم للصبر والتقوى . وكان على بن الحسين عليه السلام فى مجلسه وعنده جماعة اذ سمع ناعية فى بيته فنهض الى منزله فسكتهم ثم رجع الى مجلسه فقالوا له : أمن حدث كانت الناعية قال : نم فعزوه وعجبوا من صبره فقال : انا أهل بيت نطيع الله فيما نحب ونحمده على ما نكره

﴿ تعازى الملوك ﴾

العتبي قال : عزى اكثم بن صيفي عمرو بن هند ملك العرب على أخيه فقال له : أيها الملك ان أهل هذه الدار سفر لا يحلون عقد الرحال الا فى غيرها وقد أتاك ما ليس بمردود عنك وارتحل عنك ماليس براجع اليك وأقام معك من سيظعن عنك ويدعك واعلم أن الدنيا ثلاثة أيام فأمس عظة وشاهد عدل فجعك بنفسه وأبقى لك وعليك حكمته واليوم غنيمة وصديق أتاك ولم تأته طالت عليك غيبته وستسرع عنك رحلته وغد لا تدرى من أهله وسيأتيك ان وجدك فما أحسن الشكر للمنعم والتسليم للقادر وقد مضت لنا أصول نحن فروعها فما بقاء الفروع بعد أصولها واعلم ان أعظم من المصيبة سوء الخلف منها وخير من الخير معطيه وشر من الشر فاعله .

ولما مات معاوية بن أبى سفيان ويزيد غائب صلى عليه الضحاك بن قيس الفهرى ثم قدم يزيد من يومه ذلك فلم يقدم أحد على تعزيته حتى دخل عليه عبد الله بن همام السلولى فقال :

اصبر يزيد فقد فارقت ذا ثقة ... واشكر حباء الذى بالملك حاباكا
لا رزء أعظم فى الاقوام قدعلموا ... مما رزئت ولا عقبى كعقباكا
اصبحت راعى أهل الارض كلهم ... فأنت ترعاهم والله يرعاكا
وفى معاوية الباقى لنا خلف ... اذا نعيت فلا نسمع بمنعاكا

فافتتح الخطباء الكلام

دخل عبد الملك بن صالح دار الرشيد فقال له الحاجب : ان أمير المؤمنين قد أصيب الليلة بابن له وولد له آخر فلما دخل عليه قال : سرك الله يا أمير المؤمنين فيما ساءك ولا ساءك فيما سرك وجعل هذه بهذه مثوبة على الصبر وجزاء على الشكر . ودخل المأمون على أم الفضل بن سهل يعزيها بابنها الفضل بن سهل فقال : يا أمه انك لم تفقدى الا رؤيته وأنا ولدك مكانه فقالت : يا أمير المؤمنين ان رجلا أفادنى ولدا مثلك لجدير أن أجزع عليه .

عزى محمد بن الوليد بن عتبة عمر بن عبد العزيز على ابنه عبد الملك فقال : ياأمير المؤمنين أعد لما ترى عدة تكن لك جنة من الحزن وستراً من النار فقال عمر : هل رأيت حزنا يحتج به أو غفلة يؤنب عليها قال : ياأمير المؤمنين لو أن رجلا ترك تعزية رجل لعلمه وانتباهه لكنته ولكن الله قضى أن الذكرى تنفع المؤمنين . وهذا نظير قول العتّابى

وقائلة لما رأتني مسهدا ... كأن الحشا منى تلذعه الجمر
أباطن داء أم جوى بك قاتل ... فقال الذى بى مايقوم له صبر
تفرق ألاف وموت أحبة ... وفقد ذوى الافضال قالت كذا الدهر

كتب محمد بن عبد الله بن طاهر الى المتوكل يعزيه بابن له

انى أعزيك لا أنى على ثقة ... من الحياة ولكن سنة الدين
ليس المعزى بباق بعد ميته ... ولا المعزى وان عاشا الى حين

ولما حضرت الاسكندر الوفاة كتب الى أمه ان اصنعى طعاما ويحضره الناس ثم تقدمي اليهم أن لا يأكل منه محزون ففعلت فلم يبسط أحد اليه يده

فقالت : مالكم لا تأكلون فقالوا : انك تقدمت الينا أن لا يأكل منه محزون وليس منا الا من قد أصيب بحميم أو قريب فقالت : مات والله ابنى وما أوصى الى بهذا الا ليعزينى به

﴿ فى النسب وفضائل العرب ﴾

قال احمد بن محمد بن عبدربه : قدمضى قولنا فى النوادب والمراثى ونحن قائلون بعون الله وتوفيقه فى النسب الذى هو سبب التعارف وسلم الى التواصل به تتعاطف الأرحام الواشجة وعليه تحافظ الأواصر القريبة قال الله تبارك وتعالى : يأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا فمن لم يعرف النسب لم يعرف الناس ومن لم يعرف الناس لم يعد من الناس وفى الحديث تعلموا من النسب ما تعرفون به احسابكم وتصلون به أرحامكم . وقال عمر بن الخطاب : تعلموا النسب ولا تكونوا كنَبيط السواد اذا سئل أحدهم عن أصله قال : من قرية كذا وكذا

﴿ أصل قريش ﴾

كانت قريش تدعى النضر بن كِنانة وكانوا متفرقين فى بنى كنانة فجمعهم قُصَى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فِهر بن مالك من كل أوْب الى البيت فسموا قريشا والتقريش التجميع وسمى قصى بن كلاب مُجَمِّعا فقال فيه الشاعر

قصى ابوكم من يسمى مجمعا ... به جمع الله القبائل من فهر

وقال حبيب

غدوا في نواحي نعشه وكأنما　　قريش قريش يوم مات مجمع

يريد بمجمع قصى بن كلاب وهو الذى بنى المشعر الحرام وكان يسرج عليه ايام الحج فسماه الله مشعرا وامره بالوقوف عنده وانما جمع قصى الى مكة بنى فهر بن مالك نجد قريش كلها فهر بن مالك فما دونه قريش وما فوقه عرب مثل كنانة واسد وغيرهما من قبائل مضر واما قبائل قريش فانما تنتهى الى فهر ابن مالك لاتجاوزه وكانت قريش تسمى آل الله وجيران الله وسكان الله وفي ذلك يقول عبد المطلب بن هاشم

نحن آل الله في ذمته　　لم نزل فيها على عهد قدم

ان للبيت لربا مانعا　　من يرد فيه بإثم يخترم

لم تزل لله فينا حرمة　　يدفع الله بها عنا النقم

﴿ نسب قريش ﴾

قال هشام بن محمد السائب الكلبي : تسمية من انتهى اليه الشرف من قريش في الجاهلية فوصله بالاسلام عشرة رهط من عشرة ابطن وهم هاشم واُمية ونَوفل وعبد الدار وأسد وتَيم ومخزوم وعَدِي وجُمَح وسَهم فكان من هاشم العباس بن عبد المطلب يسقى الحجيج في الجاهلية وبقى له ذلك في الاسلام ومن بني أمية أبو سفيان بن حرب كانت عنده العُقاب راية قريش واذا كانت عند رجل أخرجها اذا حميت الحرب فاذا اجتمعت قريش على أحد اعطوه العقاب وان لم يجتمعوا على أحد رأسوا صاحبها

فقدموه ومن بنى نوفل الحرث بن عامر وكانت اليه الرّفادة وهى ما كانت
تخرجه من أموالها وترفد به منقطع الحاج ومن بنى عبدالدار عثمان بن طلحة
كان اليه اللواء والسِّدانة مع الحجابة ويقال والنّدوة أيضاً فى بنى عبد الدار
ومن بنى أسد يزيد بن زمعة بن الأسود وكانت اليه المشورة وذلك ان رؤساء
قريش لم يكونوا مجتمعين على أمر حتى يعرضوه عليه فان وافقه ولاهم عليه
والا تخير وكانوا له أعوانا واستشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالطائف
ومن بنى تَيم أبو بكر الصديق وكانت اليه فى الجاهلية الأشناق وهى الدّيات
والمغرم فكان اذا احتمل شيئاً فسأل فيه قريشا صدقوه وأمضوا حمالة من
نهض معه وان احتملها غيره خذلوه ومن بنى مخزوم خالد بن الوليد كانت
اليه القبة والأعنة فأما القبة فانهم كانوا يضربونها ثم يجمعون اليها ما يجهزون
به الجيش وأما الأعنة فانه كان على خيل قريش فى الحرب ومن بنى عَدِى
عمر بن الخطاب وكانت اليه السفارة فى الجاهلية وذلك انهم كانوا اذا وقعت
بينهم وبين غيرهم حرب بعثوه سفيراً وان نافرهم حى لمفاخرة جعلوه منافرا
ورضوا به ومن بنى جمح صفوان بن أمية وكانت اليه الأيسار وهى الازلام
فكان لا يسبق بأمر عام حتى يكون هو الذى تسييره على يديه ومن بنى
سهم الحرث بن قيس وكانت اليه الحكومة والأموال المحجرة التى سموها
لآلهتهم فهذه مكارم قريش التى كانت فى الجاهلية وهى السقاية والعمارة
والعقاب والرفادة والسدانة والحجابة والندوة واللواء والمشورة والاشناق
والقبة والأعنة والسفارة والأيسار والحكومة والاموال المحجرة الى هؤلاء
العشرة من هذه البطون العشرة على حال ما كانت فى أوليتهم يتوارثون ذلك

كابرا عن كابر وجاء الاسلام فوصل ذلك لهم وكان كل شرف من شرف الجاهلية أدركه الاسلام فوصله فكانت سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام وحلوان النفر فى بنى هاشم فاما السقاية فمعروفة وأما العمارة فهو انلايتكلم أحد فى المسجد الحرام بهُجر ولا رَفث ولا يرفع فيهصوته كان العباس ينهاهم عن ذلك وأما حلوان النفر فان العرب لم تكن تملك عليها فى الجاهلية أحدا فان كان حرب أقرعوا بين أهل الرياسة فمن خرجت عليه القرعة أحضروه صغيرا كان أو كبيرا فلما كان يوم الفِجار أقرعوا بين بنى هاشم فخرج سهم العباس وهو صغير فأجلسوه على المِجَنّ

﴿ فضل قريش ﴾

قال النبي عليه الصلاة والسلام : الأئمة من قريش . قدم محمد بن عُمَير ابن عُطَارد فى نيف وسبعين راكبا فاستزارهم عمر بن عتبة قال سمعته يقول : ياأبا سفيان مابال العرب تطيل كلامهم وأنتم تقصرونه معاشر قريش فقال عمر بن عتبة : بالجندل يرمي الجندل ان كلامنا كلام يقل لفظه ويكثر معناه ويكتفى بأولاه ويستشفى بأخراه يتحدر تحدر الزلال على الكبد الحراء ولقد نقصوا كما نقص غيرهم بعد ولله أقوام أدركتهم كأنما خلقوا لتحسين ماقبحت الدنيا سهلت ألفاظهم كما سهلت عليهم أنفاسهم فابتذلوا أموالهم وصانوا أعراضهم حتى مايجد الطاعن فيهم مطعنا ولا المادح مزيدا ولقد كان آل أبى سفيان مع قلتهم كثيرا منه نصيبهم ولله در مولاهم حيث يقول :

وضع الدهر فيهمُ شفرتيه   فمضى سالما وأمسوا شعوبا

شفرتان والله أفنتا أبدانهم وأبقتا أخبارهم فتركتاهم حديثا حسنا فى الدنيا ثوابه فى الآخرة أحسن وحديثا سيئا فى الدنيا ثوابه فى الآخرة أسوأ فياموعوظا بمن قبله موعوظا به من بعده اربح نفسك اذا خسرها غيرك قال: فظننت أنه أراد ان يعلمه أن قريشا اذا شاءت أن تتكلم تكلمت . عِكرِمة عن ابن عباس عن على بن أبى طالب قال: لما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعرض نفسه على القبائل خرج مرة وأنا معه وأبو بكر حتى دفعنا الى مجلس من مجالس العرب فتقدم أبو بكر فسلم قال على: وكان أبو بكر مقدما فى كل خير وكان رجلا نسابة فقال: ممن القوم قالوا: من ربيعة قال: وأى ربيعة أنتم أمن هامتها قالوا: من هامتها العظمى قال: وأى هامتها العظمى أنتم قالوا: ذهل الاكبر قال أبو بكر: فمنكم عوف بن مُحَلَّم الذى يقال فيه: لا حر بوادى عوف قالوا: لا قال: فمنكم جَسّاس بن مرة الحامى الذمار والمانع الجار قالوا: لا قال: فمنكم أخوال الملوك من كندة قالوا: لا قال: فمنكم اصهار الملوك من لَخم قالوا: لا قال أبو بكر: فلستم ذهلا الأكبر أنتم ذهل الأصغر فقام اليه غلام من شيبان حين بقل وجهه يقال له دَغفَل فقال:

ان على سائلنا ان نسأله   والعبء لا تعرفه أو تحمله

ياهذا انك قد سألتنا فأخبرناك ولم نكتمك شيئا فمن الرجل قال أبو بكر: من قريش قال: بخ بخ أهل الشرف والرياسة فمن أى قريش أنت قال: من ولد تيم بن مرة قال: أمكنت والله الرمية من صفا الثُغرَة أفمنكم قصى

ابن كلاب الذى جمع القبائل فسمى مجمعا قال : لاقال : أفمنكم هاشم الذى هشم الثريد لقومه ورجال مكة مُسْنِتون عِجَاف قال : لا قال : فمنكم شيبة الحمد عبد المطلب مطعم طير السماء الذى وجهه كالقمر في الليلة الظلماء قال : لاقال : فمن أهل الأفاضة بالناس أنت قال: لاقال : فمن أهل السقاية أنت قال : لا فاجتذب أبو بكر زمام الناقة ورجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الغلام

صادف درء السيل درءا يدفعه   يهيضه حينا وحينا يصدعه

قال : فتبسم النبي عليه الصلاة والسلام قال على : فقلت له وقعت ياأبا بكر من الاعرابى على باقعة قال : أجل قال : مامن طامة الا وفوقها أخرى والبلاء موكل بالمنطق والحديث ذوشجون . قال ابن الاعرابى : بلغنى أن جماعة من الأنصار وقفوا على دغفل النسابة بعد ما كف فسلموا عليه فقال: من القوم قالوا : سادة اليمن فقال : من أهل مجدها القديم وشرفها العميم كندة قالوا : لاقال : فأنتم الطوال المحضون نسبا بنوعبدالمدان قالوا : لا قال : فأنتم أقودها للزحوف وأجذبها للصفوف وأضربها بالسيوف رهط عمرو بن معد يكرب قالوا : لاقال : فأنتم أطيبها فناء وأشدها لقاء حاتم بن عبد الله قالوا : لا قال : فأنتم الغارسون للنخل والمطعمون فى المحل والقائلون بالعدل الانصار قالوا : نعم . مَسلمة بن شَبيب عن المنقرى قال : ذكروا أن يزيد بن حسان بن علقمة بن زُرارة بن عَدس قال : خرجت حاجا حتى اذا كنت بالمحصب من منى اذا رجل على راحلة معه عشرة من الشباب مع كل رجل منهم مِحْجَن ينحون الناس عنه ويوسعون له فلما رأيته

دنوت منـه فقلت : ممن الرجل قال : رجل من مهرة ممن يسكن الشحر قال : فـكرهته ووليت عنه فنادانى من ورائى مالك قلت : لست من قومى ولست تعرفنى ولا أعرفك قال : ان كنت من كرام العرب فسأعرفك قال: فكررت عليه راحلتى فقلت : انى من كرام العرب قال : فمن أنت قلت : من مضر قال : فمن الفرسان أنت أم الأرجاء فعلمت أنه أراد بالفرسان قيسا وبالأرجاء خندِفا فقلت : بل من الارجاء قال : أنت امرؤ من خندف قلت : نعم قال : من الارومـة أم من الجماجم فعلمت أنه أراد بالأرومة خزيمة وبالجماجم بنى أدّ بن طابخة قلت : بل من الجماجم قال : فأنت امرؤ من بنى أدّ بن طابخة قلت : اجل قال : فمن الدوانى انت أم من الصميم قال : فعلمت انه أراد بالدوانى الرّباب ومزينة وبالصميم بنى تميم قلت من الصميم قال : فأنت اذا من بنى تميم قلت: اجل قال : فمن الاكثرين أنت أم من الأقلين أومن اخوانهم الآخرين فعلمت انه اراد بالاكثرين ولد زيد وبالأقلين ولد الحرث وباخوانهم الاخرين بنى عمرو بن تميم قلت : من الأكثرين قال فأنت اذا من ولد زيد قلت أجل قال : فمن البحور أنت أم الذرا أم من الثماد فعلمت أنه أراد بالبحور بني سعد وبالذرا بنى مالك بن حنظلة وبالثماد امرأ القيس بن زيد قلت : بل من الذرا قال : فأنت رجل من مالك بن حنظلة قلت أجل قال : فمن السحاب انت أم من الشهاب أم من اللباب فعلمت أنه أراد بالسحاب طهيـة وبالشهاب نهشلا وباللباب بنى عبد الله بن دارم فقلت له : من اللباب قال : فأنت من بنى عبد الله بن دارم قلت : أجل قال : فمن البيوت أنت أم من الدوائر فعلمت انه أراد بالبيوت ولد زرارة

وبالدوائر الاحلاف قلت : من البيوت قال فأنت يزيد بن شيبان بن علقمة ابن زرارة بن عدس وقد كان لأبيك امرأتان فأيهما أمك

﴿ مفاخرة يمن ومضر ﴾

قال الابرش الكلبي لخالد بن صفوان : هلم أفاخرك وهما عند هشام ابن عبد الملك فقال له خالد قل : فقال الابرش : لنا البيت (يريد الركن اليماني) ومنا حاتم طيء ومنا المهلب بن أبي صفرة قال خالد بن صفوان : منا النبي المرسل وفينا الكتاب المنزل ولنا الخليفة المؤمل قال الابرش : لا فاخرت مضريا بعدك

وقعد المنذر بن ماء السماء ذات يوم وعنده وجوه العرب ووفود القبائل ودعا ببردى مُحَرِّق فقال: ليلبس هذين البردين أكرم العرب وأشرفهم حسبا وأعزهم قبيلة فأحجم الناس فقام الأحيمر بن خلف بن بهدلة بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة فقال : أنالهما فأتزر بأحدهما وارتدى بالآخر فقال له المنذر . وما حجتك فيما ادعيت قال . الشرف من نزار كلها فى مضر ثم فى تميم ثم فى سعد ثم فى كعب ثم فى بهدلة قال : هذا أنت فى أصلك فكيف انت فى عشيرتك قال . انا أبو عشرة وعم عشرة وأخو عشرة وخال عشرة قال . فهذا أنت فى عشيرتك فكيف أنت فى نفسك فقال . شاهد العين شاهدى ثم قام فوضع قدمه فى الارض وقال . من أزالها فله من الابل مائة فلم يقم اليه أحد ولا تعاطى ذلك

﴿ تفسير القبائل والعمائر والشعوب ﴾

قال ابن الكلبي . الشعب أكبر من القبيلة ثم العمارة ثم البطن ثم الفخذ

ثم العشيرة ثم الفصيلة وقال غيره : الشعوب العجم والقبائل العرب وانما قيل للقبيلة قبيلة لتقابلها وتناظرها وان بعضها يكافئ بعضا . وقيل للشعب شعب لأنه انشعب منه أكثر مما انشعب من القبيلة . وقيل لها عمائر من الاعتمار والاجتماع . وقيل لها بطون لانها دون القبائل . وقيل لها أفخاذ لانها دون البطون ثم العشيرة وهى رهط الرجل ثم الفصيلة وهى أهل بيت الرجل خاصة قال تعالى : وفصيلته التى تؤويه وقال تعالى : وأنذر عشيرتك الاقربين

﴿ قول الشعوبية وهم أهل التسوية ﴾

ومن حجة الشعوبية على العرب ان قالت: انا ذهبنا الى العدل والتسوية وان الناس كلهم من طينة واحدة وسلالة رجل واحد واحتججنا بقول النبي عليه الصلاة والسلام : المؤمنون اخوة تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم وقوله فى حجة الوداع وهى خطبته التى ودع فيها أمته وختم نبوته : أيها الناس ان الله أذهب عنكم نخوة الجاهلية وفخرها بالآباء كلكم لآدم وآدم من تراب ليس لعربى على عجمى فضل الا بالتقوى . وهذا القول من النبي عليه الصلاة والسلام موافق لقول الله تعالى : ان أكرمكم عند الله أتقاكم فأبيتم الا فخراً وقلتم لا تساوينا وان تقدمتنا الى الاسلام ثم صليت حتى تصير كالحَنيّ وصمت حتى تصير كالاوتار ونحن نسامحكم ونجيبكم الى الفخر بالآباء الذى نهاكم عنه نبيكم صلى الله عليه وسلم اذا أبيتم الا خلافه وانما نجيبكم الى ذلك لاتباع حديثه وما أمر به صلى الله عليه وسلم فنرد عليكم حجتكم فِي المفاخرة ونقول : اخبرونا ان قالت لكم العجم هل تعدون الفخر

كله أن يكون ملكا أو نبوة فان زعمتم انه ملك قالت لكم : وان لنا ملوك الارض كلها من الفراعنة والنماردة والعمالقة والاكاسرة والقياصرة وهل ينبغى لاحد أن يكون له مثل ملك سليمان الذى سخرت له الانس والجن والطير والريح وانما هو رجل منا أم هل كان لاحد مثل ملك الاسكندر الذى ملك الارض كلها وبلغ مطلع الشمس ومغربها وبنى ردما من حديد ساوى به بين الصدفين وسجن وراءه خلقا من الناس تُربى على خلق الارض كلها كثرة يقول الله عز وجل : حتى اذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون فليس شئ أدل على كثرة عددهم من هذا وليس لأحد من ولد آدم مثل آثاره فى الارض ولو لم يكن له الامنارة الاسكندرية التى أسسها فى قعر البحر وجعل فى رأسها مرآة يظهر البحر كله فى زجاجتها لكفى . ومنا ملوك الهند الذين كتب أحدهم الى عمر بن عبد العزيز من ملك الاملاك الذى هو ابن ألف ملك والذى تحته بنت ألف ملك والذى فى مربطه ألف فيل والذى له نهران ينبتان العود والفوّة والجوز والكافور والذى يوجد ريحه على اثنى عشر ميلا الى ملك العرب الذى لا يشرك بالله شيئا . أما بعد فانى أردت أن تبعث الىّ رجلا يعلمنى الاسلام ويوقفنى على حدوده والسلام وان زعمتم انه لا يكون الفخر الا بنبوة فان منا الانبياء والمرسلين قاطبة من لدن آدم ماخلا أربعة هوداً وصالحا واسماعيل ومحمداً ومنا المصطفيان من العالمين آدم ونوح وهما العنصران اللذان تفرع منهما البشر فنحن الاصل وأنتم الفرع وانما أنتم غصن من أغصاننا فقولوا بعد هذا ماشئتم وادّعوا ولم تزل للامم كلها من الاعاجم فى كل شق من

الأرض ملوك تجمعها ومدائن تضمها وأحكام تدين بها وفلسفه تنتجها وبدائع تفتقها فى الأدوات والصناعات مثل صنعة الديباج وهى أبدع صنعة ولعب الشطرنج وهى أشرف لعبة ورمانة القبّان التي يوزن بها رطل واحد ومائة رطل ومثل فلسفة الروم فى ذات الخالق والقانون والاسطرلاب الذى يعدل به النجوم ويدرك به علم الابعاد ودوارن الأفلاك وعلم الكسوف ولم يكن للعرب ملك يجمع سوادها ويضم قواصيها ويقمع ظالمها وينهى سفيهها ولا كان لها قط نتيجة فى صناعة ولا أثر فى فلسفة الا ما كان من الشعر وقد شاركتها فيه العجم وذلك أن للروم اشعارا عجيبة قائمة الوزن والعروض فما الذى تفخر به العرب على العجم فانما هى كالذئاب العاوية والوحوش النافرة يأكل بعضها بعضا ويغير بعضها على بعض فرجالها موثوقون فى حلق الأسر ونساؤها سبايا مُرْدَفات على حقائب الأبل

﴿ رد ابن قتيبة على الشعوبية ﴾

قال ابن قتيبة فى كتاب تفضيل العرب : وأما أهل التسوية فان منهم قوما أخذوا ظاهر بعض الكتاب والحديث فقضوا به ولم يفتشوا عن معناه فذهبوا الى قوله عز وجل « إن أكرمكم عند الله أتقاكم » وقوله « انما المؤمنون اخوة فأصلحوا بين أخويكم » والى قول النبي عليه الصلاة والسلام فى خطبته فى حجة الوداع : أيها الناس ان الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتفاخرها بالآباء ليس لعربى على عجمى فخر الا بالتقوى كلكم لآدم وآدم من تراب وقوله : المؤمنون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على

من سواهم وانما المعنى فى هذا ان الناس كلهم من المؤمنين سواء فى طريق الأحكام والمنزلة عند الله عز وجل والدار الآخرة ولو كان الناس كلهم سواء فى أمور الدنيا ليس لأحد فضل الا بأمر الآخرة لم يكن فى الدنيا شريف ولا مشروف ولا فاضل ولا مفضول فما معنى قوله صلى الله عليه وسلم : اذا أتاكم كريم قوم فأكرموه وقوله صلى الله عليه وسلم : أقيلوا ذوى الهيئات عثراتهم وقوله صلى الله عليه وسلم فى قيس بن عاصم : هذا سيد الوبر وكانت العرب تقول . لا يزال الناس بخير ما تباينوا فاذا تساووا هلكوا تقول : لا يزالون بخير ما كان فيهم أشراف وأخيار فاذا جملوا كلهم جملة واحدة هلكوا واذا ذمت العرب قوما قالوا : سواسية كأسنان الحمار وكيف يستوى الناس فى فضائلهم والرجل الواحد لا تستوى فى نفسه أعضاؤه ولا تتكافأ مفاصله ولكن لبعضها الفضل على بعض وللرأس الفضل على جميع البدن بالعقل والحواس الخمس وقالوا . القلب أمير الجسد ومن الاعضاء خادمة ومنها مخدومة .

﴿ رد الشعوبية على ابن قتيبة ﴾

قال بعض من يرى رأى الشعوبية فيما يرد به على ابن قتيبة فى تباين الناس وتفاضلهم والسيد منهم والمسود : انا نحن لا ننكر تباين الناس ولا تفاضلهم ولا السيد منهم والمسود والشريف والمشروف ولكنا نزعم ان تفاضل الناس فيما بينهم ليس بآبائهم ولا باحسابهم ولكنه بأفعالهم وأخلاقهم وشرف أنفسهم وبعد هممهم ألا ترى أن من كان دنىء الهمة ساقط المروءة

لم يشرف وان كان من بنى هاشم فى ذوائبها ومن أمية فى أرومتها ومن قيس فى أشرف بطن منها انما الكريم من كرمت أفعاله والشريف من شرفت همته وهو معنى حديث النبى عليه الصلاة والسلام اذا أتاكم كريم قوم فأكرموه وقوله فى قيس بن عاصم هذا سيد أهل الوبر انما قال فيه لسؤدده فى قومه بالذب عن حريمهم وبذله رفده لهم ألا ترى أن عامر بن الطفيل كان فى أشرف بطن فى قيس يقول

وانى وان كنت ابن سيد عامر   وفارسها المشهور فى كل مركب
فما سودتني عامر عن وراثة   أبى الله أن أسمو بأم ولا أب
ولكننى أحمى حماها وأتقى   اذاها وأرمى من رماها بمنكب

وقال آخر

أنا وان كرمت أوائلنا   لسنا على الاحساب نتكل
نبنى كما كانت أوائلنا   تبنى ونفعل مثل مافعلوا

وقال قس بن ساعدة : لأقضين بين العرب بقضية لم يقض بها أحد قبلى ولا يردها أحد بعدى أيما رجل رمى رجلا بملأمة دونها كرم فلا لؤم عليه وأيما رجل ادعى كرما دونه لؤم فلا كرم له ومثله قول عائشة أم المؤمنين: كل كرم دونه لؤم فاللؤم أولى به وكل لؤم دونه كرم فالكرم أولى به تعنى بقولها أن أولى الاشياء بالانسان طبائع نفسه وخصالها فاذا كرمت فلا يضره لؤم أوليته وان لؤمت فلا ينفعه كرم أوليته وقال الشاعر

نفس عصام سودت عصاما   وعلمته الكر والاقداما
وجعلته ملكا هماما

وقال آخر

مالى عقلى وهمتى حسبى ... ما أنا مولى ولا أنا عربى
اذا انتمى مُنْتَمٍ الى أحد ... فاننى منتم الى أدبى

وتكلم رجل عند عبد الملك بن مروان بكلام ذهب فيه كل مذهب فأعجب عبد الملك ماسمع منه فقال: ابن من أنت يا غلام قال: ابن نفسى ياأمير المؤمنين التى نلت بها هذا المقعد منك قال صدقت. ويروى أن اعرابيا من بنى العنبر دخل على سوّار القاضى فقال: ان أبى مات وتركنى وأخالى وخط خطين ثم قال: وهجينا ثم خط خطا ناحية فكيف يقسم المال فقال له سوار: ههنا وارث غيركم قال: لا قال: فالمال بينكم أثلاثا قال: ماأحسبك فهمت عنى انه تركنى وأخى وهجينا فكيف يأخذ الهجين كما آخذ أنا وكما يأخذ أخى قال: أجل فغضب الاعرابى ثم أقبل على سوار فقال: ماعلمت والله انك قليل الخالات بالدهناء قال سوار: لا يضرنى ذلك عند الله تعالى شيئا

كلام الاعراب

قال احمد بن عبدربه: قد مضى قولنا فى النسب الذى هو سبب التعارف وسلم الى التواصل وفى تفضيل العرب وفى كلام بعض الشعوبية ونحن قائلون بعون الله وتوفيقه في كلام الاعراب خاصة اذ كان أشرف الكلام حسبا وأكثره رونقا وأحسنه ديباجا وأقله كلفة وأوضحه طريقة واذ كان مدار الكلام كله عليه ومنتسبه اليه

﴿ قول الاعراب فى الدعاء ﴾

قال عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه : ماقوم أشبه بالسلف من الأعراب لولا جفاء فيهم . وقال غيلان : اذا أردت أن تسمع الدعاء فاسمع دعاء الاعراب

دعا اعرابى وهو يطوف بالكعبة فقال : الهى مَنْ أولي بالتقصير والزلل منى وأنت خلقتنى ومن أولى بالعفو منك عنى وعلمك بى ماض وقضاؤك بى محيط أطعتك بقوتك والمنة لك وعصيتك بعلمك فأسألك يا الهى بوجوب رحمتك وانقطاع حجتى وافتقارى اليك وغناك عنى أن تغفر لى وترحمنى الهى لم أحسن حتي أعطيتنى فتجاوز عن الذنوب التى كتبت علىّ اللهم انا أطعناك فى أحب الاشياء اليك شهادة أن لا اله الا أنت وحدك لا شريك لك ولم نعصك فى أبغض الاشياء اليك الشرك بك فاغفر لى مابين ذلك اللهم انك آنس المؤنسين لأوليائك وأحضرهم للمتوكلين عليك الهى أنت شاهدهم وغائبهم والمطلع على ضمائرهم وسرى لك مكشوف وانا اليك ملهوف اذا أوحشتنى الغربة آنسنى ذكرك واذا أكبت علىّ الغموم لجأت الى الاستجارة بك علما بأن أزمّة الامور كلها بيدك ومصدرها عن قضائك فاقلنى اليك مغفورا لى معصوبا بطاعتك باقى عمرى يا أرحم الراحمين

قال : خرجت اعرابية الى مِنًى فقطع بها الطريق فقالت : يارب أخذت وأعطيت وأنعمت وسلبت وكل ذلك منك عدل وفضل والذى عظم على الخلائق أمرك لابسطت لسانى بمسألة أحد غيرك ولا بذلت رغبتى الا اليك

ياقرة أعـين السائلين أغنني بجود منك ابجبح فى فراديس نعمته وأتقلب فى رواق نضرته احملنى من الرجلة واغنني من العيـلة واسدل علىّ سترك الذى لاتخرقه الرماح ولا تزيله الرياح انك سميع الدعاء .

قال وسمعت اعرابيا فى فلاة من الارض وهو يقول فى دعائه : اللهم ان استغفارى اياك مع كثرة ذنوبى للؤم وان تركى الاستغفار مع معرفتي بسعة رحمتك لعجز الهى كم تحببت الىّ بنعمتك وأنت غنى عنى وكم أتبغض اليك بذنوبى وأنافقير اليك سبحان من اذا توعد عفا واذا وعد وفى

قال : ورأيت اعرابيا متعلقا باستار الكعبة رافعا يديه الى السماء وهو يقول : رب أتراك معذبنا وتوحيدك فى قلوبنا وما اخالك تفعل ولئن فعلت لتجمعنا مع قوم طالما أبغضناهم لك . قال : ودعا اعرابى عند الكعبة فقال : اللهم انه لاشرف الا بفعال ولا فعال الا بمال فأعطنى ما أستعين به على شرف الدنيا والآخرة .

قال زيد بن عمرو : سمعت طاوسا يقول : بينا أنا بمكة اذ رفعت الى الحجاج بن يوسف فثنى لى وسادة فجلست فبينا نحن نتحدث اذ سمعت صوت اعرابى فى الوادى رافعا صوته بالتلبية قال الحجاج : علىّ بالملبي فأتى به فقال : من الرجل قال : من افناء الناس قال : ليس عن هـذا سألتك قال : فمم سألتنى قال : من أى البلدان أنت قال : من أهل اليمن قال له الحجاج : فكيف خلفت محمد بن يوسف يعنى أخاه وكان عامله على اليمن قال : خلفته عظيما جسيما خراجا ولاّجا قال : ليس عن هـذا سألتك قال فمم سألتنى قال : كيف خلفت سيرته فى الناس قال : خلفته ظلوما غشوما

عاصيا للخالق مطيعا للمخلوق فازورّ من ذلك الحجاج وقال : ما أقدمك على هذا وقد تعلم مكانته منى فقال له الاعرابى : أفتراه بمكانته منك أعز منى بمكانتى من الله تبارك وتعالى وأنا وافد بيته وقاضى دينه ومصدق نبيه صلى الله عليه وسلم قال : فوجم لها الحجاج ولم يحر له جوابا حتي خرج الرجل بلا اذن قال طاوس : فتبعته حتى أتى الملتزم فتعلق باستار الكعبة فقال : بك أعوذ واليك ألوذ فاجعل لى فى اللهف الى جوارك والرضى بضمانك مندوحة عن منع الباخلين وغنى عما فى أيدى المستأثرين اللهم عد بفرجك القريب ومعروفك القديم وعادتك الحسنة قال طاوس : ثم اختفى فى الناس فألفيته بعرفات قائما على قدميه وهو يقول : اللهم ان كنت لم تقبل حجى ونصبى وتعبى فلا تحرمنى أجر المصاب على مصيبته فلا أعلم مصيبة أعظم ممن ورد حوضك وانصرف محروما من وجه رغبتك .

وقيل لاعرابى : ما أنحل جسمك قال : سوء الغذاء وجدوبة المرعى واختلاف الهموم فى صدرى ثم أنشأ يقول :

الهم مالم تمضه لسبيله ... داء تضمنه الضلوع عظيم
ولربما استيأست ثم أقول لا ... ان الذى ضمن النجاح كريم

وقال اعرابى : لقد كنت أنكر البيضاء فصرت أنكر السوداء فياخير مبدول ويا شر بدل . وقال اعرابى

اذا الرجال ولدت أولادها ... وجعلت أسقامها تعتادها
فاضطربت من كبر أعضادها ... فهى زروع قد دنا حصادها

﴿ قولهم فى الاستطعام ﴾

قدم اعرابى من بنى كنانة على معن بن زائدة وهو باليمن فقال : انى والله ما أعرف سببا بعد الاسلام والرحم أقوى من رحلة مثلى من أهل السن والحسب اليك من بلاده بلا سبب ولا وسيلة الا دعائك الى المكارم ورغبتك فى المعروف فان رأيت أن تضعنى من نفسك بحيث وضعت نفسى من رجائك فافعل فوصله وأحسن اليه .

خرج المهدى يطوف بعد هدأة من الليل فسمع اعرابية من جانب المسجد وهى تقول : قوم مبطلون نبت عنهم العيون وفدحتهم الديون وعضتهم السنون بادت رجالهم وذهبت أموالهم أبناء سبيل وانضاء طريق وصية الله ووصية رسوله صلى الله عليه وسلم فهل من امرىء يجبرهم كلأه الله فى سفره وخلفه فى أهله فأمر نُصيرا الخادم فدفع اليها خمسمائة درهم

الشيبانى قال : أقبل اعرابى الى مالك بن طَوق فأقام بالرحبة حينا وكان الاعرابى من بنى أسد صعلوكا فى عباءة صوف وشملة شعر فكلما أراد الدخول منعه الحجاب وشتمه العبيد وضَربه الاشراط فلما كان فى بعض الايام خرج مالك بن طوق يريد التنزه حول الرحبة فعارضه الاعرابى فضربوه ومنعوه فلم يثنه ذلك حتى أخذ بعنان فرسه ثم قال : أيها الأمير انى عائذ بالله من شراشراطك هؤلاء فقال مالك : دعوا الاعرابى هل من حاجة يا اعرابى قال : نم أصلح الله الأمير أن تصغى الىّ بسمعك وتنظر الى بطرفك وتقبل الى بوجهك قال : نم فأنشأ الاعرابى يقول :

ببابك دون الناس أنزلت حاجتي ... وأقبلت أسعى حوله وأطوف
ويمنعنى الحجاب والستر مسبل ... وأنت بعيد والشروط صفوف
يدورون حولى فى الجلوس كأنهم ... ذئاب جياع بينهن خروف
فأما وقد أبصرت وجهك مقبلا ... فأصدف عنه انى لضعيف
ومالى من الدنيا سواك ولا لمن ... تركت ورائى مربع ومصيف
وقد علم الحيان قيس وخندف ... ومن هو فيها نازل وحليف
تخطيت أعناق الملوك ورحلتى ... اليك وقد حنت اليك صروف
فجئتك أبغى اليسر منك فمر بى ... ببابك من ضرب العبيد صنوف
فلا تجعلن لى نحو بابك عودة ... فقلبي من ضرب الشروط مخوف

فاستضحك مالك حتى كاد أن يسقط عن فرسه ثم قال لمن حوله : من يعطيه درهما بدرهمين وثوبا بثوبين فوقعت عليه الثياب والدراهم من كل جانب حتى تحير الاعرابى ثم قال له : هل بقيت لك حاجة يا اعرابى قال : اما اليك فلا قال : فالى من . قال : الى الله أن يبقيك للعرب فانها لا تزال بخير ما بقيت لها .

دخل اعرابى الى هشام بن عبد الملك فقال يا أمير المؤمنين أتت علينا ثلاثة أعوام فعام أذاب الشحم وعام اكل اللحم وعام أنقى العظم وعندكم أموال فان تكن لله فبثوها فى عباد الله وان تكن للناس فلم تحجب عنهم وان تكن لكم فتصدقوا ان الله يجزى المتصدقين قال هشام : هل من حاجة غير هذه يا اعرابى قال : ماضربت اليك أكباد الابل ادرّع الهجير واخوض الدجى لخاص دون عام فأمر له هشام بأموال فرقت فى الناس

وأمر للاعرابى بمال فرقه فى قومه

العتبى قال : كانت الاعراب تنتجع هشام بن عبد الملك بالخطب كل عام فتقدم اليهم الحاجب يأمرهم بالايجاز فقام اعرابى فحمد الله وأثنى عليه ثم قال ياأمير المؤمنين ان الله تبارك وتعالى جعل العطاء محبة والمنع مبغضة فلأن نحبك خير من أن نبغضك فأعطاه وأجزل له . وقال اعرابى للمأمون

قل للامام الذى ترجى فضائله رأس الأنام وما الاذناب كالراس
انى أعوذ بهرون وحضرته وبابن عم رسول الله عباس
من أن تشد رحال العيس راجعة الى اليمامة بالحرمان والياس

﴿ قولهم فى المواعظ والزهد ﴾

أبو حاتم عن الأصمعى قال . دخل اعرابى على هشام بن عبد الملك فقال له : عظنى ياأعرابى فقال : كفى بالقرآن واعظا أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم ويل للمطففين الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون واذا كالوهم أووزنوهم يخسرون ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين ثم قال : يا أمير المؤمنين هذا جزاء من يطفف فى الكيل والميزان فما ظنك بمن أخذه كله . ووعظ اعرابى أخا له أفسد ماله فى الشراب فقال : لاالدهر يعظك ولا الايام تنذرك ولا الشيب يزجرك والساعات تحصى عليك والانفاس تعدمنك والمنايا تقاد اليك أحب الامور اليك أعودها بالمضرة عليك . وقيل لاعرابى : مالك لا تشرب النبيذ قال . لثلاث خلال فيه لأنه متلف للمال مذهب للعقل مسقط

للمروءة . وقال اعرابى : الدراهم مياسم تسم حمدا وذما فمن حبسها كان لها ومن أنفقها كانت له وما كل من أعطى مالا أعطى حمدا ولا كل عديم ذميم أخذ هذا المعنى الشاعر فقال .

أنت للمال اذا أمسكته　　　فاذا أنفقته فالمـال لك

وهذا نظير قول ابن عباس ونظر الى درهم فى يد رجل فقال : انه ليس لك حتى يخرج من يدك . قال وسمعت اعرابيا يقول لابن عمـه : سأتخطى ذنبك الى عذرك وان كنت من أحدهما على شـك ومن الآخر على يقين ولـكن ليتم المعروف منى اليك ولتقوم الحجة لى عليك . قال وسمعت اعرابيا يقول : الله مخلف ما أتلف الناس والدهر متلف ما أخلفوا وكم من ميتة عليها طلب الحياة وكم من حياة سببها التعرض للموت . وقيل لاعرابي وقد مرض انك تموت قال : واذا مت فالى أين يذهب بى قالوا : الى الله قال : فما كراهتى أن يذهب بي الى من لم أر الخير الا منه . ونظر عثمان الى اعرابى فى شملة غائر العينين مشرف الحاجبين ناتئ الجبهة فقال له : أين ربك قال : بالمرصاد وقال : من ثقل على صـديقه خف على عـدوه ومن أسرع الى الناس بما يكرهون قالوا فيه مالا يعلمون . الاصمعى قال : سمعت اعرابيا ينشد

واذا أظهرت أمرا حسنا　　　فليكن أحسن منه ما تُسِرّ

فمسر الخير موسوم به　　　ومسر الشر موسوم بشر

وقال اعرابى . والله لولا أن المروءة ثقيل محملها شديد مؤونتها ما ترك اللئام للكرام شيئا . احتضر اعرابى فقال له بنوه : عظنا يا أبت فقال عاشروا الناس معاشرة إن غبتم حنوا اليكم وان متم بكوا عليكم . ودخل اعرابى على

بعض الملوك فى شملة شعر فلما رآه أعرض عنه فقال له : ان الشملة لا تكلمك وانما يكلمك من هو فيها . ابو حاتم عن الاصمعى قال : خرج الحجاج ذات يوم فأصحر وحضر غداؤه فقال : اطلبوا من يتغدى معنا فطلبوا فلم يجدوا الا اعرابيا فى شملة فأتوه به قال له : هلم قال له : قد دعانى من هو أكرم منك فأجبته قال : ومن هو قال . الله تبارك وتعالى دعانى الى الصيام فأنا صائم قال : صوم فى مثل هذا اليوم على حر قال : صمت ليوم هو أحر منه قال : فأفطر اليوم وصم غدا قال : ويضمن لى الامير ان أعيش الى غد قال : ليس ذلك الى قال : فكيف تسألنى عاجلا بآجل ليس اليه سبيل قال : انه طعام طيب قال : والله ماطيبه خبازك ولا طباخك ولكن طيبته العافية قال الحجاج : تالله مارأيت كاليوم أخرجوه عنى .

قام عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه بالجبانة فاذا هو باعرابى فقال : ماتصنع ههنا يااعرابى فى هذه الديار الموحشة قال : وديعة لى ههنا ياأمير المؤمنين قال : وما وديعتك قال : بنى لى دفنته فأنا أخرج اليه كل يوم اندبه قال . فاندبه حتى أسمع فأنشأ يقول

يا غائبا مايؤوب من سفره ... عاجله موته على صغره
ياقرة العين كنت لى سكنا ... فى طول ليلى نعم وفى قصره
شربت كأسا أبوك شاربها ... لابد يوما له على كبره
يشربها والانام كلهم ... من كان في بدوه وفى حضره
فالحمد لله لاشريك له ... الموت فى حكمه وفي قدره
قد قسم الموت فى العباد فما ... يقدر خلق يزيد فى عمره

﴿ قولهم فى المدح ﴾

مدح اعرابى رجلا فقال : يصم أذنيه عن استماع الخنى ويخرس لسانه عن التكلم به فهو الماء الشريب والمصقع الخطيب . ودخل اعرابى على بعض الملوك فقال : ان جهلا أن يقول المادح بخلاف مايعرف من الممدوح وانى والله ما رأيت أعشق للمكارم فى زمان اللؤم منك وأنشد

مالى أرى أبوابهم مهجورة وكأن بابك مجمع الاسواق
حابوك أم هابوك أم شاموا الندى بيديك فاجتمعوا من الآفاق
انى رأيتك للمكارم عاشقا والمكرمات قليلة العشاق

وأنشد اعرابى فى بنى المهلب

قدمت على آل المهلب شاتيا قصيا بعيد الدار فى زمن المحل
فما زال بى ألطافهم وافتقادهم وبرهم حتى حسبتهم أهلى

﴿ قولهم فى الذم ﴾

ذكر اعرابى قوما فقال : لهم بيوت تدخل حبوا الى غير نمارق ولا وسائد فصح الالسن برد السائل جعد الاكف عن النائل

وسافر اعرابى الى رجل فحرمه فقال لما سئل عن سفره : ما ربحنا فى سفرنا الا ماقصرنا من صلاتنا فأما الذى لقينا من الهواجر ولقيت منا الأباعر فعقوبة لنا فيما أفسدنا من حسن ظننا ثم أنشأ يقول

رجعنا سالمين كما خرجنا وما خابت سرية سالمينا

وقال رجل من العمال لاعرابى : ما أحسبك تعرف كم تصلى فى كل يوم

وليلة فقال له : فان عرفت أجمل لى على نفسك مسألة قال : نعم قال

ان الصلاة أربع وأربع ثم ثلاث بعدهن أربع
ثم صلاة الفجر لاتضيع

قال : صدقت هات مسألتك قال له : كم فقار ظهرك قال : لا أدرى قال : فتحكم بين الناس وتجهل هذا من نفسك

﴿ قولهم فى الخيل ﴾

ذكر اعرابى فرسا وسرعته فقال : لما خرجت الخيل أقبل شيطانا فى اشطان فلما أرسلت لمع لمع البرق أقربها اليه الذى تقع عينه عليه . وقال اعرابى فى فرس الأعور السلمى

مر كلمح البرق سام ناظره يسبح أولاه ويطفو آخره
فما يمس الارض منه حافره

﴿ قولهم فى الغيث ﴾

دخل اعرابى على سليمان بن عبدالملك فقال : أصابتك سماء فى وجهك يا اعرابى قال نعم يا أمير المؤمنين غير انها سماء طخياء وطفاء كأن هواديها الدلاء مرجحنة النواحى موصولة الآكام تكاد تمس هام الرجال كثير زجلها قاصف رعدها خاطف برقها حثيث ودقها بطىء سيرها متعنجر قطرها مظلم نوؤها قد لجئت الوحش الى أوطانها تبحث عن أصوله بأظلافها متجمعة بعد شتاتها فلولا اعتصامنا يا أمير المؤمنين بعضاه الشجر وتعلقنا بقنن الجبال لكنا جفاء في بعض الاودية ولنم الطريق فأطال الله

للامة بقاءك ونسألها فى أجلك ببركتك وعادة الله بك على رعيتك وصلى الله على سيدنا محمد فقال سليمان : لعمر أبيك لئن كانت بديهة لقد أحسنت وان كانت محبرة لقد اجدت قال : بل محبرة مهدورة ياأمير المؤمنين قال : ياغلام اعطه فوالله لصدقه اعجب الينا من صفته . قيل لاعرابى : أى الالوان أحسن قال : قصور بيض فى حدائق خضر . ابن عمر المخزومى : أتيت مع ابى واليا على المدينة من قريش وعنده اعرابى يقال له ابن مطير واذا مطر جود فقال له الوالى صفه فقال : دعنى أشرف وأنظر فأشرف ونظر ثم نزل فقال :

كثرت ككثرة قطره اطباؤه ... فاذا تحلب فاضت الاطباء
وله رباب هيدب لرفيفه ... قبل التبعق ديمة وطفاء
وكأن بارقه حريق تلتقى ... ريح عليه عرفج وألاء
وكأن ريقه ولما يحتفل ... ودق السماء عجاجة طخياء
مستضحك مستعبر بدوامع ... لم يجرها بعيونها الاقذاء
فله بلا حزن ولا بمسرة ... ضحك يؤلف بينه وبكاء
حيران متبع صباه يقوده ... وجنوبه كنف له ووعاء
ثقلت كلاه فبهرت اصلابه ... وتبعجت عن مائه الاحشاء
غر محجلة دوالج ضمنت ... حمل اللقاح وكلها عذراء
سحم فهن اذا عبسن سواجم ... سود وهن اذا ضحكن وضاء
لو كان من لجج السواحل ماؤه ... لم يبق فى لجج السواحل ماء

﴿ قولهم فى البلاغة والايجاز ﴾

قيل لاعرابى : من أبلغ الناس قال : أحسنهم لفظا واسرعهم بديهة شبيب بن شبة قال : لقيت اعرابيا فى طريق مكة فقال : تكتب قلت : نعم قال : ومعك دواة قلت : نعم فأخرج قطعة جراب من كمه ثم قال : اكتب ولا تزد حرفا ولا تنقص . هذا كتاب كتبه عبد الله بن عقيل لأمته لؤلؤة انى اعتقتك لوجه الله واقتحام العقبة فلا سبيل لى ولا لأحد عليك الا سبيل الولاء والمنة على وعليك من الله وحده ونحن في الحق سواء ثم قال : اكتب شهادتك . وقال ضل اعرابى الطريق ليلا فلما طلع القمر اهتدى فرفع رأسه اليه شاكرا فقال : ما أدرى أأقول رفعك الله فقد رفعك أم أقول نورك الله فقد نورك أم أقول حسنك الله فقد حسنك أم أقول عمرك الله فقد عمرك ولكن أقول جعلني الله فداك . وقيل لاعرابى وقد أدخل ناقته فى السوق ليبيعها . صف لنا ناقتك قال . ماطلبت عليها قط الا ادركت وما طلبت الافت قيل له : فلم تبيعها قال : لقول الشاعر

وقد تخرج الحاجات يا أم عامر   كرائم من رب بهن ضنين

وقيل لاعرابى . ماعندكم فى البادية طبيب قال : حمر الوحش لا تحتاج الى بيطار

﴿ قولهم فى الاعراب ﴾

الاصمعي قال : قلت لاعرابى أتهمز اسرائيل قال . انى اذا لرجل سوء قلت له : افتجر فلسطين قال : انى اذا لقوى . وسمع اعرابى أبا المكنون النحوى

وهو يقول فى دعائه يستسق : اللهم ربنا والهنا وسيدنا ومولانا فصل على محمد نبينا ومن أراد بنا سوءا فأحط ذلك السوء به كاحاطة القلائد بأعناق الولائد ثم ارسخه على هامته كرسوخ السجيل على هام أصحاب الفيل اللهم اسقنا غيثا مغيثا مريعا مجللا مسحنفرا هزجا سحا سفوحا طبقا غدقا مثعنجرا صخبا فقال الاعرابى : ياخليفة نوح الطوفان ورب الكعبة دعنى حتى آوى الى جبل يعصمنى من الماء

﴿ قولهم فى الدين ﴾

قال اعرابى : الدين ذل بالنهار وهم بالليل . الأصمعى قال : اختصم أعرابيان الى بعض الولاة فى دين لأحدهما على صاحبه فجعل المدعى عليه يحلف بالطلاق والعتاق فقال له المدعى : دعنى من هذه الايمان واحلف بما أقول لك لاترك الله لك خفا يتبع خفا ولا ظلفا يتبع ظلفا وأحتك من أهلك ومالك حت الورق من الشجران لم يكن لى هذا الحق قبلك فأعطاه حقه ولم يحلف له . الهيثم بن عدى قال : يمين لا يحلف بها اعرابى أبدا لا أورد الله لك صادرة ولا أصدر لك واردة ولا حططت رحلك ولا خلعت نعلك

﴿ قولهم فى النوادر والملح ﴾

الشيبانى قال خرج أبو العباس أمير المؤمنين متنزها بالانبار فأمعن فى نزهته وانتبذ من أصحابه فوافى خباء لاعرابى فقال له الاعرابى : ممن الرجل قال : من كنانة قال : من أى كنانة قال : من أبغض كنانة الى كنانة قال : فأنت اذا من قريش قال : نعم قال : فمن أى قريش قال : من أبغض

قريش الى قريش قال : فأنت اذا من ولد عبد المطلب قال نعم قال : فمن أى ولد عبد المطلب قال : من أبغض ولد عبد المطلب الى ولد عبد المطلب قال : فأنت اذا أمير المؤمنين السلام عليك يا أمير المؤمنين ووثب اليه فاستحسن ما رأى منه وأمر له بجائزة

الشيبانى قال : لما خرج الحجاج متصيدا بالمدينة وقف على اعرابى يرعى ابلا فقال له : يا أعرابى كيف رأيت سيرة أميركم الحجاج قال له الاعرابى : غشوم ظلوم لا حياه الله فقال : فلم لا شكوتموه الى أمير المؤمنين عبد الملك قال : فأظلم وأغشم فبينا هو كذلك اذ أحاطت به الخيل فأوما الى الاعرابى فأخذ وحمل فلما صار معه قال : من هذا قالوا له : الحجاج فحرك دابته حتى صار بالقرب منه ثم ناداه يا حجاج قال : ماتشاء يا اعرابى قال . السر الذى بينى وبينك أحب أن يكون مكتوما قال : فضحك الحجاج وأمر بتخلية سبيله .

محمد بن وضاح يرفعه الى أبى هريرة رضى الله عنه قال : دخل اعرابى المسجد والنبى صلى الله عليه وسلم جالس فقام يصلى فلما فرغ قال : اللهم ارحمنى ومحمدا ولا ترحم معنا أحدا فقال النبى صلى الله عليه وسلم : لقد حجرت واسعا يا اعرابى . قال : وجئ باعرابى الى السلطان ومعه كتاب قد كتب فيه قصته وهو يقول : هاؤم اقرءوا كتابيه فقيل له . يقال هذا يوم القيامة قال : هذا والله شر من يوم القيامة ان يوم القيامة يؤتى بحسناتى وسيئاتى وأنتم جئتم بسيئاتى وتركتم حسناتى

أخذ الحجاج اعرابيا لصا بالمدينة فأمر بضربه فلما قرعه بسوط قال : يارب شكرا حتى ضربه سبعمائة صوت فلقيه أشعب فقال له : أتدرى لم ضربك

الحجاج سبعمائة سوط قال : لماذا قال : لكثرة شكرك ان الله تعالى يقول لئن شكرتم لازيدنكم قال : هذا فى القرآن قال : نم فقال الاعرابى

يارب لاشكر فلا تزدنى   اسأت فى شكرى فاعف عنى

باعد ثواب الشاكرين منى

وغزا اعرابى مع النبى صلى الله عليه وسلم فقيل له : مارأيت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزاتك هذه قال : وضع عنانصف الصلاة وأرجو فى الغزاة الأخرى أن يضع النصف الباقى . جلس اعرابى الى مجلس أيوب السختيانى فقيل له يا اعرابى لعلك قدرى قال : وما القدرى فذكر له محاسن قولهم قال : أنا ذاك ثم ذكر له مايعيب الناس من قولهم فقال : لست بذاك قال فلعلك مثبت قال وما المثبت فذكر محاسنهم فقال أنا ذاك ثم ذكر مايعيب الناس منهم فقال : لست بذاك قال أيوب: هكذا يفعل العاقل يأخذ من كل شئ أحسنه . الاصمعى قال سمع اعرابى جريرا ينشد

كاد الهوى يوم سلمانين يقتلنى   وكاد يقتلنى يوما بنعمان

وكاد يقتلنى يومابذى خُشُب   وكاد يقتلنى يوما بسلمان

فقال هذا رجل افلت من الموت أربع مرات لايموت هذا أبدا . وهذا شبيه قول اعرابية فى ابنها وكان لها ابن شديد العُرام كثير القتال للناس مع ضعف أسر ورقة عظم فواثب مرة فتى من الاعراب فقطع الفتى أنفه فأخذت أمه دية أنفه فحسن حالها بعد فقر مدقع ثم واثب آخر فقطع أذنه فأخذت دية أذنه فزادت فى المال وحسن الحال ثم واثب آخر فقطع شفته فأخذت دية شفته فلما رأت ما صار عندها من الابل والبقر والغنم والمتاع

لجوارح ابنها ذكرته فى أرجوزة لها تقول فيها

احلف بالمروة حلفا والصفا　　انك خير من تفاريق العصا

قلت لاعرابى : ما تفاريق العصا قال : العصا تقطع ساجورا ثم يقطع الساجور أوتادا ثم تقطع الأوتاد شظايا .

حضر اعرابى سفرة سليمان بن عبد الملك فجعل يمر الى ما بين يديه فقال له الحاجب : مما يليك فكل يا اعرابى فقال : من أجدب انتجع فشق ذلك على سليمان وقال للحاجب : اذا خرج عنا فلا يعد الينا

بلغنى عن محمد بن يزيد بن معاوية انه كان نازلا بحلب على الهيثم بن عدى فبعث الى ضيف له من عذرة اعرابى فقال له : حدث أبا عبد الله بما رأيت فى حضر المسلمين من الاعاجيب قال نعم . رأيت أمورا معجبة منها انى دخلت قرية بكر بن عاصم الهلالى واذا أنا بدور متباينة واذا خصاص بيض بعضها الى بعض واذا بها ناس كثير مقبلون ومدبرون وعليهم ثياب حكوا بها أنواع الزهر فقلت لنفسى : هذا أحد العيدين الفطر أو الاضحى ثم رجع الىّ ماعزب من عقلى فقلت : خرجت من أهلى فى عقب صفر وقد مضى العيدان قبل ذلك فبينا أنا واقف أتعجب اذ أتانى رجل فأخذ بيدى فأدخلنى بيتا قد نجد وفى وجهه فرش ممهدة وعليها شاب ينال فرع شعره كتفيه والناس سماطين فقلت فى نفسى : هذا الامير الذى يحكى لنا جلوسه وجلوس الناس حوله فقلت وأنا ماثل بين يديه : السلام عليك أيها الامير ورحمة الله قال : فجذب رجل بيدى وقال : ليس بالامير اجلس قلت : فمن هو قال : عروس قلت . واثكل اماه لرب عروس بالبادية قد رأيته أهون

على أصحابه من قلامة فلم ألبث ان أدخلت الرجال علينا آنات مقدورات من خشب أما ماخف منها فتحمل حملا وأما ماثقل فيدحرج فوضعت امامنا وحلق القوم عليها حلقا ثم اتينا بخرق بيض فالقيت عليها فهممت والله ان أسأل القوم خرقة منها ارقع بها قميصي وذلك انى رأيت لها نسجا متلاحما لا يتبين له سدى ولا لحمة فلما بسط القوم ايديهم اذا هو يتمزق سريعا واذا صنف من الخبز لا اعرفه ثم اتينا بطعام كثير من حلو وحامض وحار وبارد فأكثرت منه وانا لا اعلم مافى عقبه من التخم والبشم ثم اتينا بشراب احمر فى عساس بيض فلما نظرت اليه قلت : لا حاجة لى به لأنى أخاف ان يقتلني وكان الى جانبي رجل ناصح لى احسن الله عنى جزاءه كان ينصحنى بين أهل المجلس فقال لى يا اعرابى انك قد أكثرت من الطعام فان شربت الماء همى بطنك فلما ذكر البطن ذكرت شيئا أوصانى به الاشياخ قالوا : لا تزال حيا مادام بطنك شديدا فاذا اختلف فأوص فلم أزل أتداوى بذلك الشراب ولا أمله حتى دخلني به صلف لا أعرفه من نفسي ولا عهد لى به واقتدار على أمرى وكان الى جانبي الرجل الناصح فجعلت نفسي تحدثني بهتم أسنانه مرة وهشم أنفه أخرى فبينا نحن كذلك هجم علينا شياطين أربعة أحدهم قد علق جعبة فارسية مفتحة الطرفين قد شبكت بالخيوط وقد ألبست قطعة فرو كأنهم يخافون عليها القر ثم بدا الثانى فاستخرج من كمه هنة فوضع طرفها في فيه فصوت فيها ثم جلس على حجزتها فاستخرج منها صوتا مشاكلا بعضه بعضا ثم بدا الثالث وعليه قميص وسخ وقد غرق رأسه بالدهن معه سرتان فجعل يمر احداهما على الاخرى ثم بدا الرابع عليه قميص

قصير وسراويل قصيرة فجعل يقفز صلبه ويهز كتفيه ثم التبط بالارض فقلت . معتوه ورب الكعبة ثم مابرح مكانه حتى كان أغبط القوم عندى ثم أرسلت الينا النساء ان امتعونا من لهوكم فبعثوا بهم اليهن وبقيت الاصوات تدور فى آذاننا وكان معنا فى البيت شاب لا آنة له فعلت الاصوات له بالدعاء فخرج بخشبة فى يده عينها فى صدرها فيها خيوط أربعة فاستخرج من جوانبها عودا فوضعه على أذنه ثم زم الخيوط الظاهرة فلما أحكمها عرك أذنها فنطق فوها فاذا هى أحسن قينة رأيتها قط فاستخفنى حتى قمت من مجلسى فجلست اليه فقلت . بأبى أنت وأمي ماهذه الدابة قال . يا اعرابى هذا البربط قلت فما هذه الخيوط قال . اما الاسفل فزير والذى يليه مثنى والذى يليه مثلث والذى يليه بم فقلت . آمنت بالله .

وحضر اعرابى سفرة سليمان بن عبد الملك فلما أتى بالفالوذج جعل يسرع فيه فقال سليمان : أتدرى ماتاكل يا اعرابى فقال : بلى يا أمير المؤمنين انى لأجد ريقا هنيئا ومزدردا لينا وأظنه الصراط المستقيم الذى ذكره الله فى كتابه قال : فضحك سليمان وقال . أزيدك منه يا اعرابى فانهم يذكرون انه يزيد فى الدماغ قال : كذبوك يا أمير المؤمنين لو كان كذلك لكان رأسك مثل رأس البغل . وحضر سفرة سليمان اعرابى فنظر الى شعرة فى لقمة الاعرابى فقال : أرى شعرة فى لقمتك يا اعرابى قال : وانك لتراعينى مراعاة من يبصر الشعرة فى لقمتى والله لا واكلتك أبدا فقال : استرها يا اعرابى فانها زلة ولا أعود الى مثلها

فى الاجوبة

قال احمد بن عبد ربه : قد مضى قولنا فى كلام الاعراب خاصة ونحن قائلون بعون الله وتوفيقه فى الجوابات التي هى أصعب الكلام كله مركبا وأعزه مطلبا وأغمضه مذهبا وأضيقه مسلكا لان صاحبه يعجل مناجاة الفكرة واستعمال القريحة يروم فى بديهته نقض ما أبرم القائل فى رويته فهو كمن أخذت عليه الفجاج وسدت عليه المخارج قد اعترض الأسنة واستهدف للمرامى لا يدرى ما يقرع له فيتأهب له ولا ما يفجؤه من خصمه فيقرعه بمثله ولا سيما اذا كان القائل قد أخذ بمجامع الكلام فقاده بزمامه بعد ان رأى فيه واحتفل وجمع خواطره واجتهد وترك الرأى يغب حتى يختمر فقد كرهوا الرأى الفطير كما كرهوا الجواب الدبرى فلا يزال فى نسخ الكلام واستئناسه حتى اذا اطمأن شارده وسكن نافره صك به خصمه جملة واحدة ثم قيل له أجب ولا تخطئ واسرع ولا تبطئ فتراه بجواب من غير اناة ولا استمداد يطبق المفاصل وينفذ المقاتل كما يرمى الجندل بالجندل ويقرع الحديد بالحديد فيحل به عراه وينقض به مرائره ويكون جوابه على اكثر كلامه كسحاب لبدت عجاجة فلا شئ أعضل من الجواب الحاضر ولا أعز من الخصم الألد الذى يقرع صاحبه ويسرع منازعه بقول كمثل النار فى الحطب الجزل .

قال أبو الحسن اسرع الناس جوابا عند البديهة قريش ثم بقية العرب وأحسن الجواب كله ما كان حاضرا مع اصابة معنى وايجاز لفظ . وقال رجل

لعَقيل: انك لخائن حيث تركت أخاك وترغب الى معاوية قال: أخون منى والله من سفك دمه بين أخى وابن عمى أن يكون أحدهما أميرا

﴿ جواب ابن عباس رضى الله عنهما لمعاوية وأصحابه ﴾

اجتمعت قريش الشام والحجاز عند معاوية وفيهم عبد الله بن عباس وكان جريئا على معاوية حقارا له فبلغه عنه بعض ماغمه فقال معاوية: رحم الله أبا سفيان والعباس كانا صفيين دون الناس فحفظت الميت فى الحىّ والحى فى الميت استعملك على يا ابن عباس على البصرة واستعمل عبيد الله أخاك على اليمن فلما كان من الامر ما كان هنأتكم ما فى أيديكم ولم أكشفكم عما وعت غرائركم وقلت آخذ اليوم وأعطى غدا وعلمت أن بدء اللؤم يضر بعاقبة الكرم ولو شئت لأخذت بحلاقيمكم وقيأتكم ما أكلتم لا يزال يبلغنى عنكم ما لا تبرك له الابل وذنوبكم الينا أكثر من ذنوبنا اليكم خذلتم عثمان بالمدينة وقتلتم أنصاره يوم الجمل وحاربتمونى بصفين ولعمرى لبنو تيم وعدى أعظم ذنوبا منا اليكم اذ صرفوا عنكم هذا الامر وسنُّوا فيكم هذه السنّة فحتى متى اغضى الجفون على القذى واسحب الذيول على الأذى وأقول لعل الله وعسى ماتقول يا ابن عباس قال: فتكلم ابن عباس فقال: رحم الله أبانا وأباك كانا صفيين متفاوضين لم يكن لأبى من مال الا ما فضل لابيك وكان أبوك كذلك لابى ولكن من هنأ أباك بأخاء أبى أكثر ممن هنأ أبى بأخاء أبيك نصر أبى اباك فى الجاهلية وحقن دمه فى الاسلام واما استعمال على ايانا فلنفسه دون هواه وقد استعملت أنت رجالا

لهواك لا لنفسك منهم ابن الحضرمي على البصرة فقتل وابن بشير بن أرطاة على اليمن فخان وحبيب بن مرة على الحجاز فرد والضحاك بن قيس الفهري على الكوفة فحصب ولو طلبت ماعندنا وقينا أعراضنا وليس الذي يبلغك عنا بأعظم من الذي يبلغنا عنك ولو وضع أصغر ذنوبكم الينا على مائة حسنة لمحقها ولو وضع أدنى عذرنا اليكم على مائة سيئة لحسنها واما خذلنا عثمان فلو لزمنا نصره لنصرناه واما قتلنا أنصاره يوم الجمل فعلى خروجهم مما دخلوا فيه واما حربنا اياك بصفين فعلى تركك الحق وادعائك الباطل واما اغراؤك ايانا بتيم وعدي فلو أردناها ما غلبونا عليها وسكت فقال في ذلك ابن أبي لهب .

كان ابن حرب عظيم القدر في الناس ... حتى رماه بما فيه ابن عباس

مازال يهبطه طورا ويصعده ... حتى استقاد وما بالحق من باس

لم يتركن خطة مما يذلله ... الا كواه بها في فروة الراس

وقال ابن أبي مليكة : مارأيت مثل ابن عباس اذا رأيته رأيت أفصح الناس فاذا تكلم فاعرب الناس واذا أفتى فأفقه الناس مارأيت أكثر صوابا ولا احضر جوابا من ابن عباس . عثمان الحرامي قال : اجتمعت بنو هاشم عند معاوية فأقبل عليهم فقال : يابني هاشم والله ان خيري لكم لممنوح وان بابي لكم لمفتوح ولما نظرت في أمري وأمركم رأيت أمرا مختلفا انكم لترون أنكم أحق بما في يدي مني واذا أعطيتكم عطية فيها قضاء حقكم قلتم أعطانا دون حقنا وقصر بنا عن قدرنا فصرت كالمسلوب والمسلوب لاحمد له وهذا مع انصاف قائلكم واسعاف سائلكم قال : فأقبل عليه ابن عباس

فقال : والله مامنحتنا شيئاً حتى سألناه ولا فتحت لنا بابا حتى قرعناه ولئن قطعت عنا خيرك فالله أوسع منك ولئن أغلقت دوننا بابك لنكفن أنفسنا عنك وأما هذا المال فليس لك منه الا ما لرجل من المسلمين ولنا فى كتاب الله حقان حق فى الغنيمة وحق فى الفئ فالغنيمة ماغلبنا عليه والفئ ما اجتنيناه ولولا حقنا فى هذا المال لم يأتك منا زائر يحمله خف ولا حافر أكفاك أم أزيدك قال : كفانى فانك لا تغر ولا تشج . الشعبى قال : دخل الحسين بن على يوما على معاوية ومعه مولى له يقال له ذكوان وعند معاوية جماعة من قريش فيهم ابن الزبير فرحب معاوية بالحسين وأجلسه على سريره وقال : ترى هذا القاعد يعنى ابن الزبير فانه ليدركه الحسد لبنى عبد مناف فقال ابن الزبير لمعاوية : قد عرفنا فضل الحسين وقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم لكن ان شئت أعلمتك فضل الزبير على أبيك أبى سفيان فعلت فتكلم ذكوان مولى الحسين بن على فقال : يابن الزبير ان مولاى ما يمنعه من الكلام الا أن يكون طلق اللسان رابط الجنان فان نطق نطق بعلم وان صمت صمت بحلم غير أنه كف الكلام وسبق الى السنان فأقرت بفضله الكرام وأنا الذى أقول

فيم الكلام لسابق فى غاية ... والناس بين مقصر ومبلد
ان الذى يجرى ليدرك شأوه ... ينمى بغير مسود ومسدد
بل كيف يدرك نور بدر ساطع ... خير الأنام وفرع آل محمد

فقال معاوية : صدق قولك ياذكوان أكثر الله فى موالى الكرام مثلك فقال ابن الزبير : ان أباعبد الله سكت وتكلم مولاه ولو تكلم لاجبناه

أو لكففنا عن جوابه اجلالاله ولا جواب لهـذا العبد قال ذكوان : هذا العبدخيرمنك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مولى القوم منهم فأنا مولى رسول الله صلى الله عليـه وسلم وأنت ابن العوام بن خويلدفنحن اكرم ولاء وأحسن فعلا قال ابن الزبير : انى لست أجيب هذا فهات ماعنـدك فقال معاوية : قاتلك الله يابن الزبير ما أعياك وأبغاك أتفخر بين يدى أمير المؤمنين وأبي عبـدالله انك أنت المتعدى لطورك الذى لاتعرف قدرك فقس شبرك بفترك ثم تعرف كيف تقع بين عرانين بنى عبد مناف أما والله لئن دفعت فى بحور بنى هاشم وبنى عبدشمس لتقطعنك بأمواجها ثم لتوهنن بك فى اجاجها فما بقاؤك فى البحور اذا غمرتك وفى الامواج اذا بهرتك هنالك تعرف نفسك وتندم على ما كان من جرأتك وتمنى ماأصبحت فيه من أمان وقد حيل بين العَير والنَزوان فأطرق ابن الزبير مليا ثم رفع رأســه فالتفت الى من حوله ثم قال : أسألكم بالله أتعلمون ان أبى حَوارىّ رسول الله صلى الله عليـه وسلم وان أباه أبا سفيان حارب رسول الله صلى الله عليه وسلم وان امى اسماء بنت أبى بكر الصديق وأمه هند آكلة الاكباد وجدى الصديق وجـده المشدوخ ببـدر ورأس الكفر وعمتى خديجة ذات الخطر والحسب وعمته أم جَميل حمالة الحطب وجدتى صفية وجدته حمامة وزوج عمتى خيرولدآدم محمد صلى الله عليه وسلم وزوج عمته شر ولد آدم أبو لهب سيصلى نارا ذات لهب وخالتى عائشة أم المؤمنين وخالته اشق الاشقَين وأنا عبـد الله وهو معاوية قال له معاوية : ويحك يابن الزبير كيف تصف نفسك بما وصفتها والله مالك فى القديم من رياسة ولا فى الحديث من سياسة ولقد قدناك وسدناك

قديما وحديثا لاتستطيع لذلك انكارا ولا عنه فرارا وان هؤلاء الحضور ليعلمون ان قريشا قد اجتمعت يوم الفجار على رياسة حرب بن أمية وان أباك واسرته تحت رايته راضون بامارته غير منكرين لفضله ولا طامعين فى عزله ان أمر أطاعوا وان قال انصتوا فما زالت فينا القيادة وعز الولاية حتى بعث الله عز وجل محمدا صلى الله عليه وسلم فانتخبه من خير خلقه من اسرتى لا أسرتك وبنى أبى لا بنى أبيك فجحدته قريش أشد الجحود وانكرته أشد الانكار وجاهدته أشد الجهاد الا من عصم الله من قريش فما ساد قريشا وقادهم الا أبو سفيان بن حرب فكانت الفئتان تلتقى ورئيس الهدى منا ورئيس الضلالة منا فمهديكم تحت راية مهدينا وضالكم تحت راية ضالنا فنحن الأرباب وأنتم الأذناب حتى خلص الله أبا سفيان بن حرب بفضله من عظيم شركه وعصمه بالاسلام من عبادة الاصنام فكان فى الجاهلية عظيما شأنه وفى الاسلام معروفا مكانه ولقد أعطى يوم الفتح مالم يعط أحد من آبائك وان منادى رسول الله صلى الله عليه وسلم نادي من دخل المسجد فهو آمن ومن دخل دار أبى سفيان فهو آمن وكانت داره حرما لا دارك ولا دار أبيك وأما هند فكانت امرأة من قريش فى الجاهلية عظيمة الخطر وفى الاسلام كريمة الخبر وأما جدك الصديق فبتصديق عبد مناف سمى صديقا لابتصديق عبد العزّى وأما ماذكرت من جدى المشدوخ ببدر فلعمرى لقد دعا الى البراز هو وأخوه وابنه فلو برزت اليه أنت وأبوك ما بارزوكم ولا رأوكم لهم أكفاء كما قد طلب ذلك غيركم فلم يقبلوهم حتي برز اليهم أكفاؤهم من بنى أبيهم فقضى الله مناياهم بأيديهم فنحن قتلنا ونحن

قتلنا وماأنت وذاك وأما عمتك أم المؤمنين فبنا شرفت وسميت أم المؤمنين وخالتك عائشة مثل ذلك وأما صفية فهي ادنتك من الظل ولولاها لكنت ضاحيا وأما ماذكرت من ابن عمك وخال أبيك سيد الشهداء فكذلك كانوا رحمهم الله ونخرهم وارثهم لى دونك ولا نخر لك فيهم ولا ارث بينك وبينهم وأما قولك أنا عبد الله وهو معاوية فقد علمت قريش أينا أجود فى الازم وأحزم فى القدم وامنع للحرم لا والله ماأراك منتهيا حتى تروم من بنى عبد مناف ما رام أبوك فقد طالبهم الذحول وقدم اليهم الخيول وخدعتم أم المؤمنين ولم تراقبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ مددتم على نسائكم السجوف وأبرزتم زوجته للحتوف ومقارعة السيوف فلما التقى الجمعان نكص أبوك هاربا فلم ينجه ذلك ان طحنه أبو الحسين بكلكله طحن الحصيد بأيدى العبيد وأما أنت فأفلت بعد أن خمشتك براثنه ونالتك مخالبه وأيم الله ليقومنك بنو عبد مناف بثقافها أولتصبحن منها صباح أبيك بوادى السباع وما كان أبوك المدهن خدعه ولكنه كما قال الشاعر

تناول سرحان فريسة ضيغم   فقضقضه بالكف منه وحطما

وقال معاوية يوما وعنده ابن الزبير وذكر له الحسين فقال : ان يطلب هذا الامر فقد يطمع فيه من هو دونه وان يتركه يتركه لمن هو فوقه وماأراكم بمنتهين حتى يبعث الله عليكم من لا تعطفه قرابة ولا ترده مودة يسومكم خسفا ويوردكم تلفا قال ابن الزبير : إذا والله نطلق عقال الحرب بكتائب تمور كرجل الجراد حافاتها الأسل : لها دوى كدوى الريح تتبع غطريفا من قريش لم تكن أمه براعية ثلة قال معاوية : أنا ابن هند أطلقت

عقال الحرب وشربت عنفوان المكرع وليس للآكل الا الفلذة ولا للشارب الا الرنق .

قال الحسن بن على لحبيب بن سلمى الفهرى : رب مسير لك في غير طاعة الله قال : أما مسيرى الى أبيك فلا قال : بلى ولكنك أطعت معاوية عن دنيا قليلة فلئن كان قام بك فى دنياك لقد قعد بك فى آخرتك ولو كنت اذ فعلت شراً قلت خيراً كنت كما قال الله عز وجل : خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا ولكنك كما قال الله : بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون

قدم عبد الله بن جعفر على عبد الملك بن مروان فقال له يحيي بن الحكم مافعلت خبثة فقال : سبحان الله يسميها رسول الله صلى الله عليه وسلم طيبة وتسميها خبثة لقد اختلفتما فى الدنيا وستختلفان فى الآخرة قال يحيي : لأن أموت بالشام أحب إلىّ من أن أموت بها قال : اخترت جوار النصارى على جوار رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يحيي : ماتقول فى على وعثمان قال : أقول ماقاله من هو خير منى فيمن هو شر منهما ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم

﴿ مجاوبة بين معاوية وأصحابه ﴾

قال معاوية يوما وعنده الضحاك بن قيس وسعيد بن العاص وعمرو بن العاص : ماأعجب الأشياء قال الضحاك بن قيس : اكداء العاقل واجداء الجاهل وقال سعيد بن العاص : أعجب الأشياء مالم ير مثله وقال عمرو بن العاص أعجب الأشياء غلبة من لاحق له ذا الحق على حقه وقال معاوية

أعجب من هذا أن تعطى من لاحق له ماليس له بحق من غير غلبة

وقال معاوية لابن الزبير : تنازعني هذ الأمر كأنك أحق به مني قال : لم لا أكون أحق به منك يامعاوية وقد اتبع أبي رسول الله صلى الله عليه وسلم على الأيمان واتبع الناس أباك على الكفر قال معاوية : غلطت يابن الزبير بعث الله ابن عمي نبيا فدعا أباك فأجابه فما أنت الاتابع لي ضالا كنت أو مهديا

العتبي قال دعا معاوية مروان بن الحكم فقال له : اشر عليّ في الحسين قال : تخرجه معك الى الشام فتقطعه عن أهل العراق وتقطعهم عنه فقال : اردت والله ان تستريح منه وتبتليني به فان صبرت عليه صبرت على ماأكره وان أسأت اليه كنت قد قطعت رحمه فأقامه وبعث الى سعيد بن العاص فقال له : ياأباعثمان أشر عليّ في الحسين فقال : والله انك ماتخاف الحسين الا على من بعدك وأنك لتخلف له قرنا ان صارعه ليصرعنه وان سابقه ليسبقنه فذر الحسين منبت النخلة يشرب من الماء ويصعد في الهواء ولا يبلغ الى السماء قال : فما غيبك عني يوم صفّين قال : تحملت الحرم وكفيت الحزم وكنت قريبا لو دعوتنا لأجبناك ولو ثُلمت لرقعناك قال معاوية : يأهل الشام هؤلاء قومي وهذا كلامهم

﴿ مجاوبة بين بني أمية ﴾

قال : لما أَخرجَ أهلُ المدينة عمرو بن سعيد الأشدقَ وكان وليهم بعد الوليد بن عُتبةَ بنِ أبي سفيان قال عمرو بن سعيد لمعاوية : ان الوليد بنَ عُتبة

هو أمر أهل المدينة باخراجي فأرسل اليه وتوثقه فأرسل اليه معاوية فلما دخل عليه قال له عمرو : أوليد أنت أمرت باخراجي قال : لا ورحمك أبا أمية ولا أمرت أهل الكوفة باخراج أبيك بل كيف أطاعني أهل المدينة فيك الا أن تكون عصيت الله فيهم انك لتحل عرى ملك شديدة عقدتها وتمترى اخلاف فيقة سريعة درتها وما جعل الله صالحا مصلحا كفاسد مفسد .

جلس يوما عبد الملك بن مروان وعند رأسه خالد بن عبد الله بن أسيد وعند رجليه أمية بن عبد الله بن أسيد وأدخلت عليه الاموال التى جاءت من قبل الحجاج حتى وضعت بين يديه فقال : هذا والله التوفير وهذه الامانة لا مافعل هذا وأشار الى خالد استعملته على العراق فاستعمل كل ملط غاش فأدوا اليه العشرة واحدا وأدى الى من العشرة واحدا واستعملت هذا على خراسان وأشار الى أمية فأهدى الى برذونين حطمين فان استعملتكم ضيعتم وان عزلتكم قلتم : استخف بنا وقطع أرحامنا فقال خالد بن عبد الله : استعملتنى على العراق وأهله رجلان سامع مطيع مناصح وعدو مبغض مكاشح فاما السامع المطيع المناصح فانا جزيناه ليزداد ودا الى وده وأما المبغض المكاشح فانا دارينا ضغنه وسللنا حقده وكثرنا لك المودة فى صدور رعيتك وان هذا جبى الأموال وزرع لك البغضاء فى قلوب الرجال فيوشك أن تنبت البغضاء فلا أموال ولا رجال فلما خرج ابن الاشعث قال عبد الملك هذا والله ماقال خالد .

لما عزل عثمان عمرو بن العاص عن مصر وولاها عبد الله بن أبى سرح دخل عليه عمرو وعليه جبة فقال له : ماحشو جبتك ياعمرو قال : أنا قال : قد

علمت أنك فيها ثم قال : أشعرت ياعمرو ان اللقاح دَرَّتْ بعدك البانها بمصر قال : لأنكم أعجفتم أولادها

وقع بين ابن لعمر ابن عبد العزيز وابن لسليمان بن عبد الملك كلام فجعل ابن عمر يذكر فضل أبيه قال له ابن سليمان : ان شئت فأقلل . وان شئت فأكثر ما كان أبوك الا حسنة من حسنات أبي لان سليمان هو الذي ولى عمر بن عبد العزيز . وقال الحجاج لرجل من الخوارج : والله انك من قوم أبغضهم قال له : أدخل الله أشدنا بغضا لصاحبه الجنة : وقال الحجاج لامرأة من الخوارج والله لأعدنكم عداً ولاحصدنكم حصداً قالت له : الله يزرع وانت تحصد فأين قدرة المخلوق من الخالق . وأتى الحجاج بامرأة من الخوارج فقال لاصحابه : ماتقولون فيها قالوا : عاجلها القتل أيها الامير قالت الخارجية : لقد كان وزراء صاحبك خيرا من وزرائك ياحجاج قال لها : ومن صاحبي قالت: فرعون استشارهم في موسى فقالوا : أرجه وأخاه . قال الاشعث بن قيس لشريح القاضي : لشد ما ارتفعت قال : فهل رأيت ذلك ضرك قال : لا قال: فأراك تعرف نعمة الله عليّ وتجهلها على نفسك . نازع محمد بن الفضل بعض قرابته في ميراث فقال له : يازنديق قال له : ان كان أبي كما تقول وانا مثله فلا يحل لك أن تنازعني هذا الميراث اذ كان لا يرث دين دينا .

وتكلم الناس عند معاوية في يزيد ابنه اذ أخذ له البيعة وسكت الأحنف فقال له : مالك لا تقول أبا بحر قال : أخافك ان صدقت وأخاف الله ان كذبت . قال معاوية يوماً : أيها الناس ان الله فضل قريشا بثلاث فقال لنبيه عليه الصلاة والسلام : وأنذر عشيرتك الأقربين فنحن عشيرته

وقال : وانه لذكر لك ولقومك فنحن قومه وقال : لأيلاف قريش ايلافهم رحلة الشتاء والصيف فليعبدوا رب هذا البيت الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف ونحن قريش فأجابه رجل من الانصار فقال : على رِسْلك يامعاوية فان الله يقول : وكذب به قومك وأنتم قومه وقال : ولما ضرب ابن مريم مثلا اذا قومك منه يصدون وأنتم قومه وقال الرسول عليه الصلاة والسلام : يارب ان قومى اتخذوا هذا القرآن مهجورا وأنتم قومه ثلاثة بثلاثة ولو زدتنا لزدناك فأفحمه . وقال معاوية لرجل من اليمن ما كان أجهلَ قومك حين ملكوا عليهم امرأةً فقال : أجهلُ من قومي قومُك الذين قالوا حين دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم ولم يقولوا : اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فاهدنا اليه

﴿ مجاوبة الامراء والرد عليهم ﴾

قال معاوية لجارِيَةَ بنِ قُدامة : ما كان أهونَكَ على أهلك اذ سَمَّوكَ جارية قال : ما كان أهونَكَ على أهلك اذ سَمَّوكَ معاوية وهى الانثى من الكلاب قال : لا أم لكَ قال : أمى ولدتنى للسيوف التى لقيناك بها فى أيدينا قال : انك لتهدِّدُنى قال : انك لم تفتحنا قسرا ولم تملكنا عنوة ولكنك أعطيتنا عهدا وميثاقا وأعطيناك سمعا وطاعة فان وفيت لنا وفينا لك وان فزعت الى غير ذلك فانا تركنا وراءنا رجالا شدادا وألسنة حدادا قال له

معاوية : لا كثر الله فى الناس أمثالك قال جارية : قل معروفا وراعنا فان شر الدعاء المحتطب .

عدد معاوية بن أبى سفيان على الأحنف ذنوبا فقال : ياأمير المؤمنين لم ترد الامور على أعقابها أما والله ان القلوب التى أبغضناك بها لبين جوانحنا والسيوف التى قاتلناك بها على عواتقنا ولئن مددت فترا من غدرٍ لنمدَّنَّ باعا من ختر ولئن شئت لتُصَفِّيَنَّ كدرَ قلوبِنا بصفو حلمك قال : فانى أفعل .

قال معاوية لعَدِىّ بن حاتم : مافعلت الطرفاتُ ياأبا طريف يعنى أولاده قال : قُتِلوا قال ماأنصفك ابنُ أبى طالب اذ قتل بنوك معه وبقى له بنوه قال : لئن كان ذلك لقد قتل هو وبقيت أنا بعده قال له معاوية : ألم تزعم أنه لايختنق فى قتل عثمان عنزان قال : قد والله خنق فيه التيس الأكبر قال معاوية : اما انه قد بقيتْ من دمه قطرةٌ ولا بدأن أتبعها قال عدى : لاأبالك شِم السيف فان سل السيف نسل السيف فالتفت معاوية الى حبيب بن سلمة فقال : اجعلها فى كتابك فانها حكمة .

الشيبانى عن أبى الحباب الكندى عن أبيه ان معاوية بن أبى سفيان بينا هو جالس وعنده وجوه الناس اذدخل رجل من أهل الشام فقام خطيبا فكان آخر كلامه ان لعن عليا فأطرق الناس وتكلم الاحنف فقال : يا أمير المؤمنين ان هذا القائل ماقال آنفا لو يعلم ان رضاك فى لعن المرسلين لعنهم فاتق الله ودع عنك عليا فقد لقى ربه وأفرد فى قبره وخلا بعمله وكان والله المبرز سيفه الطاهر ثوبه الميمون نقيبته العظيم مصيبته فقال له معاوية: يا أحنف لقد أغضيت العين على القذى وقلت ما ترى وايم الله لتصعدن

المنبر فتلعننه طوعا أو كرها فقال له الأحنف : ياأمير المؤمنين ان تعفني فهو خير لك وان تجبرني على ذلك فوالله لاتجرى فيه شفتاى أبداً قال : قم فاصعد المنبر قال الاحنف : أما والله مع ذلك لأنصفنك فى القول والفعل قال : وما أنت قائل ياأحنف ان أنصفتنى قال : أصعد المنبر فأحمد الله بما هو أهله وأصلي على نبيه صلى الله عليه وسلم ثم أقول : أيها الناس ان أمير المؤمنين معاوية أمرني ان ألعن علياً وان عليا ومعاوية اختلفا فاقتتلا وادعى كل واحد منهما انه بغى عليه وعلى فئته فاذا دعوت فأمنوا رحمكم الله ثم أقول : اللهم العن أنت وملائكتك وأنبياؤك وجميع خلقك الباغى منهما على صاحبه والعن الفئة الباغية اللهم العنهم لعنا كثيراً أمنوا رحمكم الله يا معاوية لا أزيد على هذا ولا أنقص منه حرفا ولو كان فيه ذهاب نفسى فقال معاوية : اذاً نعفيك ياأبا بحر .

وقال معاوية لعقيل بن أبى طالب : ان علياً قد قطعك ووصلتك ولا يرضينى منك الا أن تلعنه على المنبر قال : افعل فأصعد فصعد ثم قال بعد ان حمد الله وأثنى عليه : أيها الناس ان أمير المؤمنين معاوية أمرني أن ألعن على بن أبى طالب فالعنوه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ثم نزل فقال له معاوية : انك لم تبين أبا يزيد من لعنت بينى وبينه قال : والله لازدت حرفا ولانقصت آخر والكلام الى نية المتكلم .

الهيثم بن عديّ قال : قال معاوية لأبى الطُفيل : كيف وجدك على علىّ قال : وجد ثمانين مثكلا قال : فكيف حبك له قال : حب أم موسى والى الله أشكو التقصير . وقال مرة أخرى : أبا الطفيل قال : نعم قال : أنت من

قتلة عثمان قال : لا ولكن ممن حضره ولم ينصره قال : ومامنعك من نصره قال : لم ينصره المهاجرون والانصار فلم أنصره قال : لقد كان حقه واجبا وكان عليهم ان ينصروه قال : فما منعك من نصرته يا أمير المؤمنين وأنت ابن عمه قال : أوماطلبي بدمه نصرة له فضحك أبو الطفيل وقال : مثلك ومثل عثمان كما قال الشاعر :

لأعرفنك بعد الموت تندبني وفى حياتى مازودتني زادا

دخل زيد بن عليّ على هشام بن عبد الملك فلم يجد موضعا يقعد فيه فعلم أن ذلك فعل به على عمد فقال : يا أمير المؤمنين انه لا يكبر أحد فوق تقوى الله ولا يصغر دون تقوى الله قال له هشام : بلغنى أنك تحدث نفسك بالخلافة ولا تصلح لها انك ابن أمة قال زيد : أما قولك انى أحدث نفسى بالخلافة فلا يعلم الغيب الا الله وأما قولك انى ابن أمة فهذا اسماعيل بن ابرهيم خليل الرحمن بن أمة من صلبة خير البشر محمد صلى الله عليه وسلم واسحق بن حرة أخرج من صلبه القردة والخنازير وعبد الطاغوت فلما خرج من عنده قال : ماأحب أحد قط الحياة الاذل قال له حاجبه : لا يسمع هذا الكلام منك أحد وقال زيد بن على :

شرده الخوف وأزرى به كذاك من يكره حر الجلاد
محتفى الرجلين يشكو الوجا تقرعه أطراف مَرْوٍ حداد
قد كان له فى الموت راحة والموت حتم فى رقاب العباد

ثم خرج بخراسان فقتل وصلب فى كناسة

دخل رجل من قيس على عبد الملك بن مروان فقال : زبيرى والله

لايحبك قلبي أبدا قال : ياأمير المؤمنين انما يجزع من فقد الحب النساء ولكن عدل وانصاف . وقال عمر بن الخطاب لأبي مريم الحنفي قاتل زيد بن الخطاب والله لايحبك قلبي أبداً حتى تحب الأرض الدم قال : ياأمير المؤمنين فهل تمنعني لذلك حقا قال : لا قال : فحسبي . دخل يزيد بن مسلم على سليمان بن عبد الملك فقال : على امرئ أوطأك رسنه وسلطك على الأمة لعنة الله قال : ياأمير المؤمنين انك رأيتني والأمر مُدْبِرٌ عني ولو رأيتني والامر مقبل على لعظم فى عينك ما استصغرتَ منى قال : أتظن الحجاج استقر فى قعر جهنم أم هو يهوى فيها قال : ياأمير المؤمنين ان الحجاج يأتى يوم القيامة بين أبيك وأخيك فضعه من النار حيث شئت . وقال مروان بن الحكم لزفر بن الحارث : بلغنى أن كندة تدعيك قال : لا خير فيمن لايتقى رهبة ولا يدعى رغبة . قال مروان بن الحكم للحسن بن دُلجة : انى أظنك أحمق قال : مايكون الشيخ اذا أعمل ظنه . وقال مروان لحُوَيطب بن عبد العزى وكان كبيرا مسنا : أيها الشيخ تأخرَ اسلامك حتى سبقك الاحداث فقال : الله المستعان والله لقد هممت بالاسلام غير مرة كل ذلك يعوقنى عنه أبوك وينهانى ويقول يضع من قدرك وتترك دين آبائك لدين مُحدَثٍ وتصير تابعاً فسكت مروان . جلس معاوية يبايع الناس على البراءة من على فقال له رجل من بنى تميم : ياأمير المؤمنين نطيع أحياءكم ولا نبرأ من موتاكم فالتفت معاوية الى زياد فقال : هذا رجل فاستوص به . قال معاوية يوما : يامعشر الأنصار لم تطلبون ماعندى فوالله لقد كنتم قليلا معي كثيرا مع على ولقد فللتم حدى يوم صفين حتى رأيت المنايا تلظى من أسنتكم ولقد هجوتمونى

بأشد من وخز الأسل حتى اذا أقام الله مناماحاولتم ميله قلتم : ارع فيناوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم هيهات أبى الخبير العذر فأجابه قيس بن سعد قال : أما قولك جئناك نطلب ماعندك فبالاسلام الكافى فقدما سواه لا ماتمتّ به من الاحزاب وأما قلنا حدك يوم صفين فأمر لانعتذرمنه وانما عداوتنا لك فلو شئت كففتها عنك وأما هجاؤنا اياك فقول يثبت حقه ويزول باطله وأما وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن يؤمن بها يحفظها من بعده فدونك أمرك يامعاوية فانما مثلك كما قال الشاعر

يالك من قبرة بمعمر خلالكِ الجو فبيضى واصفرى

مر عمر بن الخطاب بالصبيان يلعبون وفيهم عبد الله بن الزبير ففروا وثبت ابن الزبير فقال له عمر: كيف لم تفر مع أصحابك قال : لم أجترم فأخافك ولم يكن بالطريق من ضيق فأوسع لك . وقال عبدالله بن الزبير لعدى بن حاتم متى فقئت عينك قال : يوم قتل أبوك وهربت عن خالتك وانا للحق ناصر وأنت له خاذل وكان فقئت عينه يوم الجمل . كان المسور بن مخرمة جليلا نبيلا وكان يقول فى يزيد بن معاوية : انه يشرب الخمر فبلغه ذلك فكتب الى عامله بالمدينة أن يجلده الحد ففعل فقال المسور فى ذلك

ايشربها صرفا يفض ختامها أبو خالد ويجلد الحد مسور

دخل عتبة بن عبد الرحمن بن الحرث بن هشام على خالد بن عبد الله القسرى بعد حجاب شديد وكان عتبة رجلا سخيا فقال له خالد يعرض به : ان ههنا رجالا يداينون فى أموالهم فاذا فنيت يداينون فى اعراضهم فعلم القرشى انه يعرض به فقال : أصلح الله الاميران رجالا تكون أموالهم أكثر

من مروءاتهم فأولئك تبقى أموالهم ورجال تكون مروءاتهم أكثر من أموالهم فاذا نفدت ادّانوا على سعة ما عند الله فخجل خالد وقال : اما انك منهم ما علمت . وقال المنذر بن الجارود العبدى لعمرو بن العاص : أى رجل أنت لو لم تكن أمك ممن هى قال : احمد الله اليك لقد فكرت فيها البارحة فجعلت انقلها فى قبائل العرب فما خطرت لى عبد القيس ببال وقال شداد الحارثى : لقيتُ أسود بالبادية فقلت لمن أنت يا أسود قال لسيد الحى يا أصلع قلت : ما أغضبك من الحق قال لى : الحق أغضبك قلت : أو لست بأسود قال : أولستَ بأصلع . وكان رجل يحدث بأخبار بنى اسرائيل فقال له الحجاج بن خَيْثمة كيف كان اسم بقرة بنى اسرائيل قال : خيثمة فقال له رجل من ولد أبى موسى الاشعرى : أين وجدت هذا قال : فى كتاب عمرو بن العاص . بعث بلال بن أبى بردة فى ابن أبى علقمة الممرور فلما أتى قال : أتدرى لم بعثتُ اليك قال : لا أدرى قال : بعثت اليك لاضحك بك قال : لقد ضحك أحد الحكمين من صاحبه يعرض له بجده أبى موسى فغضب عليه بلال وأمر به الى الحبس فكلمه الناس وقالوا : ان المجنون لا يعاقب ولا يحاسب فأمر باطلاقه وأن يؤتى به اليه فأتى به فى يوم سبت وفى كمه طرائف أتحف بها فى الحبس فقال له بلال : ما هذا الذى فى كمك قال : من طرائف الحبس قال : ناولنى منها قال : هو يوم السبت ليس يعطى فيه ولا يؤخذ يعرض بعمة كانت له من اليهود . خرج سعيد بن هشام بن عبد الملك يوما بحمص فى يوم مطر عليه طيلسان وقد

كاد يمس الأرض فقال له رجل وهو لا يعرفه . أفسدت ثوبك أبا عبد الله قال : ومايضرك قال : وددت أنك وهو فى النار قال : وما ينفعك . لما قدم عبد الملك بن مروان المدينة نزل دار مروان فمر الحجاج بخالد بن يزيد ابن معاوية وهو جالس فى المسجد وعلى الحجاج سيف محلى وهو يخطر متبخترا فى المسجد فقال له رجل من قريش : ماهذه التخطارة فقال خالد : بخ بخ هذا عمرو بن العاص فسمعه الحجاج فمال اليه فقال : قلت هذا عمرو بن العاص والله ماسرنى ان العاصى ولدنى ولا ولدته ولكن ان شئت أخبرتك من أنا أنا ابن الأشياخ من ثقيف والعقائل من قريش والذى ضرب مائة ألف بسيفه هذا كلهم يشهد على أبيك بالكفر وشرب الخمر حتى أقروا أنه خليفة ثم ولى وهو يقول : هذا عمرو بن العاص . قال رجل من بنى أبى لهب لوهب بن منبه : ممن الرجل قال : رجل من اليمن قال : فما فعلت أمكم بلقيس قال : هاجرت مع سليمان لله رب العالمين وأمكم حمالة الحطب فى جيدها حبل من مسد . وقال رجل لابن شبرمة من عندنا خرج العلم اليكم قال : نعم ثم لم يرجع اليكم . وقال رجل من العرب: رأيت البارحة الجنة فى منامى فرأيت جميع مافيها من القصور فقلت : لمن هذه فقيل لى للعرب قال له رجل من الموالى : اصعدت الغرف قال لا قال : تلك لنا . قال معاوية لعبد الله بن عامر ان لى اليك حاجة قال : بحاجة أقضيها ياأمير المؤمنين فسل حاجتك قال : أريد أن تهب لى دورك وضياعك بالطائف قال : قد فعلت قال : وصلتك رحم فسل حاجتك قال : حاجتى اليك أن

تردها علىّ ياأمير المؤمنين قال : قد فعلت

وقال رجل لثمامة بن أشرس : ان لى اليك حاجة قال : وأنا لى اليك حاجة قال : وما حاجتك قال : فتقضيها قال : نعم فلما توثق منه قال : فان حاجتى اليك أن لا تسألنى حاجة . قال عبد الملك بن الحجاج : لو كان رجل من ذهب لكنتهُ قال له رجل من قريش : وكيف ذلك قال : لم تلدنى أمة بينى وبين آدم ماخلا هاجر فقال له : لولا هاجر لكنت كلبا من الكلاب . تنازع الزبير بن العوام وعثمان بن عفان فى بعض الأمر فقال الزبير : أنا ابن صفيةَ قال عثمان : هى أدنتك من الظل ولولا ذاك لكنت ضاحيا . سأل رجل من قريش رجلا من بنى قيس بن ثعلبة ممن أنت قال : من ربيعة قال له القرشى : لاأثر لكم ببطحاء مكة قال القيسى : آثارنا فى اكناف الجزيرة مشهورة ومواقفنا فى يوم ذى قار معروفة فاما مكة فسواء العاكف فيه والباد كما قال الله تعالى فأفحمه . قدم اعرابى البصرة فدخل المسجد الجامع وعليه عمامة قد كورها على رأسه فرمى بطرفه يمنة ويسرة فلم ير فتية أحسن وجوها ولا أظهر زيا من فتية حضروا حلقة عتبة المخزومى فدنا منهم وفى الحلقة فرجة فطبقها فقال له عتبة : ممن أنت ياأعرابى قال : من مذحج قال : من زيدها الاكرمين أو من مرادها الاطيبين قال : لست من زيدها ولا من مرادها ولكنى من حماة أعراضها وزهرة رياضها بنى زبيد قال : فأفحم عتبة حتى وضع قلنسوته عن رأسه وكان أصلع فقال له الاعرابى : فأنت ياأصلع ممن أنت قال : أنا رجل من قريش قال : فمن بيت نبوتها أو من بيت مملكتها قال : من ريحانتها بنى مخزوم

قال والله لو تدرى لم سُميتْ بنو مخزوم ريحانة قريش ما فاخرت بها أبدا انما سميت ريحانة قريش لخَور رجالها ولين نسائها قال عتبة : والله لا نازعت اعرابيا بعدك أبدا . قال أحمد بن أبى دُوَاد : دخلت على الواثق فقال : مازال قوم اليوم فى ثلبك ونقصك فقلت :ياأمير المؤمنين لكل امرىءٍ منهم ما اكتسب من الاثم والذى تولى كِبْره منهم له عذاب عظيم فالله ولىُّ جزائه وعقاب أمير المؤمنين من ورائه وما ضاع امرؤ أنت حافظه ولا ذل من كنت ناصره فماذا قلت لهم يا أمير المؤمنين قال يا أبا عبدالله قلت :

وسعى الى بعيب عزة نسوة   جعل المليك خدودهن نعالها

وقال أبو العيناء الهاشمى قلت لابن أبى دواد ان قوما تضافروا على قال : يد الله فوق أيديهم قلت : انهم جماعة قال كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين قلت : ان لهم مكرا قال : ولا يحيق المكر السىء الا بأهله قال أبو العيناء فحدثت به أحمدَ بن يوسف الكاتبَ فقال مارى ابن أبى دواد الا أن القرآن انما أنزل عليه

الخطب

قال أحمد بن محمد بن عبد ربه قد مضى قولنا فى الاجوبة وتباين الناس فيها بقدر عقولهم ومبلغ فطنهم وحضور أذهانهم ونحن قائلون بعون الله وتوفيقه فى الخطب يتخير لها الكلام وتفاخرت بها العرب فى مشاهدهم ونطقت بها الأئمة على منابرهم وشهرت بها فى مواسمهم وقامت بها على رءوس خلفائهم وتباهت بها فى أعيادهم ومساجدهم ووصلتها بصلواتهم وخوطب بها العوام

واستجزلت لها الالفاظ وتخيرت لها المعانى

اعلم ان جميع الخطب على ضربين منها الطوال ومنها القصار ولكل ذلك موضع يليق به ومكان يحسن فيه . فأول مانبدأ به من ذلك خطب النبي صلى الله عليه وسلم ثم السلف المتقدمين ثم الجلة من التابعين والجلة من الخلفاء الماضين والفصحاء المتكلمين على ماسقط الينا ووقع عليه اختيارنا ثم نسمح بصدر من خطب البادية وقول الاعراب خاصة لمعرفتهم بداء الكلام ودوائه وموارده ومصادره . قال عبدالملك بن مروان لخالد بن سلمة القرشي المخزومى : من أخطب الناس قال : انا قال : ثم من قال : شيخ جذام يعنى رَوح ابن زِنباع قال: ثم من قال : أُخَيفش ثقيف يعنى الحجاج قال ثم من قال : أمير المؤمنين . وقال معاوية لما خطب الناس عنده فا كثروا : والله لارمينكم بالخطيب المصقع قم يا زياد . وقال محمد كاتب المهدى وكان شاعرا راوية وطالبا للنحو علامة قال : سمعت أبا داود يقول وجرى شئ من ذكر الخطب وتحبير الكلام فقال : تلخيص المعانى رفق والاستعانة بالغريب عجز والتشادق فى غير أهل الباديه نقص والنظر فى عيون الناس عىّ ومسح اللحية هلك والخروج عما بنى عليه الكلام اسهاب . قال وسمعته يقول : رأس الخطابة الطبع وعمودها الدربة وحليها الاعراب وبهاؤها تحبير اللفظ والمحبة مقرونة بقلة الاستكراه وانشدنى بيتا له فى خطباء اياد

يرمون بالخطب الطوال وتارة وحى الملاحظ خيفة الرقباء

وأنشدنى فى عىّ الخطيب واستعانته بمسح العُثنون وفتل الأصابع

ملئٌ ببُهر والتفات وسعلة ومسحة عثنون وفتل الأصابع

مر بشر بن المعتمر بابرهيم بن جبلة بن مخرمة السكوني الخطيب وهو يعلم فتيانهم الخطابة فوقف بشر يستمع فظن ابرهيم انه انما وقف ليستفيد أو يكون رجلا من النظارة فقال بشر : اضربوا عما قال صفحا واطووا عنه كشحا ثم دفع اليهم صحيفة من تنميقه وتحبيره فيها خذ من نفسك ساعة نشاطك وفراغ بالك واجابتها اياك فان نفسك تلك الساعة أكرم جوهرا وأشرف حسبا وأحسن في الاستماع وأحلى في الصدور وأسلم من فاحش الخطا وأجلب لكل عين من لفظ شريف ومعنى بديع واعلم ان ذلك أجدى عليك مما يعطيك يومك الاطول بالكد والمطاولة والمجاهدة بالتكليف والمعاودة ومهما أخطاك لم يخطئك أن يكون مقبولا قصدا وخفيفا على اللسان سهلا وكما خرج من ينبوعه ونجم من معدنه واياك والتوعر فان التوعر يسلمك الى التعقيد والتعقيد هو الذي يستهلك معانيك ويشين ألفاظك ومن أذاع معنى كريما فليلتمس له لفظا كريما فان حق المعنى الشريف اللفظ الشريف ومن حقها أن تصونها عما يفسدها ويهجنها وعما تعود من أجله الى أن تكون اسوأ حالا منك قبل أن تلتمس اظهارها وترهن نفسك بملابستها وقضاء حقها فكن في ثلاثة منازل فأول ذلك أن يكون لفظك رشيقا عذبا أو فخما سهلا ويكون معناك ظاهرا مكشوفا وقريبا معروفا أما عند الخاصة ان كنت للخاصة قصدت وأما عند العامة ان كنت للعامة أردت والمعنى ليس يتضع أن يكون من معاني العامة وانما مدار الامر على الشرف مع الصواب واحراز المنفعة مع موافقة الحال وما يجب لكل مقام من المقال وكذلك اللفظ العامي والخاصي فان أمكنك أن

تبلغ من بيان لسانك وبلاغة لفظك ولطف مداخلك وقدرك فى نفسك على أن تفهم العامة معانى الخاصة وتكسوها الالفاظ المتوسطة التي لاتلطف عن الدهاء ولا تجفو عن الاكفاء فأنت البليغ التام فقال له ابرهيم بن جبلة : جعلت فداك أنا أحوج الى تعلمى هذا الكلام من هؤلاء الغلمة

﴿ خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع ﴾

ان الحمد لله نحمده ونستغفره ونتوب اليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله أوصيكم عباد الله بتقوى الله وأحثكم على طاعة الله وأستفتح بالذى هو خير أما بعد أيها الناس اسمعوا منى أبين لكم فانى لا أدرى لعلى لا القاكم بعد عامى هذا فى موقفى هذا أيها الناس ان دماءكم وأموالكم عليكم حرام الى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا ألا هل بلغت اللهم اشهد فمن كانت عنده امانة فليؤدها الى الذي ائتمنه عليها وان ربا الجاهلية موضوع وان أول ربا ابدأ به ربا عمى العباس بن عبد الطلب وان دماء الجاهلية موضوعة وان أول دم أبدأ به دم عامر بن ربيعة بن الحرث بن عبد المطلب وان مآثر الجاهلية موضوعة غير السدانة والسقاية والعَمَدُ قوَد وشبه العمد ما قتل بالعصا والحجَر ففيه مائة بعير فمن زاد فهو من أهل الجاهليه أيها الناس ان الشيطان قد يئس أن يعبد فى أرضكم هذه ولكنه رضى أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحقرون من أعمالكم أيها

الناس انما النسئ زيادة فى الكفر يُضلوا به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله وان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض وان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً فى كتاب الله يوم خلق السموات والارض منها أربعة حرم ثلاثة متواليات وواحد فرد ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب الذى بين جمادى وشعبان الاهل بلغت اللهم اشهد أيها الناس ان لنسائكم عليكم حقا وان لكم عليهن حقا لكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم غيركم ولا يدخلن أحدا تكرهونه بيوتكم الا بأذنكم ولا يأتين بفاحشة فان فعلن فان الله قد أذن لكم ان تعضلوهن وتهجروهن فى المضاجع وتضربوهن ضربا غير مبرح فان انتهين واطعنكم فعليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف وانما النساء عندكم عوانٍ لا يملكن لأنفسهن شيئا أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله فاتقوا الله فى النساء واستوصوا بهن خيرا أيها الناس انما المؤمنون اخوة فلا يحل لامرئ مال أخيه الا عن طيب نفسه الاهل بلغت اللهم اشهد فلا ترجعوا بعدى كفارا يضرب بعضكم أعناق بعض فانى قد تركت فيكم ما ان أخذتم به لم تضلوا كتاب الله وأهل بيتى ألا هل بلغت اللهم اشهد أيها الناس ان ربكم واحد وان أباكم واحد كلكم لآدم وآدم من تراب أكرمكم عند الله أتقاكم ليس لعربى على عجمى فضل الا بالتقوى الاهل بلغت قالوا : نعم قال : فليبلغ الشاهد منكم الغائب أيها الناس ان الله قسم لكل وارث نصيبه من الميراث ولايجوز لوارث وصية فى اكثر من الثلث والولد للفراش وللعاهر الحجر من ادعى الى غير أبيه أو تولى غير

مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

﴿ وخطب أبو بكر يوم السقيفة ﴾

أراد عمر الكلام فقال أبو بكر: على رِسلك ثم حمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس نحن المهاجرون أول الناس اسلاما وأكرمهم احسابا وأوسطهم دارا وأحسنهم وجوها وأكثر الناس ولادة فى العرب وأمسهم رحما برسول الله صلى الله عليه وسلم أسلمنا قبلكم وقدمنا فى القرآن عليكم فقال تبارك وتعالى: والسابقون الأولون من المهاجرين والانصار الذين اتبعوهم باحسان فنحن المهاجرون وأنتم الانصار اخواننا فى الدين وشركاؤنا فى الفئ وأنصارنا على العدو آويتم وواسيتم فجزاكم الله خيرا فنحن الامراء وأنتم الوزراء لا تدين العرب الا لهذا الحى من قريش فلا تَنفَسوا على اخوانكم المهاجرين ما منحهم الله من فضله

وخطب أيضا حمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس انى قد وليت عليكم ولست بخيركم فان رأيتمونى على حق فأعينونى وان رأيتمونى على باطل فسددونى أطيعونى ما أطعت الله فيكم فاذا عصيته فلا طاعة لى عليكم ألا ان أقواكم عندى الضعيف حتى آخذ الحق له وأضعفكم عندى القوى حتى آخذ الحق منه أقول قولى هذا وأستغفروا الله لى ولكم

﴿ خطبة لعمر بن الخطاب ﴾

أيها الناس انه قد أتى على زمان وانا أرى ان قراءة القرآن تريدون به

الله عز وجل وما عنده فخيل الى أن قوما قرءوه يريدون به الناس والدنيا الا فأريدوا الله بأعمالكم الا انما كنا نعرفكم اذ يتنزل الوحي واذ رسول الله بين أظهرنا ينبئنا من أخباركم فقد انقطع الوحي وذهب النبي فانما نعرفكم بالقول ألا من رأينا منه خيرا ظننا به خيرا وأحببناه عليه ومن رأينا منه شرا ظننا به شرا وأبغضناه عليه سرائركم بينكم وبين ربكم الا واني انما أبعث عمالي ليعلموكم دينكم وسنتكم ولا أبعثهم ليضربوا ظهوركم ويأخذوا أموالكم الا من رابه شيء من ذلك فليرفعه الي فوالذي نفسي بيده لأقصنكم منه فقام عمرو بن العاص فقال: يا أمير المؤمنين أرأيت ان بعثت عاملا من عمالك فأدب رجلا من رعيتك فضربه أتقصه منه قال: نعم والذي نفس عمر بيده لأقصنه منه فقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقص من نفسه

﴿ وخطب أيضاً فقال ﴾

أيها الناس اتقوا الله في سريرتكم وعلانيتكم وأمروا بالمعروف وانهوا عن المنكر ولا تكونوا مثل قوم كانوا في سفينة فأقبل أحدهم على موضع يخرقه فمنعوه فقال: هو موضعي ولي أن أحكم فيه فان أخذوا على يده سلم وسلموا وان تركوه هلك وهلكوا معه وهذا مثل ضربته لكم رحمنا الله واياكم

﴿ وخطب اذ ولي الخلافة ﴾

صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: يأيها الناس اني داع فأمنوا اللهم اني غليظ فليني لأهل طاعتك وموافقة الحق ابتغاء وجهك والدار

الآخرة وارزقني الغلظة والشدة على أعدائك وأهل الدعارة والنفاق من غير ظلم مني لهم ولا اعتداء عليهم اللهم انى شحيح فسخني فى نوائب المعروف قصدا من غير سرف ولا تبذير ولا رياء ولا سمعة واجعلني أبتغى بذلك وجهك والدار الآخرة اللهم ارزقني خفض الجناح ولين الجانب للمؤمنين اللهم انى كثير الغفلة والنسيان فألهمني ذكرك على كل حال وذكر الموت فى كل حين اللهم انى ضعيف عند العمل لطاعتك فارزقني النشاط فيها والقوة عليها بالنية الحسنة التي لا تكون الا بعزتك وتوفيقك اللهم ثبتني باليقين والبر والتقوى وذكر المقام بين يديك والحياء منك وارزقني الخشوع فيما يرضيك عني والمحاسبة لنفسي واصلاح الساعات والحذر من الشبهات اللهم ارزقني التفكر والتدبر بما يتلوه لساني من كتابك والفهم له والمعرفة بمعانيه والنظر فى عجائبه والعمل بذلك مابقيت انك على كل شئ قدير.

وكان آخر كلام أبى بكر الذى اذا تكلم به عُرِف أنه قد فرغ من خطبته « اللهم اجعل خير زماني آخره وخير عملي خواتمه وخير أيامي يوم ألقاك »

وكان آخر كلام عمر الذى اذا تكلم به عُرِف انه فرغ من خطبته « اللهم لا تدعني فى غمرة ولا تأخذني على غرة ولا تجعلني من الغافلين »

﴿ خطب لعليّ ﴾

قالوا : ولما أغار سفيان بن عوف على الأنبار فى خلافة على رضى الله عنه وعليها حسّان البكرى فقتله وأزال تلك الخيل عن مسارحها فخرج على رضى الله عنه حتى جلس على باب السُّدة فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد

فان الجهاد باب من أبواب الجنة فمن تركه البسه الله ثوب الذل وأشمله البلاء وألزمه الصغار وسامه الخسف ومنعه النصف الا وأنى دعوتكم الى قتال هؤلاء القوم ليلا ونهارا وسرا واعلانا وقلت لكم : اغزوهم قبل أن يغزوكم فوالله ماغزى قوم فى عقر دارهم الا ذلوا فتوا كلتم وتخاذلتم وثقل عليكم قولى فاتخذتموه وراءكم ظهريا حتى شنت عليكم الغارات هذا أخو غامد قد بلغت خيله الانبار وقتل حسان البكرى وأزال خيلكم عن مسارحها وقتل منكم رجالا صالحين وقد بلغنى أن الرجل منهم كان يدخل على المرأة المسلمة والاخرى المعاهدة فينزع حجلها وقلبها ورعاثها ثم انصرفوا وافرين ما كلم رجل منهم فلوأن رجلا مسلما مات من بعد هذا أسفا ما كان عندي ملوما بل كان جديرا فواعجبا من جد هؤلاء فى باطلهم وفشلكم عن حقكم فقبحا لكم وترحا حين صرتم غرضا يرمى يغار عليكم ولا تغيرون وتغزون ولا تغزون ويعصي الله وترضون فاذا أمرتكم بالمسير اليهم فى أيام الحر قلتم حمارة القيظ أمهلنا حتى ينسلخ الحر واذا أمرتكم بالمسير اليهم ضحى فى الشتاء قلتم أمهلنا حتى ينسلخ عنا هذا القر كل هذا فرارا من القر والحر فانتم والله من السيف أفر يا أشباه الرجال ولا رجال ويا أحلام أطفال وعقول ربات الحجال وددت ان الله أخرجنى من بين اظهركم وقبضنى الى رحمته من بينكم وانى لم أركم ولم اعرفكم وريتم والله صدرى غيظا وجرعتمونى الموت انفاسا وافسدتم على رأيى بالعصيان والخذلان حتى قالت قريش ان ابن أبى طالب شجاع ولكن لا علم له بالحرب لله أبوهم وهل منهم أحد أشد لها مراسا واطول تجربة منى لقد مارستها وأنا ابن عشرين فهأنذا الآن قد نيفت على الستين ولكن

لارأى لمن لايطاع

وخطبة له رضى الله عنه — قام فيهم فقال : أيها الناس المجتمعة أبدانهم المختلفة أهواؤهم كلامكم يوهِن الصمّ الصلاب وفعلكم يطمع فيكم عدوّكم تقولون فى المجالس كيت وكيت فاذا جاء القتال قلتم حَيادِ ماعزت دعوة من دعاكم ولا استراح قلب من قاساكم أعاليل بأباطيل وسألتمونى التأخير وفاء ذي الدين المطول لايدفع الضيم الذليل ولا يدرك الحق الابالجد أى دار بعددار كم تمنعون ام مع اى امام بعدى تقاتلون المغرور والله من غررتموه ومن فاز بكم فاز بالسهم الأخيب أصبحت والله لاأصدق قولكم ولا أطمع فى نصرتكم فرق الله بينى وبينكم وأعقبنى بكم من هو لى خير منكم وودت والله أن لى بكل عشرة منكم رجلا من بنى فراس بن غنم صرف الدينار بالدرهم .

وخطب اذ استنفر أهل الكوفة لحرب الجمل فأقبلوا اليه مع ابنه الحسن رضى الله عنه فقام فيهم خطيبا فقال : الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وآخر المرسلين أما بعد فان الله بعث محمدا عليه الصلاة والسلام الى الثقلين كافة والناس فى اختلاف والعرب بشر المنازل مستضيئون للثاءات بعضهم على بعض فرأب الله به الثأى ولأم به الصدع ورتق به الفتق وأمن به السبل وحقن به الدماء وقطع به العداوة الواغرة للقلوب والضغائن المخشنة للصدور ثم قبضه الله عز وجل مشكورا سعيه مرضيا عمله مغفورا ذنبه كريما عند ربه نزله فيالها مصيبة عمت المسلمين وخصت الاقربين وولى أبو بكر فسار بسيرة رضيها المسلمون ثم ولى عمر فسار سيرة أبى بكر رضى الله عنهما ثم ولى عثمان فنال منكم ونلتم منه حتى اذا كان من أمره

ما كان أتيتموه فقتلتموه ثم أتيتمونى فقلتم لى بايعنا فقلت لكم لا أفعل وقبضت يدى فبسطتموها ونازعتم كفى فجذبتموها وقلتم لا نرضى الا بك ولا نجتمع الا عليك وتداككتم علىّ تدا كك الابل الهيم على حياضها يوم ورودها حتى ظننت انكم قاتلىّ وان بعضكم قاتل بعض فبايعتمونى وبايعنى طلحة والزبير ثم ما لبثا ان استأذنانى للعمرة فسارا الى البصرة فقتلا بها المسلمين وفعلا الافاعيل وهما يعلمان والله انى لست بدون واحد ممن مضى ولو اشاء ان أقول لقلت اللهم انهما قطعا قرابتى ونكثا بيعتى وألبا على عدوى اللهم فلا تُحكم لهما ما أبرما وأرهما المساءة فيما عملا وأملا

وخطب أيضاً فقال : أيها الناس احفظوا عنى خمسا فلو شددتم اليها المطايا حتى تُنضوها لم تظفروا بمثلها ألا لا يرجون أحدكم الا ربه ولا يخافن الا ذنبه ولا يستحى أحدكم اذا لم يعلم أن يتعلم فاذا سئل عما لا يعلم أن يقول لا اعلم الا وان الخامسة الصبر فان الصبر من الايمان بمنزلة الرأس من الجسد من لا صبر له لا ايمان له ومن لا رأس له لا جسد له ولا خير فى قراءة الا بتدبير ولا فى عبادة الا بتفكير ولا فى حلم الا بعلم الا أنبئكم بالعالم كل العالم من لم يزين لعباد الله معاصى الله ولم يؤمنهم مكره ولم يؤنسهم من رَوحه ولا تنزلوا المطيعين الجنة ولا المذنبين الموحدين النار حتى يقضى الله فيهم بأمره لا تأمنوا على خير هذه الامة عذاب الله فانه يقول : فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون ولا تقنطوا شر هذه الامة من رحمة الله فانه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون

﴿ خطب معاوية ﴾

قال القحذمي : لما قدم معاوية المدينة عام الجماعة تلقاه رجال قريش فقالوا : الحمد لله الذى أعز نصرك وأعلى كعبك قال : فوالله ما رد عليهم شيئا حتى صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : امابعد فانى . والله ما وليتها بمحبة علمتها منكم ولا مسرة بولايتى ولكنى جالدتكم بسيفى هذا مجالدة ولقد رضت لكم نفسى على عمل ابن أبى قحافة واردتها على عمل عمر فنفرت من ذلك نفارا شديدا واردتها على سنيات عثمان فأبت على فسلكت بها طريقا لى ولكم فيه مؤاكلة حسنة ومشاربة جميلة فان لم تجدونى خيركم فانى خير لكم ولاية والله لا احمل السيف على من لاسيف له وان لم يكن منكم الا ما يستشفى به القائل بلسانه فقد جعلت ذلك له دبر أذنى وتحت قدمى وان لم تجدونى اقوم بحقكم كله فاقبلوا منى بعضه فان أتاكم منى خير فاقبلوه فان السيل اذا جاء بثرى وان قل اغنى واياكم والفتنة فانها تفسد المعيشة وتكدر النعمة ثم نزل

وصعد منبر المدينة فحمد الله واثنى عليه ثم قال : يأهل المدينة انى لست أحب ان تكونوا خلقا كخلق العراق يعيبون الشئ وهم فيه كل امرئ منهم شيعة نفسه فاقبلونا بما فينا فان ما وراءنا شر لكم وان معروف زماننا منكر زمان قد مضى ومنكر زماننا معروف زمان لم يأت ولو قد أتى فالرتق خير من الفتق وفى كل بلاغ ولا مقام على الرزية

قال الهيثم بن عدى : لما حضرت معاوية الوفاة ويزيد غائب دعا بمسلم بن عقبة المُرّى والضحاك بن قيس الفهرى وقال لهما : ابلغا عنى يزيد وقولا له

انظر أهل الحجاز فهم عصابتك وعترتك فمن أتاك منهم فاكرمه ومن قعد عنك فتعاهده وانظر أهل العراق فان سألوك عزل عامل فى كل يوم فاعزله عنهم فان عزل عامل واحد أهون عليك من سل مائة ألف سيف ثم لاتدرى علام أنت عليه منهم ثم انظر أهل الشام فاجعلهم الشعار دون الدثار فان رابك من عدو ريبة فارمهم به فان أظفرك الله فاردد أهل الشام الى بلادهم لا يقيموا فى غير بلادهم فيتأدبوا بغير آدابهم لست أخاف غير عبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير والحسين بن على فأما عبد الله بن عمر فرجل قد وقذه الورع وأما الحسين فأرجو أن يكفيكه الله بمن قتل أباه وخذل أخاه وأما ابن الزبير فانه خب ضب فان ظفرت به فقطعه اربا اربا ومات معاوية فقام الضحاك ابن قيس خطيباً فقال: ان أمير المؤمنين كان أنف العرب وهذا كفانه ونحن مدرجوه فيها ومخلون بينه وبين ربه فمن أراد حضوره بعد الظهر فليحضر فصلى عليه الضحاك ثم قدم يزيد فلم يقدم أحد على تعزيته حتى دخل عليه عبد الله بن همام فأنشأ يقول:

اصبر يزيد فقد فارقت ذا مقة ... واشكر حباء الذى بالملك حاباكا
لارزء أعظم فى الاقوام قد علموا ... مما رزئت ولا عقبى كعقباكا
أصبحت راعى أهل الدين كلهم ... فأنت ترعاهم والله يرعاكا
وفى معاوية الباقى لنا خلف ... اما نعيت فلا يسمع بمنعاكا

قال: فانفتح الخطباء بالكلام

ولما مرض معاوية مرض وفاته قال لمولى له: من بالباب قال: نفر من قريش يتباشرون بموتك قال: ويحك لم؟ فوالله مالهم بعدى الا الذى

يسوءهم وأذن للناس فدخلوا فحمد الله وأثنى عليه وأوجز ثم قال : أيها الناس انا قد أصبحنا فى دهر عنود وزمن شديد يعد فيه المحسن مسيئاً ويزداد الظالم فيه عتوا لا ننتفع بما علمنا ولا نسأل عما جهلنا ولا نتخوف قارعة حتى تحل بنا فالناس على أربعة أصناف منهم من لا يمنعه من الفساد فى الأرض الا مهانة نفسه وكلال حده ونضيض وفره ومنهم المصلت لسيفه المجلب برجله المعلن بشره وقد شرط نفسه وأوبق دينه لحطام ينتهزه أو مقت يقوده أو منية تقرعه وليس المتجر أن تراهما لنفسك ثمناً ومما لك عند الله عوضا . ومنهم من يطلب الدنيا بعمل الآخرة ولا يطلب الآخرة بعمل الدنيا قد طامن من شخصه وقارب من خطوه وشمر من ثوبه وزخرف نفسه للامانة واتخذ ستر الله ذريعة الى المعصية . ومنهم من أقعده عن طلب الملك ضؤولة نفسه وانقطاع سببه فقصرت به الحال عن حاله فتحلى باسم القناعة وتزيا بلباس الزهادة وليس ذلك فى مَراح ولا مَغدَى وبقى رجال أغضى أبصارهم ذكر المرجع وأراق دموعهم خوف المضجع فهم بين شريد باد وبين خائف منقمع وساكت مكعوم وداع مخلص وموجع ثكلان قد أخملتهم التقية وشملتهم الذلة فهم فى بحر أجاج أفواههم ضامرة وقلوبهم قرحة قد وعظوا حتى ملوا وقهروا حتى ذلوا وقتلوا حتى قلوا ألا فلتكن الدنيا فى أعينكم أصغر من حثالة القرظ وقرادة الجلم واتعظوا بمن كان قبلكم قبل أن يتعظ بكم من بعدكم وارفضوها ذميمة فقد رفضت من كان أشفق بها منكم .

شبيب بن شبة عن أبى عبد الملك قال : كنت من حرس الخلفاء قبل

عمر فكنا نقوم لهم ونبدؤهم بالسلام فخرج علينا عمر رضى الله عنه فى يوم عيد وعليه قميص كتان وعمامة على قلنسوة لاطئة فمثلنا بين يديه وسلمنا عليه فقال : أنتم جماعة وأنا واحد السلام على والرد عليكم وسلم فرددنا وقربت له دابته فأعرض عنها ومشى ومشينا حتى صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال : وددت أن أغنياء الناس اجتمعوا فردوا على فقرائهم حتى نستوى نحن بهم واكون أنا اولهم ثم قال : مالى وللدنيا أم مالى ولها وتكلم فأرق حتى بكى الناس جميعا يمينا وشمالا ثم قطع كلامه ونزل فدنا منه رجاء بن حَيْوَة فقال له : ياأمير المؤمنين : كلمت الناس بما ارق قلوبهم وأبكاهم ثم قطعته أحوج ما كانوا اليه فقال يارجاء انى اكره المباهاة

﴿ خطبة يزيد بن الوليد حين قتل الوليد بن يزيد ﴾

لما قتل الوليد بن يزيد قام خطيبا فحمد الله واثنى عليه ثم قال : أما بعد أيها الناس انى ماخرجت اشرا ولا بطرا ولا حرصا على الدنيا ولا رغبة فى الملك وما بى اطراء نفسى ولا تزكية عملى وانى لظلوم لنفسى ان لم يرحمنى ربى ولكنى خرجت غضبا لله ودينه وداعيا الى كتابه وسنة نبيه حين درست معالم الهدى واطفىء نور أهل التقوى وظهر الجبار العنيد المستحل الحرمة والراكب البدعة والمغير السنة فلما رأيت ذلك اشفقت ان غشيتكم ظلمة لا تقلع عنكم على كثرة من ذنوبكم وقسوة من قلوبكم واشفقت أن يدعو كثيرا من الناس الى ماهو عليه فيجيبه من اجابه منكم فاستخرت الله فى

أمري وسألتـه أن لا يكلني الى نفسي وهو ابن عمي في نسبي وكفئي في حسبي فأراح الله منه العباد وطهر منه البلاد ولاية من الله وعونا بلا حول مني ولا قوة ولـكن بحول الله وقوته وولايته وعزته أيها الناس ان لكم عليّ ان وليت أموركم ان لا أضع لبنة على لبنة ولا حجرا على حجر ولا انقل مالا من بلد الى بلد حتى اسد ثغره وأقيم مصالحه مما تحتاجون اليـه وتقوون به فان فضل شيء رددته الى البلد الذي يليه ومن هو أحوج البلدان اليه حتي تستقيم المعيشة بين المسلمين وتـكونوا فيـه سواء فان أردتم بيعتي على الذي بذلت لكم فانا لـكم به وان ملت فلا بيعة لي عليكم وان رأيتم أحدا أقوى عليها مني فأردتم بيعته فانا أول من يبايعه ويدخل في طاعته أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولـكم .

خطب أبو جعفر المنصور يوم جمعة فحمد الله واثنى عليه وقال : أيها الناس اتقوا الله فقام اليه رجل فقال : اذكرك من ذكرتنا به يا أمير المؤمنين قال أبو جعفر : سمعا سمعا لمن فهم عن الله وذكر به وأعوذ بالله ان اذكر به وانساه فتأخذني العزة بالاثم لقد ضللت اذا وما أنا من المهتدين وأما أنت والتفت الى الرجل فقال : والله ما الله أردت بها ولـكن ليقال قام فقال فعوقب فصبر وأهون بها لو كانت العقوبة وانا انذركم أيها الناس اختها فان الموعظة علينا نزلت وفينا انبثت ثم رجع الى موضعه من الخطبة .

وخطب بمكة فقال : أيها النـاس انما أنا سلطان الله في أرضه اسوسكم بتوفيقه وتسديده وتأييده وحارسه على ماله اعمل فيـه بمشيئته وارادته واعطيه باذنه فقد جعلني الله عليه قفلا ان شاء الله ان يفتحني فتحني لاعطائكم

وقسم أرزاقكم وان شاء ان يقفلني عليها اقفلني فارغبوا الى الله وسلوه فى هذا اليوم الشريف الذى وهب لكم من فضله ما اعلمكم به فى كتابه اذ يقول: اليوم أكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا ان يوفقني للرشاد والصواب وأن يلهمني الرأفة بكم والاحسان اليكم أقول قولى هذا واستغفر الله لى ولكم.

خطبة لسليمان بن على — ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادى الصالحون ان فى هذا لبلاغا لقوم عابدين قضاء مبرم وقول فصل ماهو بالهزل الحمد لله الذى صدق عبده وانجز وعده وبعدا للقوم الظالمين الذين اتخذوا الكعبة غرضا والفيء ارثا والدين هزؤا وجعلوا القرآن عضين لقد حاق بهم ما كانوا به يستهزئون فكأين ترى من بئر معطلة وقصر مشيد ذلك بما قدمت أيديكم وان الله ليس بظلام للعبيد امهلوا والله حتى نبذوا الكتاب واضطهدوا العترة ونبذوا السنة واعتدوا واستكبروا وخاب كل جبار عنيد ثم أخذهم فهل تحس منهم من أحد او تسمع لهم ركزا

خطبة المهدى — الحمد لله الذى ارتضى الحمد لنفسه ورضى به من خلقه احمده على آلائه وامجده لبلائه وأستعينه وأومن به واتوكل عليه توكل راض بقضائه وصابر لبلائه واشهد ان لا اله الا الله وحده لاشريك له وان محمدا عبده المصطفى ونبيه المجتبي ورسوله الى خلقه وامينه على وحيه أرسله بعد انقطاع الرجاء وطموس العلم واقتراب من الساعة الى أمة جاهلية مختلفة أمية اهل عداوة وتضاغن وفرقة وتباين قد استهوتهم

شياطينهم وغلب عليهم قرناؤهم فاستشعرهم الردى وسلكوا العمى يبشر
من اطاعه بالجنة وكريم ثوابها وينذر من عصاه بالنار وأليم عقابها ليهلك
من هلك عن بينة ويحيي من حي عن بينة وان الله لسميع عليم اوصيكم
عباد الله بتقوى الله فان الاقتصار عليها سلامة والترك لها ندامة
وأحثكم على اجلال عظمته وتوقير كبريائه وقدرته والانتهاء الى ما يقرب
من رحمته وينجي من سخطه وينال به ما لديه من كريم الثواب وجزيل
المآب فاجتنبوا ما خوفكم الله من شديد العقاب واليم العذاب ووعيد
الحساب يوم توقفون بين يدى الجبار وتعرضون فيه على النار يوم لا تكلم
نفس الا باذنه فمنهم شقى وسعيد يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه
وصاحبته وبنيه لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه يوم لاتجزى نفس
عن نفس شيئاً ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون يوم
لايجزى والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا ان وعد الله حق
فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور فان الدنيا دار غرور وبلاء
وشرور واضمحلال وزوال وتقلب وانتقال قد أفنت من كان قبلكم وهي
عائدة عليكم وعلى من بعدكم من ركن اليها صرعته ومن وثق بها خانته
ومن املها كذبته ومن رجاها خذلته عزها ذل وغناها فقر والسعيد من
تركها والشقى فيها من آثرها والمغبون فيها من باع حظه من دار آخرته بها
فالله الله عباد الله والتوبة مقبولة والرحمة مبسوطة وبادروا بالاعمال
الزكية فى هذه الايام الخالية قبل ان يؤخذ بالكظم وتندموا فلا تنالون
الندم فى يوم حسرة وتأسف وكآبة وتلهف يوم ليس كالأيام وموقف

ضنك المقام ان أحسن الحديث وأبلغ الموعظة كتاب الله يقول الله تبارك وتعالى : واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون أعوذ بالله العظيم من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم ألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر . . . الى آخر السورة . . . أوصيكم عباد الله بما أوصاكم الله به وأنهاكم عما نهاكم الله عنه وأرضى لكم طاعة الله واستغفر الله لى ولكم

﴿ خطبة زياد البتراء ﴾

عن أبي بكر الهذلى قال : قدم زياد البصرة واليا لمعاوية بن أبي سفيان واليه خُراسان وسجِستان والفسق بالبصرة ظاهر فاش فخطب خطبة بتراء لم يحمد الله فيها وقال غيره : بل قال : الحمد لله على افضاله واحسانه ونسأله المزيد من نعمه واكرامه اللهم كما زدتنا نعما فألهمنا شكرا أما بعد فان الجهالة الجهلاء والضلالة العمياء والغى الموفى باهله على النار مافيه سفهاؤكم وتشتمل عليه حلماؤكم من الأمور العظام ينبت فيها الصغير ولا يتحاشى عنها الكبير كانكم لم تقرءوا كتاب الله ولم تسمعوا بما أعد الله من الثواب الكريم لأهل طاعته والعذاب العظيم لأهل معصيته فى الزمن السرمدى الذى لا يزول أتكونون كمن طرفت عينه الدنيا وسددت مسامعه الشهوات واختار الفانية على الباقية ألا تذكرون أنكم أحدثتم فى الاسلام الحدث الذى لم تسبقوا اليه من تركـكم هذه المواخير المنصوبة والضعيفة المسلوبة فى النهار المبصر والعدد غير قليل ألم يكن منكم نهاة تمنع الغواة عن دلج الليل وغارة النهار قربتم القرابة وباعدتم الدين تعتذرون بغير العذر

وتغضون على المختلس كل امرىء منكم يذب عن سفيهه صنيع من لايخاف عاقبة ولا يرجو معادا ماأنتم بالحلماء ولقد اتبعتم السفهاء فلم يزل بكم ماترون من قيامكم دونهم حتى انتهكوا حرم الاسلام ثم أطرقوا وراءكم كنوسا فى مكانس الريب حرام علىّ الطعام والشراب حتى اسويها بالارض هدما واحراقا انى رأيت آخر هذا الامر لايصلح الا بما صلح به أوله لين فى غير ضعف وشدة فى غير عنف وانى أقسم بالله لآخذن الولى بالمولى والمقيم بالظاعن والمقبل بالمدبر والصحيح بالسقيم حتى يلقى الرجل منكم أخاه فيقول : انج سعد فقد هلك سعيد أو تستقيم لى قناتكم ان كذبة الأمير بلقاء مشهورة فاذا تعلقتم على بكذبة فقد حلت لكم معصيتى من نقب منكم عليه فانا ضامن لما ذهب له فاياى ودلج الليل فانى لا أوتى بمدلج الا سفكت دمه وقد أجلتكم فى ذلك بقدر مايأتى الخبر الكوفة ويرجع اليكم واياى ودعوى الجاهلية فانى لا أجد أحدا دعا بها الا قطعت لسانه وقد أحدثتم احداثا لم تكن وقد أحدثنا لكل ذنب عقوبة فمن أغرق قوما أغرقناه ومن أحرق قوما أحرقناه ومن نقب بيتا نقبنا عن قلبه ومن نبش قبرا دفناه فيه حيا فكفوا عنى ألسنتكم وأيديكم أكف عنكم يدى ولسانى ولا يظهرن من أحد منكم ريبة بخلاف ماعليه عامتكم الا ضربت عنقه وقد كانت بينى وبين قوم إحن فجعلت ذلك دبر أذنى وتحت قدمى فمن كان محسنا فليزدد فى احسانه ومن كان مسيئا فلينزع عن اساءته انى لو علمت ان أحدكم قد قتله السل من بغضى لم أكشف له قناعا ولم أهتك له سترا حتى يبدى لى صفحته فان فعل ذلك لم أناظره فاستأنفوا أموركم

وأعينوا على أنفسكم فرب مبتئس بقدومنا سيسر ومسرور بقدومنا سيبتئس أيها الناس انا أصبحنا لكم ساسة وعنكم ذادة نسوسكم بسلطان الله الذى أعطانا ونذود عنكم بفئ الله الذى خولنا فلنا عليكم السمع والطاعة فيما أحببنا ولكم علينا العدل فيما ولينا فاستوجبوا عدلنا وفيئنا بمناصحتكم لنا واعلموا أنه مهما أقصر فيه فلن أقصر عن ثلاث لست محتجبا عن طالب حاجة ولو أتانى طارقا بليل ولا حابسا عطاء ولا رزقا عن ابانه ولا مُجمِّرًا لكم بعثا فادعوا الله بالصلاح لأئمتكم فانهم ساستكم المؤدبون لكم وكهفكم الذى اليه تأوون ومتى يصلحوا تصلحوا ولا تشربوا قلوبكم بغضهم فيشتد لذلك أسفكم ويطول له حزنكم ولا تدركوا حاجتكم مع أنه لو استجيب لكم فيهم لكان شرا لكم أسأل الله أن يعين كلا على كل وايم الله ان لى فيكم لصرعى كثيرة فليحذر كل امرئ منكم أن يكون من صرعاى . ثم نزل فقام اليه عبد الله ابن الاهتم فقال : أشهد أيها الامير لقد أوتيت الحكمة وفصل الخطاب قال له : كذبت ذاك داود صلى الله عليه وسلم فقام الاحنف بن قيس فقال : انما الثناء بعد البلاء والحمد لله بعد العطاء وانا لن نثنى حتى نبتلى قال له زياد : صدقت

﴿ خطبة قس بن ساعِدَة الايادى ﴾

ابن عباس قال : قدم وفد اياد على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أيكم يعرف قس بن ساعدة الايادى قالوا : كلنا نعرفه قال : فما فعل قالوا : هلك قال : ما أنساه بسوق عكاظ فى الشهر الحرام على جمل له أحمر وهو

يخطب الناس ويقول اسمعوا وعوا من عاش مات ومن مات فات وكل ما هو آت آت ان فى السماء لخبرا وان فى الارض لعبرا سحائب تمور ونجوم تغور فى فلك يدور ويقسم قس قسما ان لله دينا هو أرضى من دينكم هذا ثم قال : مالى أرى الناس يذهبون ولا يرجعون أرضوا بالاقامة فأقاموا أم تركوا فناموا أيكم روى من شعره فأنشأ بعضهم

فى الذاهبين الاولي ... ن من القرون لنا بصائر
لما رأيت مواردا ... للموت ليس لها مصادر
ورأيت قومى نحوها ... تمضى الاكابر والاصاغر
لا يرجع الماضى ولا ... يبقى من الباقين غابر
أيقنت أنى لا محا ... لة حيث صار القوم صائر

التوقيعات

﴿ والفصول والصدور وأدوات الكتابة وأخبار الكتاب ﴾

قال أحمد بن عبد ربه : قد مضى قولنا فى الخطب وفضائلها ونحن قائلون بعون الله وتوفيقه فى التوقيعات والفصول والصدور وأدوات الكتابة واخبار الكتاب وفضل الايجاز اذ كان اشرف الكلام كله حسنا وأوقعه قدرا واعظمه من القلوب موقعا واقله على اللسان عملا ما دل بعضه على كله وكفى قليله عن كثيره وشهد ظاهره على باطنه وذلك أن تقل حروفه وتكثر معانيه ومنه قولهم : رب اشارة أبلغ من لفظ أليس أن الاشارة تبين مالا يبينه

الكلام وتبلغ ما يقصر عنه اللسان ولكنها اذا قامت مقام اللفظ وسدت مسد الكلام كانت أبلغ لخفة مؤنتها وقلة عملها . وقال النبي صلى الله عليه وسلم : أبغضكم الىّ الثرثارون المتشدقون يريد أهل الاكثار والتقعير في الكلام. ومن كلام العرب الاختصار والاطناب والاختصار عندهم أحمد في الجمله وان كان للاطناب موضع لايصلح الا له وقد تومئ الى الشئ فتستغنى عن التعبير بالايماء كما قالوا : لمحة دالة

وبعث لمروان بن محمد قائد من قواده بغلام اسود فأمر عبد الحميد الكاتب ان يكتب اليه يلحاه ويعنفه فكتب وأكثر فاستثقل ذلك مروان وأخذ الكتاب فوقع في أسفله أما انك لو علمت عدداً أقل من الواحد ولونا شراً من الاسود لبعثت به

وتكلم ربيعة الرأى فأكثر واعجبه اكثاره فالتفت لاعرابى الى جنبه فقال له : ماتعدون البلاغة عندكم قال له : حذف فضول الكلام وايجاز الصواب قال : فما تعدون العىّ قال : ما كنت فيه منذ اليوم فكأنما ألقمه حجراً

﴿ استفتاح الكتب ﴾ ابراهيم بن محمد الشيبانى قال : لم نزل الكتب تستفتح باسمك اللهم حتى أنزلت سورة هود وفيها بسم الله مجريها ومرساها فكتب بسم الله ثم نزلت بسورة بنى اسرائيل قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن فكتب بسم الله الرحمن ثم نزلت بسورة النمل انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم فاستفتح بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وصارت سنة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكتب الى أصحابه وأمراء جنوده من

محمد رسول الله الى فلان وكذلك كانوا يكتبون اليه يبدءون بأنفسهم فممن كتب اليه وبدأ بنفسه أبو بكر والعَلاء بن الحَضْرمي وغيرهما وكذلك كتب الصحابة والتابعون ثم لم تزل حتى ولى الوليد بن عبد الملك فأمر أن لايكاتبه الناس بمثل ما يكاتب بعضهم بعضاً فجرت بهسنة الوليد الى يومنا هذا الا ما كان من عمر بن عبد العزيز ويزيد الكامل فانهما عملا بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم رجع الامر الى رأى الوليد والقوم عليه الى اليوم

﴿ ختم الكتاب وعنوانه ﴾ وأما ختم الكتاب وعنوانه فان الكتب لم تزل مشهورة غير معنونة ولا مختومة حتى كتبت صحيفة المتلمس فلما قرأها ختمت وعنونت وكان يؤتى بالكتاب فيقال: من عنى به فسمى عنوانا

﴿ تاريخ الكتاب ﴾ لابد من تاريخ الكتاب لأنه لايُدَل على تحقيق الأخبار وقرب عهد الكتاب وبعده الا بالتاريخ

﴿ الأمى ﴾ أما قوله تعالى: النبي الأمى فانما أراد به الذى لا يقرأ ولا يكتب والأمية فى النبي صلى الله عليه وسلم فضيلة لانها أدل على صدق ماجاء به انه من عند الله لامن عنده وكيف يكون من عنده وهو لا يكتب ولا يقرأ ولا يقول الشعر ولا ينشده . قال: المأمون لأبى العلاء المنقرى بلغنى انك أمى وانك لا تقيم الشعر وانك تلحن فى كلامك فقال: ياأمير المؤمنين أما اللحن فربما سبقنى لسانى بالشئ منه وأما الامية وكسر الشعر فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم أميا وكان لا ينشد الشعر فقال له المأمون: سألتك عن ثلاثة عيوب فيك فزدتنى رابعاً وهو الجهل أما علمت يا جاهل أن ذلك فى النبي صلى الله عليه وسلم فضيلة وفيك وفى

أمثالك نقيصة

﴿ من نبُل بالكتابة وكان قبل خاملا ﴾ سَرجون بن منصور الرومى كتب لمعاوية ويزيد ابنه ومروان بن الحكم وعبد الملك بن مروان الى أن أمره عبد الملك بأمر فتوانى فيه ورأى منه عبد الملك بعض التفريط فقال لسليمان بن سعد كاتبه على الرسائل : ان سرجون يُدِلّ علينا بصناعته وأظن أنه رأى ضرورتنا اليه فى حسابه فما عندك فيه حيلة فقال : بلى لو شئت لحولت الحساب من الرومية الى العربية قال : افعل قال : أنظرنى أعانى ذلك قال : لك نظرة ماشئت فحول الديوان فولاه عبد الملك جميع ذلك . وقَحْذم جد الوليد بن هشام القحذمى وهو الذى قلب الدواوين من الفارسية الى العربية

﴿ صفة الكتاب ﴾ ـ قال ابراهيم بن محمد الكاتب : من كمال آلة الكتابة ان يكون الكاتب نقى الملبس نظيف المجلس دقيق الذهن صادق الحس حسن البيان رقيق حواشى اللسان حلو الاشارة مليح الاستعارة لطيف المسالك مستقر التركيب

﴿ ما ينبغى للكاتب أن يأخذ به نفسه ﴾ ـ قال ابراهيم الشيبانى : أول ذلك حسن الخط الذى هو لسان اليد وبهجة الضمير وسفير العقول ووحى الفكرة وسلاح المعرفة وأنس الاخوان عند الفرقة ومجاذبهم على بعد المسافة ومستودع السر وديوان الامور . وقيل للشعبي : أى شئ تعرف به عقل الرجل قال : اذا كتب فأجاد

﴿ فضل الكتابة ﴾ ـ قال أبو عثمان الجاحظ : ما رأيت قوما أنفذ

طريقة فى الادب من هؤلاء الكتاب فانهم التمسوا من الالفاظ مالم يكن متوعراً وحشيا ولا ساقطا سوقيا . وعتب أبو جعفر المنصور على قوم من الكتاب فأمر بحبسهم فرفعوا اليه رقعة ليس فيها الاهذا البيت

ونحن الكاتبون وقد أسأنا فهبنا للكرام الكاتبينا

فعفا عنهم وأمر بتخلية سبيلهم

﴿ مايجوز فى الكتابة ومالا يجوز ﴾

قال ابرهيم بن محمد الشيبانى : اذا احتجت الى مخاطبة الملوك والوزراء والعلماء والكتاب والخطباء والادباء والشعراء وأوساط الناس وسوقتهم فخاطب كلا على قدر جلالته وعلوه وارتفاعه وفطنته ونباهته ولكل مكتوب اليه قدر ووزن ينبغى للكاتب أن لايجاوزه عنه ولا يقصر به دونه وقد رأيتهم عابوا الاحوص حين خاطب الملوك خطاب العوام فى قوله

وأراك تفعل ماتقول وبعضهم مَذق الحديث يقول مالا يفعل

وهذا معنى صحيح فى المدح ولكنهم أجلوا قدر الملوك ان يمدحوا بما تمدح به العوام لان صدق الحديث وانجاز الوعد وان كان من المدح فهو واجب على العامة والملوك لايمدحون بالفرائض الواجبة انما يحسن مدحهم بالنوافل وكذلك ينبغى للكاتب أن يتجنب اللفظ المشترك والمعنى الملتبس فيتخير من الالفاظ أرجحها لفظا وأجزلها وأشرفها جوهراً وأكرمها حسبا وأليقها فى مكانها وأشكلها فى موضعها فان حاولت صنعة رسالة فزن اللفظة قبل ان تخرجها بميزان التصريف اذا عرضت وعاير الكلمة بمعيارها اذا سنحت

ولا تجعل اللفظة قلقة فى موضعها نافرة عن مكانها فانك متى فعلت هجنت الموضع الذى حاولت تحسينه وأفسدت المكان الذى أردت اصلاحه فان وضع الالفاظ فى غير أماكنها وقصدك بها الى غير مصافها كترقيع الثوب الذى لم تشابهه رقاعه ولم تتقارب أجزاؤه وخرج من حد الجدة وتغير حسنه كما قال الشاعر

ان الجديد اذا ما زيد فى خلق　　يبين للناس ان الثوب مرقوع

وقد رأيتهم شبهوا المعنى الخفى بالروح الخفى واللفظ الظاهر بالجثمان الظاهر واذا لم ينهض بالمعنى الشريف الجزل لفظ شريف جزل لم تكن العبارة واضحة ولا النظام متسقا وتضاءل المعنى الحسن تحت اللفظ القبيح كتضاؤل الحسناء فى الأطمار الرثة . (وقيل) لجعفر بن خالد : ما البلاغة قال : التقرب فى المعنى البعيد والدلالة بالقليل على الكثير . (وقيل) لاعرابى : ما البلاغة فقال : حذف الفضول وتقريب البعيد . (وقيل) للخليل بن أحمد ما البلاغة فقال : ما قرب طرفاه وبعد منتهاه . (وقيل) لخالد بن صفوان : ما البلاغة فقال : اصابة المعنى والقصد للحجة . (وقيل) لابراهيم الامام . ما البلاغة فقال : الجزالة والاصابة

﴿ قولهم فى الاقلام ﴾

قالوا القلم أحد اللسانين وهو المخاطب للغيوب بسرائر القلوب . (وقال) ثمامة بن أشرس : ما أثرته الاقلام لم تطمع فى دراسته الايام . (وقال) أبو عبد الله : لا يقال كأس الا اذا كان فيه شراب والا فهى

زجاجة ولا مائدة الا اذا كان عليها طعام والا فهى خوان ولا قلم الا اذا برى والا فهى قصبة

﴿ توقيعات الخلفاء ﴾

﴿ عمر بن الخطاب رضى الله عنه ﴾ — كتب اليه سعد بن أبى وقاص فى بنيان يبنيه فوقع فى أسفل كتابه : ابن ما يكنك من الهواجر وأذى المطر (ووقع) الى عمرو بن العاص : كن لرعيتك كما تحب أن يكون لك أميرك

﴿ عثمان بن عفان رضي الله عنه ﴾ — وقع فى قصة قوم تظلموا من مروان بن الحكم وذكروا انه أمر بوجء أعناقهم : فان عصوك فقل انى برئ مما تعملون (ووقع) فى قصة رجل شكا عيلة : قد أمرنا لك بما يقيمك وليس فى مال الله فضل للمسرف

﴿ على بن أبى طالب كرم الله وجهه ﴾ — وقع فى كتاب جاءه من الأشتر النخعى فيه بعض ما يكره : من لك بأخيك كله ، وفى كتاب صعصعة ابن صوحان يسأله فى شئ : قيمة كل امرئ ما يحسن

﴿ معاوية بن أبى سفيان ﴾ — كتب اليه ربيعة بن عسل اليَرْبوعى يسأله أن يعينه فى بناء داره بالبصرة باثنى عشر ألف جذع : أدارك فى البصرة أم البصرة فى دارك

﴿ يزيد بن معاوية ﴾ — كتب اليه مسلم بن عقبة المرّى بالذى صنع أهل الحرّة فوقع فى أسفل كتابه فلا تأسَ على القوم الفاسقين

﴿ عبد الملك بن مروان ﴾ ـ كتب اليه الحجاج يخبره بسوء طاعة أهل العراق وما يقاسي منهم ويستأذنه في قتل أشرافهم فوقع له : أن من يمن السائس أن يتألف به المختلفون ومن شؤمه أن يختلف به المؤتلفون ، وفي كتاب الحجاج يخبره بقوة ابن الاشعث : بضعفك قوي

﴿ سليمان بن عبد الملك ﴾ ـ كتب قتيبة بن مسلم الى سليمان يتهدده بالخلع فوقع في كتابه

زعم الفرزدق أن سيقتل مربعا أبشر بطول سلامة يامربع

﴿ عمر بن عبدالعزيز ﴾ ـ كتب بعض العمال اليه يستأذنه في مرمة مدينته فوقع أسفل كتابه : ابنها بالعدل ونق طرقها من الظلم ، والى بعض عماله في مثل ذلك : حصنها ونفسك بتقوى الله ، والى عامله على الكوفة وكتب اليه انه فعل في أمر كما فعل عمر بن الخطاب : أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده

﴿ توقيمات بني العباس ﴾

﴿ أبو جعفر ﴾ ـ وقع الى أهل الكوفة وشكوا عاملهم : كما تكونوا يؤمر عليكم ، وفي قصة رجل شكا عيلة : سل الله من رزقه ، وفي قصة رجل شكا الدين : ان كان دينك في مرضاة الله قضاه ، وفي كتاب أتاه من صاحب الهند يخبره ان جندا شغبوا عليه وكسروا أقفال بيت المال فأخذوا أرزاقهم منه : لو عدلت لم يشغبوا ولو وفيت لم ينهبوا

﴿ المهدي ﴾ ـ وقع في قصة قوم تظلموا من عاملهم وسألوا أشخاصه

الى بابه . قد انصف القارة من راماها ، وفى قصة رجل حبس فى دم : ولكم فى القصاص حياة يا أولى الالباب

﴿ هارون الرشيد ﴾ - وقع فى قصة البرامكة : انبتته الطاعة وحصدته المعصية ، وفى قصة متظلم : لا يجاوز بك العدل ولا يقصر بك دون الانصاف

﴿ المأمون ﴾ - وقع فى قصة متظلم من عمرو بن مَسعدة : ياعمرو عمر نعمتك بالعدل فان الجور يهدمها ، وفى قصة متظلم من أخيه : فاذا نفخ فى الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون

﴿ توقيعات الامراء والكبراء ﴾

﴿ زياد ﴾ - وقع فى قصة متظلم : كفيت ، وفى قصة رجل شكا اليه عقوق ابنه : ربما كان عقوق الولد من سوء تأديب الوالد

﴿ جعفر بن يحيى ﴾ - وقع فى قصة محبوس : لكل أجل كتاب : وفى مثله : العدل أوثقه والتوبة تطلقه ، وفى رجل شكا بعض عماله : قد كثر شاكوك وقل شاكروك فاما عدلت واما اعتزلت ، وفى قصة مستمنح قد كان وصله مرارا : دع الضرع يدر لغيرك كما در لك ، والى متنصل من ذنب : حكم الفلتات خلاف حكم الاصرار

﴿ الفضل بن سهل ﴾ - كتب فى قصة قوم قطعوا الطريق : انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الارض فسادا الآية ، وفى امرئ قاتل شهد عليه العدول فشفع فيه : كتاب الله أحق أن يتبع

﴿ طاهر بن الحسين ﴾ – وقع فى رقعة متنصح : سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين

﴿ توقيعات العجم ﴾

رفع رجل الى كسرى بن قباذ رقعة يخبره فيها أن جماعة من بطانته قد فسدت نياتهم وخبثت ضمائرهم منهم فلان وفلان فوقع فى أسفل كتابه : انما أملك ظاهر الاجسام لا النيات وأحكم بالعدل لا بالهوى وأفحص عن الاعمال لا عن السرائر . ووقع كسرى فى رقعة مدح : طوبى للممدوح اذا كان للمدح مستحقا وللداعى اذا كان للاجابة أهلا . وكتب اليه متنصح أن قوما من بطانته اجتمعوا للمنادمة فعابوه وثلموه فوقع : لئن كانوا نطقوا بألسنة شتى لقد اجتمعت مساويها على لسانك فجرحك أرحب ولسانك أكذب . ووقع أنو شروان الى صاحب خراجه : ما استغزر الخراج بمثل العدل ولا استنزر بمثل الجور . ووقع فى قصة محبوس : من ركب مانهى عنه حيل بينه وبين ما يشتهي . ووقع فى قصة رجل ذكر أن بعض قرابة الملك ظلمه وأخذ ماله : لا تصلح العامة الا ببعض الحيف على الخاصة فان كنت صادقا أبحتك جميع ما يملكه فلم يتظلم بعدها أحد من قرابته

﴿ فى المودة ﴾ – لسعيد بن عبد الملك – لنحن أحق بابتدائك بما ابتدأتنا به من الصلة الا أنك أحق بالفضل الذى سبقت اليه

﴿ فى وصاة ﴾ – كتب الحسن بن وهب الى مالك بن طوق فى أبى الشيص – كتابى اليك خططته بيمينى وفرغت له ذهنى فما ظنك بحاجة

هذا موقعها منى أترانى أقبل العذر فيها وأقصر فى الشكر عليها وابن أبى الشيص قد عرفته ونسبه وصفاته ولو كانت أيدينا تنبسط ببره ما عدانا الى غيرنا فاكتف بهذا منا

(فصل) - كتابى اليك كتاب معنى بمن كتب له واثق بمن كتب اليه ولن يضيع بين الثقة والعناية حامله

﴿ فى عتاب ﴾ لعبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر ذى الجناحين - أما بعد فقد عاقنى الشك فى أمرك عن عزيمة الرأى فيك ابتدأتنى بلطف عن غير خبرة واعقبته جفاء من غير ذنب فأطمعنى أولك فى اخائك وآيسنى آخرك من وفائك فسبحان من لو شاء لكشف من أمرك عن عزيمة الرأى فيك فأقمنا على ائتلاف أو افترقنا على اختلاف

﴿ لابن المُدبّر ﴾ - وصل كتابك المفتتح بالعتاب الجميل والتقريع اللطيف فلولا ما غلب علىّ من السرور بسلامتك لتقطعت غما لعتابك الذى لطف حتى كاد يخفى عن أهل الرقة والفطنة وغلظ حتى كاد يفهمه أهل الجهل والبله فلا أعدمنى الله رضاك

(فى التنصل) - أنت أعزك الله أعلم بالعفو والعقوبة من أن تجازينى بالسوء على ذنب لم أجنه بيد ولا لسان بل جناه علىّ لسان واش فأما قولك انك لا تسهل سبيل العذر فأنت أعلم بالكرم وارعى لحقوقه واقعد بالشرف واحفظ لذمامه من أن ترديد مؤملك صفرا من عفوك اذا التمسه ومن عذرك اذا جعل فضلك شافعا فيه وذريعة له

﴿ فصل لابراهيم بن العباس ﴾ - الكريم أوسع ما تكون مغفرته

اذا ضاقت بالمذنب معذرته

﴿ الشكر ﴾ ـ للحسن بن وهب من شكرك على درجة رفعته اليها أو ثروة افدته اياها فان شكرى لك على مهجة أحييتها وحشاشة أبقيتها ورمق أمسكت به وقمت بين التلف وبينه فلكل نعمة من نعم الدنيا حد تنتهى اليه ومدى يوقف عنده وغاية من الشكر يسمو اليها الطرف خلا هذه النعمة التى قد فاقت الوصف وأطالت الشكر وتجاوزت قدره وأنت من وراء كل غاية رددت عنا كيد العدو وأرغمت أنف الحسود فنحن نلجأ منك الى ظل ظليل وكنف كريم فكيف يشكر الشاكر وأين يبلغ جهد المجتهد

﴿ المدح ﴾ ـ ان مما يطمعنى في بقاء النعمة عندك ويزيدنى بصيرة فى العلم بدوامها لديك انك أخذتها بحقها واستوجبتها بما فيك من أسبابها ومن شأن الاجناس أن تتآلف وشأن الاشكال ان تتقاوم وكل شئ يتقلقل الى معدنه ويحن الى عنصره فاذا صادف منبته ونزل فى مغرسه ضرب بعرقه وسبق بفرعه وتمكن تمكن الاقامة وتفنك تفنك الطبيعة

﴿ وفصل ﴾ ـ انى فيما أتعاطى من مدحك كالمخبر عن ضوء النهار الزاهر والقمر الباهر الذى لا يخفى على كل ناظر وأيقنت انى حيث انتهى بى القول منسوب الى العجز مقصر عن الغاية فانصرفت من الثناء عليك الى الدعاء لك ووكلت الاخبار عنك الى علم الناس بك

﴿ محمد بن الجهم ﴾ ـ انك لزمت من الوفاء طريقة محمودة عرفت مناقبها وشهرت بمحاسنها فتنافس الاخوان فيك يبتدرون ودك ويتمسكون بحبلك

فمن أثبت الله له عندك ودا فقد وضع خلته موضع حرزها

﴿ الادب ﴾ – قد آن ان تدع ماتسمع بما تعلم ولا يكن غيرك فيما يبلغه أوثق من نفسك فيما تعرفه

﴿ للعتابى ﴾ – أما بعد فان قريبك من قرب منك خيره وابن عمك من عمك نفعه وعشيرتك من أحسن عشرتك واهدى الناس الى مودتك من اهدى بره اليك

﴿ الى خليفة وأمير ﴾ – كتب الحجاج بن يوسف الى عبد الملك بن مروان يا أمير المؤمنين ان كل من عنيت به فكرتك فما هو الا سعيد يؤثر أو شقى يوتر . وكتب محمد بن عبد الملك الزيات ان حق الاولياء على السلطان تنفيذ أمورهم وتقويم أودهم ورياضة أخلاقهم وان يميز بينهم فيقدم محسنهم ويؤخر مسيئهم ليزداد هؤلاء فى احسانهم ويزدجر هؤلاء عن اساءتهم

﴿ وفصل له ﴾ – ان الله أوجب لخلفائه على عباده حق الطاعة والنصيحة ولعبيده على خلفائه بسط العدل والرأفة وأحياء السنن الصالحة فاذا أدى كلٌ الى كل حقه كان ذلك سببا لتمام المعونة واتصال الزيادة واتساق الكلمة ودوام الالفة . وكتب طاهر بن الحسين حين أخذ بغداد الى ابراهيم بن المهدى أما بعد فانه عزيز على ان اكتب الى أحد من بيت الخلافة بغير كلام الامرة وسلامها غير انه بلغنى عنك انك مائل الهوى والرأى للناكث المخلوع فان كان كما بلغنى فقليل ما كتبت به لك وان يكن غير ذلك فالسلام عليك أيها الامير ورحمة الله وبركاته

﴿ فصول لعمرو بن بحر الجاحظ فى الادب ﴾ – أما بعد فان العقل

والهوى ضدان فقرين العقل التوفيق وقرين الهوى الخذلان والنفس طالبة فبأيهما ظفرت كانت فى حزبه - أما بعد فكفى بالتجارب تأديبا وبتقلب الأيام عظة وبأخلاق من عاشرت معرفة وبذكرك الموت زاجرا - أما بعد فان احتمال الصبر على لذع الغضب أهون من اطفائه بالشتم والقذع (وله فى وصاة) - أما بعد فان أحق من أسعفته فى حاجاته وأجبته الى طلبته من توسل اليك بالامل ونزع نحوك بالرجاء - أما بعد فما أقبح الأحدوثة من مستمنح حرمته وطالب حاجة رددته ومثابر حجبته ومنبسط اليك قبضته ومقبل عليك بعنانه لويت عنه فتثبت فى ذلك ولا تطع كل حلاف مهين هماز مشاء بنميم (وله فى استنجاز وعد) - أما بعد فقد رسفنا فى قيود مواعيدك وطال مقامنا فى سجون مطلك فأطلقنا أبقاك الله من ضيقها وشديد غمها بنعم منك مثمرة أولا مريحة - أما بعد فان شجرة مواعيدك قد أورقت فليكن ثمرها سالما من جوائح المطل - أما بعد فان سحائب وعدك قد برقت فليكن وبلها سالما من صواعق المطل والاعتلال (وله فى الاعتذار) أما بعد فنعم البديل من الزلة الاعتذار وبئس العوض من التوبة الاصرار - أما بعد فان أولى الناس عندى بالصفح من أسلمه الى ملكك التماس رضاك من غير مقدرة منك عليه - أما بعد فان كنت ذممتنى على الاساءة فلم رضيت لنفسك المكافأة (وله فى التعازى) - أما بعد فان الماضى قبلك الباقى لك والباقى بعدك المأجور فيك وانما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب - أما بعد فان فى الله العزاء من كل هالك والخلف من كل مصاب وانه من لم يتعز بعزاء الله تنقطع نفسه من الدنيا حسرة

كتب معاوية الى عمرو بن العاص وبلغه عنه أمر : وفقك الله لرشدك بلغني كلامك فاذا أوله بطر وآخره خور ومن أبطره الغنى أذله الفقر وهما ضدان مخادعان للمرء عن عقله وأولى الناس بمعرفة الدواء من يبين له الداء والسلام (فأجابه) - طاولتك النعم وطاولت بك علو انصافك يؤمن سطوة جورك ذكرت انى نطقت بما تكره وأنا مخدوع وقد علمت انى ملت الى محبتك ولم أخدع ومثلك شكر مسمى معتذر وعفا عن زلة معترف

﴿ أخبار زياد والحجاج والطالبيين والبرامكة ﴾

قال أحمد بن عبد ربه رضى الله تعالى عنه نحن قائلون بعون الله فى أخبار زياد والحجاج والطالبيين والبرامكة اذ كان هؤلاء الذين جردنا لهم كتابنا هذا قطب الملك الذى عليه مدار السياسة ومعادن التدبير وينابيع البلاغة وجوامع البيان هم راضوا الصعاب حتى لانت مقاودها وخزموا الانوف حتى سكنت شواردها ومارسوا الامور وجربوا الدهور فاحتملوا اعباءها واستفتحوا مغالقها حتى استقرت قواعد الملك وانتظمت قلائد الحكم ونفذت عزائم السلطان

﴿ من أخبار زياد ﴾

كان زياد عاملا لعلى بن أبى طالب على فارس فلما مات على وبايع الحسن معاوية عام الجماعة بقى زياد بفارس وقد ملكها وضبط قلاعها فاغتم به معاوية فأرسل الى المغيرة بن شعبة فلما دخل قال : لكل نبأ مستقر ولكل سر مستودع وأنت موضع سرى وغاية ثقتى فقال المغيرة : يا أمير المؤمنين ان

تستودعني سرك تستودعه ناصحا شفيقا وورعا صديقا فما ذاك يا أمير المؤمنين قال : ذكرت زيادا واعتصامه بأرض فارس ومقامه بها وهو داهية العرب ومعه الأموال وقد تحصن بأرض فارس وقلاعها يدبر الأمور فما يؤمنني أن يبايع لرجل من أهل هذا البيت فاذا هو قد أعادها جَذَعة قال له المغيرة : أتأذن لى فى اتيانه قال : نعم فخرج اليه فلما دخل عليه وجده وهو قاعد فى بيت له مستقبل الشمس فقام اليه زياد ورحب به وسر بقدومه وكان له صديقا فلما تفاوضا فى الحديث قال له المغيرة : أعلمت أن معاوية استخفه الوجل حتى بعثنى اليك ولا نعلم أحدا يمد يده الى هذا الأمر غير الحسن وقد بايع معاوية فخذ لنفسك قبل التوطين فيستغنى عنك معاوية قال : أشر علىّ وارم الغرض الأقصى فان المستشار مؤتمن قال : أرى أن تصل حبلك بحبله وتسير اليه وتعير الناس أذنا صماء وعينا عمياء قال : يابن شعبة لقد قلت قولا لا يكون غرسه فى غير منبته لاأصل له يغذيه ولا ماء يسقيه كما قال زهير :

وهل ينبت الخطى الا وشيجه ... وتغرس الا فى منابتها النخل

ثم قال أرى ويقضى الله

قال عمر بن عبد العزيز وذكر زيادا : سعى لأهل العراق سعى الأم البرّة وجمع لهم جمع الذرة . قال العتبي كان فى مجلس زياد مكتوب الشدة فى غير عنف واللين فى غير ضعف ، المحسن يجازى باحسانه والمسيء يعاقب باساءته الأعطيات فى أيامها ، لا احتجاب عن طارق ليل ولا صاحب ثغر

قدم شُرَيح مع زياد من الكوفة لقضاء البصرة فكان زياد يجلس فى جنبه ويقول له : ان حكمت بشيء ترى غيره أقرب الى الحق منه فأعلمنيه فكان

زياد يحكم فلا يرد شريح عليه فيقول زياد لشريح : ماترى فى هذا الحكم حتى أتاه رجل من الأنصار فقال : أنى قدمت البصرة والخِطط موجودة فأردت أن أختط لى فقال لى بنو عمى وقد اختطوا ونزلوا : أين تخرج عنا أقم معنا واختط عندنا فوسعوا لى فاتخذت فيهم دارا وتزوجت ثم نزغ الشيطان بيننا فقالوا لى : اخرج عنا فقال زياد : ليس لكم ذلك منعتموه أن يختط والخطط موجودة وفى أيديكم فضل فأعطيتموه حتى اذا ضاقت الخطط أخرجتموه وأردتم الاضرار به لايخرج من منزله فقال شريح : يامستعير القدر اردده فقال زياد : يامستعير القدر احبسها ولا تردها — قال محمد بن سيرين القضاء بما قال شريح وقول زياد حسن

ولما عزل عمر بن الخطاب زيادا عن كتابة أبى موسى قال له : أعن عجز أم عن خيانة قال : لا عن واحدة منهما ولكن كرهت أن أحمل العامة على فضل عقلك

﴿ من أخبار الحجاج ﴾

قال أبو وائل : أرسل الحجاج الى فقال لى : مااسمك فقلت : ماأرسل الى الأمير حتى عرف اسمى قال لى : متى هبطت هذه الأرض قلت : حين ساكنت أهلها قال : كم تقرأ من القرآن قلت أقرأ منه ماان اتبعته كفانى قال : انى أريد أن أستعين بك على بعض عملى قلت : ان تستعن بى تستعن بكبير أخرق ضعيف يخاف أعوان السوء وان تدعنى فهو أحبّ الى وان تقحمنى أتقحم قال : ان لم أجد غيرك أقحمتك وان وجدت غيرك لاأقحمك

قلت : وأخرى أكرم الله الأمير انى ماعلمت الناس هابوا أميرا قط هيبتهم لك وانى والله لأتعارّ من الليل فاذكرك فما يأتينى النوم حتى أصبح هذا ولست لك على عمل فأعجبه ذلك وقال : هيه فأعدت عليه الحديث قال أبو وائل : فقمت فعدلت عن الطريق كأنى لاأبصر فقال : اهدوا الشيخ أرشدوا الشيخ

قال الشعبي : أتى بي الحجاج موثقا فلما جئت باب القصر لقيني يزيد بن مسلم كاتبه فقال : انا لله ياشعبي لما بين دفتيك من العلم وليس اليوم بيوم شفاعة قلت له : فما المخرج قال: بؤ للأمير بالشرك والنفاق على نفسك وبالحرى أن تنجو ثم لقيني محمد بن الحجاج فقال لى مثل مقالة يزيد فلما دخلت على الحجاج قال لى : وأنت ياشعبي فيمن خرج علينا قلت : أصلح الله الأمير نبابنا المنزل وأجدب بنا الجناب واستحلسنا الخوف وا كتحلنا السهر وضاق الملك وخبطتنا فتنة لم نكن فيها بررة أتقياء ولا فجرة أقوياء قال : صدق والله مابروا بخروجهم علينا ولا قووا أطلقوا عنه

قدم الحجاج على الوليد بن عبد الملك وعليه درع وعمامة سوداء وقوس عربية وكنانة فبعثت اليه أم البنين من هذا الاعرابى المستلئم فى السلاح عندك وأنت فى غلالة فبعث اليها هذا الحجاج بن يوسف فأعادت الرسول اليه تقول والله لأن يخلو بك ملك الموت أحب الى من أن يخلو بك الحجاج فأخبره الوليد بذلك وهو يمازحه فقال : ياأمير المؤمنين دع عنك مفاكهة النساء بزخرف القول فانما المرأة ريحانة وليست بقهرمانة فلا تطلعها على سرك ومكايدة عدوك فلما دخل الوليد عليها أخبرها بمقالة الحجاج

فقالت : حاجتى أن تأمره غدا يأتينى مسلما ففعل ذلك فأتاها الحجاج فحجبته فلم يزل قائما ثم قالت له : ايه ياحجاج أنت الممتن على أمير المؤمنين بقتلك عبد الله بن الزبير وابن الأشعث أما والله لولا ان الله علم انك من شرار خلقه ماابتلاك برمى الكعبة وقتل ابن ذات النطاقين أول مولود فى الاسلام وأما نهيك أمير المؤمنين عن مفاكهة النساء وبلوغ أوطاره منهن فان كن ينفرجن عن مثلك فما أحقه بالأخذ عنك وان كن ينفرجن عن مثله فغير قابل لقولك أما والله لقد نفض كساء أمير المؤمنين الطيب عن غدائرهن بعثك فى أعطية أهل الشام حتى كنت فى أضيق من الفرق قد أظلتك رماحهم وأثختك صفاحهم وحتى كان أمير المؤمنين أحب اليهم من آبائهم وأبنائهم فما نجاك الله من عدو أمير المؤمنين الا بحبهم اياه ولله در القائل اذ نظر اليك وسنان غزالة بين كتفيك

أسد على وفى الحروب نعامة ... ربداء تجفل من صفير الصافر
هلا برزت الى غزالة فى الوغى ... بل كان قلبك فى مخالب طائر
صدعت غزالة جمعه بعساكر ... تركت كتائبه كأمس الدابر

ثم قالت اخرج فخرج مذموما مدحورا

وخطب الحجاج أهل العراق فقال : يأهل العراق بلغنى أنكم تروون عن نبيكم أنه قال : من ملك على عشر رقاب من المسلمين جىء به يوم القيامة مغلولة يداه الى عنقه حتى يفكه العدل أو يوبقه الجور وايم الله انى لأحب الى أن أحشر مع أبى بكر وعمر مغلولا من أن أحشر معكم مطلقا

وأراد أن يحج فاستخلف محمدا ولده على أهل العراق ثم خطب فقال :

يأهل العراق يأهل الشقاق انى أردت الحج وقد استخلفت عليكم محمداً ولدى وأوصيته فيكم بخلاف ما أوصى به رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الانصار فانه أوصى فيهم أن يقبل من محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم وانى أوصيته أن لا يقبل من محسنكم ولا يتجاوز عن مسيئكم ألا وانكم قائلون بعدى مقالة لا يمنعكم عن اظهارها الا خوفى لا أحسن الله له الصحابة وانا أعجل لكم الجواب فلا أحسن الله عليكم الخلافة ثم نزل

قيل للحجاج : كيف وجدت منزلك بالعراق قال : خير منزل لو أدركت بها أربعة لتقربت الى الله بدمائهم قيل : ومن هم قال : مقاتل بن مسلم ولى سجستان فأتاه الناس فأعطاهم الاموال فلما قدم البصرة بسط له الناس أرديتهم فقال : لمثل هذا فليعمل العاملون وعبد الله بن ظَبْيان قام فخطب خطبة أوجز فيها فنادى الناس من أعراض المسجد أكثر الله فينا أمثالك قال : لقد سألتم الله شططا وسَعيد بن زُرَارة كان ذات يوم جالسا على الطريق فمرت به امرأة فقالت : ياعبد الله أين الطريق الى مكان كذا فغضب وقال : ألمثلى يقال ياعبد الله وأبو سماك الحنفى أضل ناقته فقال : لئن لم يردها على لا صليت أبدا فلما وجدها قال : علم أن يمينى كانت براً قال ناقل هذا الحديث : ونسى الحجاج نفسه وهو خامس الاربعة بل هو أفسقهم وأطغاهم

مات الحجاج فى آخر أيام الوليد فتفجع عليه وولى يزيد بن أبى مسلم كاتب الحجاج مكانه فكفى وجاوز فقال الوليد : مات الحجاج ووليت مكانه يزيد بن أبى مسلم فكنت كمن سقط منه درهم فأصاب ديناراً

ولما مات الحجاج دخل الناس على الوليد يعزونه ويثنون على الحجاج

خيرا وعنده عمر بن عبد العزيز فالتفت اليه ليقول فيه مايقول الناس فقال : يا أمير المؤمنين وهل كان الحجاج الا رجلا منا فرضيها منه

﴿ أخبار البرامكة ﴾

قال سهل بن هرون : انى لأحصل أرزاق العامة بين يدى يحيي بن خالد فى بناء خلا به داخل سرادقه وهو مع الرشيد بالرّقه وهو يعقد جملا بكفه اذ غشيته سآمة فأخذته سنة فغلبته عيناه فقال : ويحك ياسهل طرق النوم شفرى واكلت السنة خواطرى فما ذلك قلت : ضيف كريم ان قربته روحك وان منيته عنتك وان طردته طلبك وان أقصيته أدركك وان غالبته غلبك قال : فنام أقل من فواق بكيّة أو نزع ركية ثم انتبه مذعورا فقال : ياسهل لامر ما كان والله لقد ذهب ملكنا وولى عزنا وانقضت أيام دولتنا فقلت : وما ذاك أصلح الله الوزير قال : كأن منشدا أنشدنى

كأن لم يكن بين الحَجُون الى الصفا   أنيس ولم يسمُر بمكة سامر

فأجبته من غير روية ولا اجالة فكرة

بلى نحن كنا أهلها فأبادنا   صروف الليالى والجدود العواثر

قال : فوالله مازلت أعرفها منه وأراها ظاهرة فيه الى الثالث من يومه ذلك فانى لفى مقعدى بين يديه أكتب توقيعات فى أسافل كتبه لطلاب الحاجات اليه قد كلفنى اكمال معانيها باقامة الوزن فيها اذ وجدت رجلا سعى اليه حتى ارتمى مكبا عليه فرفع رأسه فقال : مهلا ويحك ما اكتتم خير

ولا استرشر قال : قتل أمير المؤمنين جعفرا الساعة قال : أوقد فعل قال : نعم قال : فما زاد على أن رمى القلم من يده وقال : هكذا تقوم الساعة بغتة

وكانت أم جعفر بن يحيي وهى فاطمة بنت محمد بن الحسين بن قحطبة أرضعت الرشيد مع جعفر لانه كان رُبّى في حجرها وغذى بِرَسلها لان أمه ماتت عن مهده فكان الرشيد يشاورها مظهرا لاكرامها والتبرك برأيها وكان آلى وهو فى كفالتها أن لا يحجبها ولا استشفعته لأحد الا شفعها وآلت أم جعفر أن لا دخلت عليه الا مأذونا لها ولا شفعت لاحد مقترف ذنبا قال سهل : فكم أسير فكت ومهم عنده فرجت ومستغلق فتحت

واحتجب الرشيد بعد قدومه فطلبت الاذن عليه من دار البانوقة وَمَتّت بوسائلها اليه فلم يأذن لها ولا أمر بشئ فيها فلما طال ذلك بها خرجت كاشفة وجهها واضعة لثامها محتفية فى مشيها حتي صارت بباب قصر الرشيد فدخل عبد الملك بن الفضل الحاجب فقال : ظئر أمير المؤمنين بالباب فى حالة تقلب شماتة الحاسد الى شفقة أم الواحد فقال الرشيد : ويحك ياعبد الملك أو ساعية قال : نعم ياأمير المؤمنين حافية قال : أدخلها ياعبد الملك فرب كبد غذتها وكربة فرجتها وعورة سترتها قال سهل : فما شككت يومئذ فى النجاة بطلابها واسعافها بحاجتها فدخلت فلما نظر الرشيد اليها داخلة محتفية قام محتفيا حتي تلقاها بين عمد المجلس وأكب على تقبيل رأسها ومواضع ثديها ثم أجلسها معه فقالت : ياأمير المؤمنين أيعدو علينا الزمان ويجفونا خوفا لك الاعوان ويحردك بنا البهتان وقد ربيتك فى حجرى وأخذت برضاعك الامان من عدوى ودهرى فقال لها : وماذلك

يا أم الرشيد قال سهل : فآيسنى من رأفته تركه لكنيتها آخرا ما اطمعنى من بره بها أولا قالت : ظئرك يحي وأبوك بعد أبيك ولا أصفه بأكثر مما عرفه به أمير المؤمنين من نصيحته واشفاقه عليه وتعرضه للحتف فى شأن موسى أخيه قال لها : يا أم الرشيد أمر سبق وقضاء حُم وغضب من الله نفذ قالت : يا أمير المؤمنين يمحو الله مايشاء ويثبت وعنده أم الكتاب قال : صدقت فهذا مما لم يمحه الله فقالت : الغيب محجوب عن النبيين فكيف عنك يا أمير المؤمنين قال سهل : فأطرق الرشيد مليا ثم قال :

واذا المنية أنشبت أظفارها   ألفيت كل تميمة لا تنفع

قالت بغير روية : ما أنا ليحي بتميمة يا أمير المؤمنين وقد قال الأول

واذا افتقرت الى الذخائر لم تجد   ذخرا يكون كصالح الأعمال

هذا بعد قول الله عز وجل : والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين فأطرق هارون مليا ثم قال : يا أم الرشيد أقول

اذا انصرفت نفسى عن الشئ لم تكد   اليه بوجه آخر الدهر تقبل

فقالت : يا أمير المؤمنين وأنا أقول

ستقطع فى الدنيا اذا ما قطعتنى   يمينك فانظر أى كف تبدل

قال هرون : رضيت قالت فهبه لى فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من ترك شيئا لله لم يوجده الله فقده فاكب هرون مليا ثم رفع رأسه يقول : لله الأمر من قبل ومن بعد قالت : يا أمير المؤمنين ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم واذكر يا أمير المؤمنين أليتك ما استشفعت الا شفعتنى قال : واذكرى يا أم الرشيد أليتك ان

لا شفعت لمقترف ذنبا قال سهل : فلما رأته صرح بمنعها ولا ذعن طلبها أخرجت حقا من زمردة خضراء فوضعته بين يديها قال الرشيد : ماهذا ففتحت عنه قفلا من ذهب فأخرجت منه ذوائبه وثناياه قد غمست جميع ذلك فى المسك فقالت : ياأمير المؤمنين استشفع اليك واستعين بالله عليك وبما صار معى من كريم جسدك وطيب جوارحك ليحي عبدك فأخذ هارون ذلك فلثمه ثم استعبر وبكى بكاء شديدا وبكى أهل المجلس ومر البشير الى يحي وهو لا يظن الا ان البكاء رحمة له ورجوع عنه فلما أفاق رمى جميع ذلك فى الحق وقال لها : لَحَسَن ما حفظت الوديعة قالت : وأهل للمكافأة أنت فسكت وأقفل الحق ودفعه اليها وقال : ان الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات الى أهلها قالت : والله يقول واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ويقول : وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم ثم قال : وما ذلك يا أم الرشيد قالت : ماأقسمت لى به ان لاتحجبنى ولاتمهنى قال : ياأم الرشيد أتشريه محكمة فيه قالت : أنصفت وقد فعلت غير مستقيلة لك ولا راجعة عنك قال : بكم قالت برضاك عمن لم يسخطك : قال ياأم الرشيد أمالى عليك من الحق مثل الذى لهم قالت : بلى أنت أعز على وهم أحب الى قال : فتحكمى فى ثمنه بغيرهم قالت : بلى قد وهبتكه وجعلتك فى حل منه وقامت عنه وبقى مبهوتا مايحير لفظة قال سهل وخرجت فلم تعد ولا والله ما رأيت لها عبرة ولا سمعت لها أنة

واعتل يحي فى الحبس فلما أشفى دعا برقعة فكتب فى عنوانها ينفذ أمير المؤمنين عهد مولاه يحي بن خالد وفيها مكتوب بسم الله الرحمن الرحيم

قد تقدم الخصم الى موقف الفصل وأنت على الاثر والله حكم عدل وستقدَم فتعلم

فلما ثقل قال للسجان : هذا عهدى توصله الى أمير المؤمنين فانه ولى نعمتي وأحق من نفذ وصيتى فلما مات يحيي أوصل السجان عهده الى الرشيد قال سهل وأنا عند الرشيد اذ وصلت الرقعة اليه فلما قرأها جعل يكتب فى أسفلها ولا أدرى لمن الرقعة فقلت يا أمير المومنين الا أكفيك قال كلا انى أخاف عادة الراحة أن يتقوى سلطان العجز فيحكم بالغفلة ويقضى بالبلادة ووقع فيها : « الحكم الذى رضيت به فى الآخرة هو أعدى الخصوم عليك وهو من لا ينقض حكمه ولا يرد قضاؤه » قال ثم رمى بالصك الى فلما رأيته علمت انه ليحيي وان الرشيد أراد أن يؤثر الجواب عنه

﴿ أخبار الطالبين ﴾

لما ولى الخلافة أبو العباس السفاح قدم عليه بنو الحسن بن على بن أبى طالب فأعطاهم الأموال وقطع لهم القطائع ثم قال لعبدالله بن الحسن : احتكم على قال : يا أمير المؤمنين بألف ألف درهم فانى لم أرها قط فاستقرضها أبو العباس من ابن أبي مقرن الصيرفى وأمر له بها ثم ان أبا العباس أتى بجوهر مروان فجعل يقلبه وعبد الله بن الحسن عنده فبكى عبد الله فقال : ما يبكيك يا أبا محمد قال : هذا عند بنات مروان وما رأت بنات عمك مثله قط فحباه به ثم أمر أبا مقرن الصيرفى أن يصل اليه ويبتاعه منه فاشتراه منه بثمانين ألف دينار ثم حضر خروج بنى حسن فأرسل معهم رجلا من

ثقاته ثم قال له : قم بأنزالهم ولا تأل فى الطافهـم وكلما خلوت معهم فأظهر الميـل اليهم والتحامل علينا وعلى ناحيتنا وانهم أحق بالامر منا وأحص لى ما يقولون وما يكون منهم فى سيرهم ومقدمهم

فلما قدم عبـد الله بن حسن المدينة اجتمع اليه الفاطميون فجعل يفرق فيهم الأموال التى بعث أبو العباس فعظم بها سرورهم فقال لهم عبـد الله : فرحتم قالوا : وما لنا لا نفرح بما كان محجوبا عنـا بأيدى بنى مروان حتى أتى الله بقرابتنا وبنى عمنا فأصاروه الينا قال لهم : أفرضيتم أن تنالوا هـذا من تحت أيدى قوم آخرين فخرج الرجل الذى كان وكله أبو العباس بأخبارهم فأخبره بما سمع من قولهم وقوله فأخبر أبو العباس أبا جعفر فزادت الامور شرا ثم مات ابو العباس وقام أبو جعفر بالأمر بعـده فبعث بعطاء أهل المدينة وكتب الى عامله ان أعط الناس فى أيديهم ولا تبعث الى أحد بعطائه وتفقد بنى هاشم ومن تخلف منهم ممن حضر وتحفظ بمحمد وابراهيم ابنى عبد الله ففعل وكتب انه لم يتخلف أحد الا محمد وابراهيم ابنا عبد الله فانهما لم يحضرا فكتب أبو جعفر الى عبـد الله بن الحسن يسأله عنهما ويأمره باظهارهما ويخبره انه غير غادر بهما وذلك سنة ١٣٩ هجرية فكتب اليه عبد الله أنه لايدرى أين توجها وأن غيبتهما غير معروفة

لما وجه المنصور عيسى بن موسى فى محاربة بنى عبـد الله بن الحسن قال : يا أبا موسى اذا صرت فى المدينة فادع محمد بن عبـد الله الى الطاعة والدخول فى الجماعة فان اجابك فاقبـل منه وان هرب منك فلا تتبعه وأن أبى الا الحرب فناجزه واستعن بالله عليـه فاذا ظفرت به فلا تخيفن أهل

المدينة وعمهم بالعفو فانهم الأصل والعشيرة وذرية المهاجرين والأنصار وجيران قبر النبي صلى الله عليه وسلم فهذه وصيتي اليك لا كما أوصى يزيد مسلم بن عقبة حين وجهه الى المدينة وأمره أن يقتل من ظهر الى ثنية الوداع وأن يبيحها ثلاثة أيام ففعل فلما بلغ يزيد تمثل بقول ابن الزبعرى فى يوم أحد حيث قال :

ليت أشياخى ببدر شهدوا جزع الخزرج من وقع الاسل

ثم اكتب الى أهل مكة بالعفو عنهم والصفح فانهم آل الله وجيرانه وسكان حرمه وأمنه ومنبت القوم والعشيرة وعظماء البيت والحرم لا يلحد فيه بظلم فانه حرم الله الذى بعث فيه محمداً نبيه صلى الله عليه وسلم وشرف به آباءنا بتشريف الله ايانا فهذه وصيتى لا كما أوصى به الذى وجه الحجاج الى مكة فأمره ان يضع المجانيق على الكعبة وان يلحد فى الحرم بظلم ففعل ذلك فلما بلغه الخبر تمثل بقول عمرو بن كلثوم

ألا لا يجهلن أحد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا

لنا الدنيا ومن أضحى عليها ونبطش حين نبطش قادرينا

لما خرج محمد بن عبد الله بن الحسن بالمدينة فبايعه أهل المدينة وأهل مكة وخرج ابراهيم أخوه بالبصرة فتغلب على البصرة والاهواز وواسط قال سديف بن ميمون فى ذلك

ان الحمامة يوم الشعب من حضن هاجت فؤاد محب دائم الحزن

انا لنأمل ان ترتد الفتنا بعد التباعد والشحناء والاحن

وتنقضى دولة أحكام قادتها فيها كأحكام قوم عابدى وثن

فانهض ببيعتكم ننهض بطاعتنا ... ان الخلافة فيكم يابني حسن
لاعزركن نزار عند نائبة ... ان أسلموك ولا ركن لذي يمن
ألست أكرمهم يوما اذا انتسبوا ... عودا وأنقاهم ثوبا من الدرن
وأعظم الناس عند الله منزلة ... وأبعد الناس من عجز ومن أفن

فلما سمع أبو جعفر هذه الأبيات استطير بها فكتب الى عبدالصمد بن على أن يأخذ سديفا فيدفنه حيا ففعل قال الرياشى : فذكرت هذه الأبيات لأبى جعفر شيخ من أهل بغداد فقال : هذا باطل الأبيات لعبد الله بن مصعب وانما كان سبب قتله سديفا أنه قال أبياتا مبهمة وكتب بها الى أبى جعفر وهى هذه

أسرفت فى قتل الرعية ظالما ... فاكفف يديك أضلها مهديها
فلتأتينك راية حسنية ... جرارة يقتادها حسنيها

* * *

ايام العرب ووقائعها

قال الفقيه أحمد بن عبد ربه رضى الله عنه : قد مضى قولنا فى أخبار زياد والحجاج والبرامكة والطالبيين ونحن القائلون بعون الله وتوفيقه فى أيام العرب ووقائعها فانها مآثر الجاهلية ومكارم الاخلاق السّنية

قيل لبعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما كنتم تتحدثون به اذا خلوتم فى مجالسكم قال : كنا نتناشد الشعر ونتحدث بأخبار جاهليتنا

﴿حروب داحس والغبراء﴾

قال أبو عبيدة : حرب داحِس والغبراء بين عبس وذبيان وكان السبب الذى هاجها أن قيس بن زهير وحَمَل بن بدر تراهنا على داحس والغبراء أيهما يكون له السبق وكان داحس فحلا لقيس وكانت الغبراء حِجْرة لحمل بن بدر وتواضعا الرهان على مائة بعير وجعلا منتهى الغاية مائة غلوة والاضمار أربعين ليلة

ثم قادوهما الى رأس الميدان بعد ان أضمروهما أربعين ليلة وفى طرق الغاية شعاب كثيرة فأكمن حمل بن بدر فى تلك الشعاب فتيانا على طريق الفرسين وأمرهم ان جاء داحس سابقا أن يردوا وجهه عن الغاية قال : فأرسلاهما فأحضرا فلما احضرا خرجت الانثى من الفحل فقال حمل بن بدر : سبقتك ياقيس فقال قيس : رويدا يعدوان الجرد الى الوعث وترشح أعطاف الفحل قال : فلما اوغلا فى الجرد وخرجا الى الوعث برز داحس عن الغبراء فقال قيس : جَرْى المذَكِّيات غِلاء فذهبت مثلا فلما شارف داحس الغاية ودنا من الفتية وثبوا فى وجه داحس فردوه عن الغاية فى ذلك يقول قيس بن زهير:

وما لاقيت من حمل بن بدر واخوته على ذات الأصاد
هموا فخروا على بغير فخر وردوا دون غايته جوادى

وثارت الحرب بين عبس وذبيان ابنى بغيض أربعين سنة لم تنتج لهم ناقة ولا فرس لاشتغالهم بالحرب فبعث حذيفة بن بدر ابنه مالكا الى قيس ابن زهير يطلب منه حق السبق فقال قيس : كلالا مطلتك به ثم أخذ الرمح فطعنه به فوق صلبه ورجعت فرسه غائرة فاجتمع الناس فاحتملوا

دية مالك مائة عُشَراء وزعموا ان الربيع بن زياد حملها وحده فقبضها حذيفة وسكن الناس ثم ان مالك بن زهير نزل اللقاطة من أرض الشربة فأخبر حذيفة بمكانه فعدا عليه فقتله ففي ذلك يقول عنترة الفوارس :

فلله عينا من رأى مثل مالك   عقيرة قوم أن جرى فرسان
فليتهما لم يجريا قيد غلوة   وليتهما لم يرسلا لرهان

فقالت بنو عبس : مالك بن زهير بمالك بن حذيفة وردوا علينا مالنا فأبى حذيفة أن يرد شيئا وكان الربيع بن زياد مجاورا لبنى فزارة ولم يكن في العرب مثله ومثل اخوته وكان يقال لهم الكملة وكان مشاحنا لقيس بن زهير من سبب درع لقيس غلبه عليها الربيع بن زياد فاطرد قيس لبونا لبنى زياد فأتى بها مكة فعاوض بها عبد الله بن جُدعان بسلاح وفى ذلك يقول قيس

ألم يأتيك والأنباء تنمي   بما لاقت لبون بني زياد
ومحبسها على القرشي تشرى   بأدراع وأسياف حداد
وكنت اذا بليت بخصم سوء   دلفت له بداهية الفؤاد

ولما قتل مالك بن زهير قامت بنوا فزارة يسألون ويقولون : مافعل حماركم قالوا : صدناه فقال الربيع : ماهذا الوحى قالوا : قتلنا مالك بن زهير قال : بئس مافعلتم بقومكم قبلتم الدية ثم رضيتم بها وغدرتم قالوا : لولا انك جارنا لقتلناك وكانت خفرة الجار ثلاثا فقالوا له : بعد ثلاث ليال اخرج عنا فخرج واتبعوه فلم يلحقوه حتى لحق بقومه وأتاه قيس بن زهير فعاقده وفى ذلك يقول الربيع

فان تك حربكم أمست عوانا   فانى لم أكن ممن جناها

ولكن وُلد سودة أرثوها وحشوا نارها لمن اصطلاها
فأني غير خاذلكم ولكن سأسعى الآن اذ بلغت مداها

ثم نهضت بنو عبس وحلفاؤهم بنو عبدالله بن غطفان الى بنى فزارة وذبيان ورئيسهم الربيع بن زياد ورئيس بنى فزارة حذيفة بن بدر

﴿ يوم ذى حسا لذبيان على عبس ﴾

ثم ان ذبيان تجمعت لما أصاب بنو عبس يوم المريقب فنزلوا فتوافوا بذى حسا وهو وادى الصفا من أرض الشربة وبينه وبين قَطَن ثلاث ليال وبين اليعمرية ليلة فهربت بنو عبس وخافت أن لا تقوم بجماعة بنى ذبيان واتبعوهم حتى لحقوهم فقالوا : التفانى أو يقيدونا فأشار قيس بن زهير على الربيع بن زياد أن لا يناجزوهم وأن يعطوهم رهائن من أبنائهم حتى ينظروا فى أمرهم فتوافقوا أن يكون رهنهم عند سبيع بن عمرو أحد بنى ثعلبة من بنى ذبيان فدفعوا اليه ثمانية من الصبيان وانصرفوا وتكافّ الناس وكان رأى الربيع مناجزتهم فصرفه قيس عن ذلك فقال الربيع

أقول ولم أملك لقيس نصيحة ارى ما ترى والله بالغيب أعلم
أتبقى على ذبيان فى قتل مالك فقد حش جانى الحرب نارا تضرم

فمكث رهنهم عند سبيع حتى حضرته الوفاة فقال لابنه مالك : ان عندك مكرمة لا ضير ان أنت حفظت هؤلاء الأغيلمة فكأنى بك لو مت قد أتاك خالك حذيفة فعصر عينيه وقال هلك سيدنا ثم خدعك عنهم حتى تدفعهم اليه فيقتلهم فلا تشرف بعدها أبدا فأن خفت ذلك فاذهب بهم الى

قومك فلما هلك سبيع اطاف حذيفة بابنه مالك وخدعه حتي دفعهم اليه فأتى بهم اليعمرية فجعل يبرز كل يوم غلاما فينصبه غرضا ويقول : ناد أباك فينادي اباه حتى يقتله

﴿ يوم الهباءة لعبس على ذبيان ﴾

ثم اجتمعوا فالتقوا فى يوم قائظ الى جنب جفر الهباءة واقتتلوا من بكرة حتى انتصف النهار وحجز الحر بينهم وكان حذيفة بن بدر يحرق فخذيه الركض فقال قيس بن زهير : يابنى عبس ان حذيفة غدا اذا احتدمت الوديقة مستنقع فى جفر الهباءة فعليكم بها فخرجوا حتى وقعوا على صارف فرس حذيفة والحنفاء فرس حمل بن بدر فقال قيس بن زهير : هذا أثر الحنفاء وصارف فقفوا أثرهما حتى توافوا مع الظهيرة على الهباءة فبصر بهم حمل بن بدر فقال لهم : من أبغض الناس اليكم أن يقف على رءوسكم قالوا : قيس بن زهير والربيع بن زياد فقال : هذا قيس بن زهير قد أتاكم فلم ينقض كلامه حتى وقف قيس وأصحابه على جفر الهباءة وقيس يقول لبيكم لبيكم يعنى اجابة الصبية الذين كانوا ينادونهم اذ يقتلون وفى الجفر حذيفة وحمل ومالك أبناء بدر وورقاء بن هلال فوقف عليهم شداد بن معاوية العبسى وهو فارس جروة فرسه ولها يقول

ومن يك سائلا عنى فانى ‏ ‏ وجروة كالشجا تحت الوريد
أقوتها بقوتى ان شتونا ‏ ‏ وألحفها ردائى فى الجليد

فحال بينهم وبين خيلهم ثم توافت فرسان بنى عبس فقال حمل : ناشدتك

الله والرحم ياقيس فقال : لبيكم لبيكم فعرف حذيفة انه لن يدعهم فانتهر حملا وقال : اياك والمأثور من الكلام فذهبت مثلا وقال لقيس : لئن قتلتنى لاتصلح غطفان بعدها فقال قيس : أبعدها الله ولا أصلحها وجاءه قِرواش بِمعَبله فقصم صلبه وابتدره الحارث بن زهير وعمرو بن الاسلع فضرباه بسيفهما حتى دفعا عليه وقتل الربيع بن زياد حمل بن بدر فقال قيس يرثى حملا

تعلم ان خير الناس ميت على جفر الهباءة مايريم
ولولا ظلمه مازلت أبكى عليه الدهر ماطلع النجوم
ولكن الفتى حمل بن بدر بغى والبغى مرتعه وخيم
أظن الحلم دل علىّ قومى وقد يستضعف الرجل الحليم
ومارست الرجال ومارسونى فمعوج على ومستقيم

ومثلوا بحذيفة كما مثل هو بالغلمة

فلما أصيب أهل الهباءة واستعظمت غطفان قتل حذيفة تجمعوا وعرفت بنو عبس أن ليس لهم مقام بأرض غطفان فخرجوا الى اليمامة فنزلوا باخوانهم بنى حنيفة ثم رحلوا عنهم فنزلوا ببنى سعد بن زيد مناة

﴿ يوم الفروق ﴾

ثم أن بنى سعد غدروا بجوارهم فأتوا معاوية الجون فاستجاشوا عليهم وأرادوا أ كلهم فبلغ ذلك بنى عبس فغزوا البلاد وقدموا ظعنهم ووقفت فرسانهم بموضع يقال له الفروق وأغارت بنو سعد ومن معهم من جنود

الملك على محلتهم فلم يجدوا الا مواقد النيران فاتبعوهم حتى أتوا الفروق فاذا بالخيل والفرسان قد توارت فانصرفوا عنهم ومضى بنو عبس فنزلوا ببنى ضبة فأقاموا فيهم وكان بنو حذيفة من بنى عبس يسمون بنى رواحة وبنو بدر بن فزارة يسمون بنى سودة ثم رجعوا الى قومهم فصالحوهم وكان أول من سعى في الحمالة حرملة بن الاشعر فمات فسعى هاشم ابنه وله يقول الشاعر

أحيا أباه هاشم بن حرمله   يوم الهباتين ويوم اليعملة
ترى الملوك حوله مرعبلة   يقتل ذا الذنب ومن لا ذنب له

﴿ حرب البسوس وهى حرب بكر ووائل ابنى تغلب ﴾

لم تجتمع مَعدّ كلها الا على ثلاثة رهط من رؤساء العرب وهم عامر وربيعة وكليب فالأول عامر بن الظرب والثانى ربيعة بن الحارث والثالث كليب بن ربيعة وهو الذى يقال فيه أعز من كليب وائل وقاد معدا كلها يوم حزازى ففض جموع اليمن وهزمهم فاجتمعت عليه معد كلها وجعلوا له قسم الملك وتاجه وتحيته واطاعته معد بذلك حينا من دهره ثم دخله زهو شديد وبغى على قومه لما هو فيه من عزه وانقياد معد له حتى بلغ من بغيه أنه كان يحمى مواقع السحاب فلا يرعى حماه ويجير على الدهر فلا تخفر ذمته ويقول وحش أرض كذا فى جوارى فلا يهاج ولا توردابل أحد مع ابله ولا توقد نار مع ناره حتى قالت العرب أعز من كليب وائل وكانت بنو جشم وبنو شيبان فى دار واحدة بتهامة وكان كليب قد تزوج جليلة بنت مرة بن ذهل بن شيبان وأخوها جساس وكانت البسوس بنت منقذ التميمية

خالة جساس وكانت نازلة فى بنى شيبان مجاورة لجساس وكان لها ناقة يقال لها سراب ولها تقول العرب أشأم من سراب وأشأم من البسوس فمرت ابل لكليب بسراب ناقة البسوس وهى معقولة فلما رأت سراب الابل نازعت عقالها حتى قطعته وتبعت الابل واختلطت بها حتى أتت الى كليب وهو على الحوض معه مريش وكنانة فلما رآها أنكرها فشد عليها بسهم فخزم ضرعها فنفرت الناقة وهى ترغو فلما رأتها البسوس قذفت خمارها عن رأسها وصاحت واذلاه واجاراه

﴿ مقتل كليب ﴾

فأحمست جساسا فركب فرسا له مغرورا به وأخذ آلته وتبعه عمرو بن الحرث بن ذهل على فرسه ومعه رمحه حتى دخلا الحى على كليب فقال له: يا أبا الماجدة عمدت الى ناقة جارتى فعقرتها فقال له: ما مانعى عن أن أذب عن حماى فأحمسه الغضب فطعنه جساس فقصم صلبه وطعنه عمرو بن الحارث من خلفه فقطع بطنه فوقع كليب وهو يفحص برجله وقال لجساس: أغثنى بشربة ماء فقال: تجاوزت شبيثا والأحص

فلما قتل كليب ارتحلت بنو شيبان حتى نزلوا بماء يقال له النهى وتشمر المهلهل أخو كليب واسمه عدى بن ربيعة (وانما قيل له المهلهل لانه أول من هلهل الشعر) واستعد لحرب بكر وترك النساء والغزل وحرم القمار والشراب وجمع اليه قومه فأرسل رجلا منهم الى بنى شيبان يعذر اليهم فيما وقع من الأمر فأتوا مرة بن ذهل وهو فى نادى قومه فقالوا له: انكم أتيتم عظيما

بقتلكم كليبا بناب من الابل فقطعتم الرحم وانتهكتم الحرمة وانا كرهنا العجلة عليكم دون الاعذار اليكم ونحن نعرض عليكم خلالا أربعا لكم منها مخرج ولنا فيها مقنع فقال مرة : وما هى قال : تحيي لنا كليبا أو تدفع الينا جساسا قاتله فنقتله به أو هماما فانه كفء له أو تمكننا من نفسك فان فيك وفاء من دمه

فقال أما احيائى كليبا فهذا ما لا يكون وأما جساس فانه غلام طعن طعنة على عجل ثم ركب فرسه فلا أدرى أى البلاد احتوى عليه وأما همام فانه أبو عشرة وأخو عشرة وعم عشرة وكلهم فرسان قومهم فلن يسلموه لى فأدفعه اليكم يقتل بجريرة غيره وأما أنا فهل هو الا ان تجول الخيل جولة غدا فأكون أول قتيل بينها فما أتعجل من الموت ولكن لكم عندى خصلتان أما احداهما فهؤلاء بنىّ الباقون فعلقوا فى عنق أيهم شئتم نسعة فانطلقوا به الى رحالكم فاذبحوه ذبح الجزور والا فألف ناقة سوداء المقل أقيم لكم بها كفيلا من بنى وائل فغضب القوم وقالوا : لقد أسأت تبذل لنا ولدك هؤلاء وتسومنا اللبن من دم كليب ووقع الحرب بينهم ولحقت جليلة زوجة كليب بأبيها وقومها ودعت النمر بن قاسط فانضمت الى تغلب وصاروا يدا معهم على بكر ولحق بهم عقيلة بن قاسط واعتزلت قبائل بكر بن وائل وكرهوا مجامعة بنى شيبان ومساعدتهم على قتال اخوتهم وأعظموا قتل جساس كليبا بناب من الابل فظعنت لُجَيم عنهم وكفت يشكر عن نصرتهم وانقبض الحارث بن عباد فى أهله وهو أبو بجير وفارس النعامة وقال المهلهل يرثى كليبا

بت ليلى بالأنعمين طويلا   أرقب النجم ساهرا أن يزولا

كيف أهدا ولا يزال قتيل　　من بنى وائل ينسى قتيلا

الى أن قال :

قتلوا ربهم كليبا سفاها　　ثم قالوا ما ان نخاف عويلا
كذبوا والحرام والحل حتى　　يسلب الخدر بيضه المحجولا
ويموت الجنين فى عاطف الـ　　ـرحم وتروى رماحنا والخيولا

وقال أيضاً يرثيه :

كليب لاخير فى الدنيا ومن فيها　　اذ أنت خليتها فيمن يخليها
كليب أى فتى عزاً ومكرمة　　تحت السقائف اذ يعلوك سافيها
نعى النعاة كليبا لى فقلت لهم　　مالت بنا الارض أوزالت رواسيها
الحزم والعزم كانا من طبيعته　　ما كل آلائه ياقوم أحصيها
القائد الخيل تردى فى أعنتها　　زهوا اذا الخيل لجت فى تعاديها
من خيل تغلب ما تلقى أسنتها　　الا وقد خضبوها من أعاديها
ليت السماء على من تحتها وقعت　　وانشقت الارض وانجابت بمن فيها
لا أصلح الله منا من يصالحكم　　مالاحت الشمس فى أعلى مجاريها

وأول وقعة بينهم كانت بالنهى يوم النهى فالتقوا بماء يقال له النهى كانت بنو شيبان نازلة عليه ورئيس تغلب المهلهل ورئيس شيبان الحارث بن مرة فكانت الدائرة لبنى تغلب وكانت الشوكة فى شيبان واستحر القتل فيهم الا أنه لم يقتل فى ذلك اليوم أحد من بنى مرة

﴿ يوم عنيزة ﴾

ثم التقوا بعنيزة فظفرت بنو تغلب ثم كانت بينهم معاودة ووقائع كثيرة

كل ذلك كانت الدائرة فيه لبني تغلب على بنى بكر فمنها يوم الحنو ويوم عويرضات ويوم أنيق ويوم ضرمة ويوم القصيبات هذه كلها لتغلب على بكر أصيبت فيها بكر حتى ظنوا أن ليس يستقبلون أمرهم وقال مهلهل يصف هذه الايام وينعيها على بكر فى قصيدة طويلة أولها :

أليلتنا بذى حسم أنيرى ... اذا أنت انقضيت فلا تحورى
وان يك بالذنائب طال ليلى ... فقد أبكى من الليل القصير

وفيها يقول :

فلو نبش المقابر عن كليب ... لأخبر بالذنائب أى زير
كأنا غدوة وبنى أبينا ... بجنب عنيزة رحيا مدير
وانى قد تركت بواردات ... بجيرا فى دم مثل العبير
هتكت به بيوت بني عباد ... وبعض القتل أشفى للصدور
على أن ليس عدلا من كليب ... اذا برزت مخبأة الخدور
ولولا الريح أسمع من بحجر ... صليل البيض تقرع بالذكور

وقال مهلهل لما أسرف فى الدماء :

أكثرت قتل بنى بكر بربهم ... حتى بكيت وما يبكى لهم أحد
آليت بالله لا أرضى بقتلهم ... حتى أبهرج بكراً أينما وجدوا

قال أبو حاتم أبهرج أدعهم بهرجا لا يقتل فيهم قتيل ولا يؤخذ لهم دية وقال البهرج من الدراهم من هذا وقال المهلهل :

يال بكر أنشروا لى كليبا ... يال بكر أين أين الفرار

وقال :

قتلوا كليبا ثم قالوا اربعوا　　كذبوا ورب الحل والأحرام
حتى تبيد قبيلة وقبيلة　　ويعض كل مثقف بالهام
وتقوم ربات الخدور حواسرا　　يمسحن عرض ذوائب الايتام
حتى يعض الشيخ بعد حميمه　　مما يرى ندما على الابهام

﴿ يوم قضة ﴾

ثم ان مهلهلا أسرف فى القتل ولم يبال بأى قبيلة من قبائل بكر أوقع وكان أكثر بكر قعد عن نصرة بنى شيبان لقتلهم كليب بن وائل فكان الحارث بن عباد اعتزل تلك الحروب حتى قتل ابنه بجير ويقال انه كان ابن أخيه فلما بلغ الحارث قتله قال : نعم قتيلا القتيل أصلح بين ابنى وائل وظن أن المهلهل قد أدرك به ثأر كليب وجعله كُفْئاً له فقيل له انما قتله بشِسع نعل كليب وذلك أن المهلهل لما قتل بجيرا قال : بؤ بشسع نعل كليب فغضب الحارث بن عباد وكان له فرس يقال لها النعامة فركبها وتولى أمر بكر فقتل من تغلب حتى هرب المهلهل وتفرقت قبائل تغلب فقال فى ذلك الحرث ابن عباد :

قربا مربط النعامة منى　　لقحت حرب وائل عن حيال
لم أكن من جناتها علم الله　　وانى بحرها اليوم صال
قربا مربط النعامة منى　　ان قتل الكريم بالشسع غال

وكان اليوم الذى شهده الحارث بن عباد يوم قضة ويوم تحلاق اللمم

وفيه يقول طَرَفة بن العبد

سائلوا عنا الذى يعرفنا　　　مالقينا يوم تحلاق اللمم

وفيه أسر الحارث بن عباد المهلهل وهو لا يعرفه واسمه عدى بن ربيعة فقال الحارث له : دلنى على عدى وأخلى عنك فقال له عدى : عليك العهود بذلك ان دللتك عليه قال : نعم قال : فأنا عدى فجز ناصيته وتركه وقال فيه

لهف نفسى على عدى ولم أعـ　　　ـرف عديا اذ امكنتنى اليدان

ثم ان المهلهل فارق قومه ونزل فى بنى جنب وجنب من مذحج فخطبوا اليه ابنته فمنعهم فأجبروه على تزويجها وساقوا اليه فى صداقها جلودا من أدم فقال فى ذلك

أعزز على تغلب بما لقيت　　　أخت بنى الاكرمين من جُشَم

فضائل الشعر

قال الفقيه أحمد بن عبد ربه : نحن قائلون بعون الله وتوفيقه فى فضائل الشعر ومقاطعه ومخارجه اذ كان الشعر ديوان خاصة العرب والمنظوم من كلامها والمقيد لأيامها والشاهد على حكامها حتى لقد بلغ من كلف العرب وتفضيلها له ان عمدت الى سبع قصائد من الشعر القديم فكتبتها بماء الذهب فى القباطى المدرجة وعلقتها فى أستار الكعبة فمنه يقال مذهبة امرئ القيس ومذهبة زهير . والمذهبات سبع وقد يقال لها المعلقات

اختلف الناس فى أشعر الشعراء قال النبى صلى الله عليه وسلم وذكر

عنده امرؤ القيس بن حُجر : هو قائدهم وصاحب لوائهم وقال عمر بن الخطاب للوفد الذين قدموا عليه من غطفان : من الذى يقول

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة وليس وراء الله للمرء مطلب

قالوا : نابغة بنى ذبيان قال لهم : فمن الذى يقول

أتيتك عاريا خلقا ثيابى على وجل تُظن بى الظنون
فألفيت الامانة لم تخنها كذلك كان نوح لا يخون

قالوا : هو النابغة : قال هو أشعر شعرائكم

وقال أبو عمرو بن العلاء : طرفة أشعرهم واحدة يعنى قصيدته « لخولة أطلال ببرقة ثهمد » وفيها يقول

ستبدى لك الأيام ما كنت جاهلا ويأتيك بالأخبار من لم تزود

وأنشد هذا البيت للنبى صلى الله عليه وسلم فقال : هذا من كلام النبوة

ومن الدليل على عظم قدر الشعر عند العرب وجليل خطبه فى قلوبهم أنه لما بعث النبى صلى الله عليه وسلم بالقرآن المعجز نظمه المحكم تأليفه وأعجب قريشا ماسمعوا منه قالوا : ماهذا الا سحر وقالوا فى النبى . شاعر نتربص به ريب المنون

وقال عمر بن الخطاب : أفضل صناعات الرجل الأبيات من الشعر يقدمها فى حاجاته يستعطف بها قلب الكريم ويستميل بها قلب اللئيم

وقدم أبو ليلى النابغة الجعدى على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنشده شعره الذى يقول فيه

بلغنا السماء مجدنا وجدودنا وانا لنبغى فوق ذلك مظهرا

فقال له النبي : الى أين يا أبا ليلى فقال : الى الجنة يارسول الله بك
فقال النبي : الى الجنة ان شاء الله فلما بلغ قوله

ولا خير فى حلم اذا لم يكن له بوادر تحمى صفوه ان يكدرا
ولا خير فى جهل اذا لم يكن له حليم اذا ما أورد الامر أصدرا

قال النبي : لا يفضض الله فاك فعاش مائة وثلاثين سنة لم تنفض له ثنية

قال أبو جرول الجشمي وكان رئيس قومه : أسرنا النبي صلى الله عليه وسلم يوم حُنين فبينما هو يميز الرجال من النساء اذ وثبت بين يديه فانشدته

امنن علينا رسول الله فى كرم فانك المرء نرجوه وننتظر
امنن على نسوة قد كنت ترضعها يا أرجح الناس حلما حين يختبر
انا لنشكر للنعماء اذ كفرت وعندنا بعد هذا اليوم مدخر

فذكرته حين نشأ فى هوازن وأرضعته فقال : أما ما كان لى ولبنى عبد المطلب فهو لله فقالت الانصار : وما كان لنا فهو لله ولرسوله فردت الانصار ما كان فى أيديها من الذرارى والأموال

سئل مالك بن أنس من أين شاطر ابن الخطاب عماله فقال : أموال كثيرة ظهرت عليهم وان شاعرا كتب اليه يقول

نحج اذا حجوا ونغزو اذا غزوا فأنى لهم وفر ولسنا بذى وفر
اذا التاجر الهندى جاء بفارة من المسك راحت فى مفارقهم تجرى
فدونك مال الله حيث وجدته سيرضون ان شاطرتهم منك بالشطر

قال : فشاطرهم عمر أموالهم

﴿ قولهم فى المدح ﴾

قال ابن عباس : قال لى عمر بن الخطاب : أنشدنى قول زهير فأنشدته قوله فى هرم بن سنان حيث يقول :

قوم أبوهم سنان حين تنسبهم　　طابوا وطاب من الأفلاذ ما ولدوا
لو كان يقعد فوق الشمس من كرم　　قوم بأولهم أو مجدهم قعدوا
جن اذا فزعوا أنس اذا أمنوا　　مرزءون بهاليل اذا احتشدوا
محسدون على ما كان من نعم　　لا ينزع الله منهم ماله حسدوا

فقال له عمر : ما كان أحب الى لو كان هذا الشعر فى أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم

ودخل ابن هرم بن سنان على عمر بن الخطاب فقال له : من أنت قال : أنا ابن هرم بن سنان قال : صاحب زهير قال: نعم قال : أما انه كان يقول فيكم فيحسن قال : كذلك كنا نعطيه فنجزل قال : ذهب ما أعطيتموه وبقى ما أعطاكم . وقال الحطيئة : لما حبسه عمر بن الخطاب فى هجائه للزبرقان بن بدر أبياتا يمدح فيها عمر ويستعطفه فلما قرأها عمر عطف له وأمر باطلاقه والأبيات

ماذا تقول لافراخ بذى مرخ　　زغب الحواصل لا ماء ولا شجر
ألقيت كاسبهم فى قعر مظلمة　　فاغفر عليك سلام الله يا عمر
أنت الأمام الذى من بعد صاحبه　　ألقى اليه مقاليد النهى البشر
ما آثروك بها اذ قلدوك لها　　لكن لانفسهم كانت بها الاثر

﴿ قولهم فى الهجاء ﴾

قال عبد الملك بن مروان : ماهجانى أحد بأوجع من بيت هجانى به ابن الزبير وهو :

فان تصبك من الأيام جائحة لم نبك منك على دنيا ولا دين

وقال بلال بن جرير : سألت أبى أى شئ هجيت به أشد عليك قال : قول البعيث

وكل كليبي صحيفـة وجهه أذل لأقدام الرجال من النعل

وقال كثير فى نُصَيْب وكان أسود ويكنى أبا الحجناء :

رأيت أبا الحجناء فى الناس حائرا ولون أبي الحجناء لون البهائم

تراه على ما لاحه من سواده وان كان مظلوما له وجه ظالم

ذكر محمد بن يزيد النحوى رجلا من الشعراء فقال : لقد هجانى ببيتين أنضج بهما كبدى فاستنشدوه فأنشدهم :

سألنا عن ثمالة كل حى فكل قد أجاب ومن ثمـاله

فقلت محمد بن يزيد منهم فقالوا الآن زدتهم جهاله

﴿ ما يعاب من الشعر وليس بعيب ﴾

قال الأعشى فى فرس النعمان وكان يسمى اليحموم :

ويأمر لليحموم كل عشـية بقتّ وتعليق فقد كاد يسنق

فقالوا : مايمدح أحـد من السوقة فضلا عن المـلوك أن يقوم بفرس ويأمر له بالعلف حتى كاد يسنق وليس هـذا معناه وانما المعني فيه ما قال

أبو عبيدة ان ملوك العرب بلغ من حزمها ونظرها فى العواقب أن أحدهم لايبيت الا وفرسه موقوف بسرجه ولجامه بين يديه مخافة عدو يفجؤه وحالة تصعب عليه فكان للنعمان فرس يقال له اليحموم يتعاهده كل عشية وهذا مما يتمادح به العرب من القيام بالخيل وارتباطها بأفنية البيوت

قال مروان بن الحكم لخالد بن يزيد وقد استنشده من شعره فأنشده

فلو بقيت خلائف آل حرب ولم يلبسهم الدهر المنونا

لاصبح ماء أهل الارض عذبا وأصبح لحم دنياهم سمينا

فقال له مروان : منونا سمينا والله مااضطرك اليها الا العجز . وهذا مما لاعجز فيه ولا عابه أحد فى قوافى الشعر ولا أرى العيب فيه الا على من رآه عيبا لان الياء والواو يتعاقبان في أشعار العرب كلها قديما وحديثا قال عبيد ابن الابرص :

وكل ذى غيبة يؤوب وغائب الموت لايؤوب

من يسأل الناس يحرموه وسائل الله لايخيب

ومثله من المحدثين أبو نُواس

أجارة بيتينا أبوك غيور وميسور مايرجى لديك عسير

وقد عابوا قوله

وأخفت أهل الشرك حتى انه لتخافك النطف التى لم تخلق

فقالوا كيف تخافه النطف التى لم تخلق . ومجاز هذا قريب اذا لحظ أن من خاف شيئاً خافه بجوارحه وسمعه وبصره وروحه والنطف داخلة فى هذه الجملة فهو اذا أخاف أهل الشرك أخاف النطف التى فى أصلابهم

قال الشاعر

ألا ترثى لمكتئب ... يخافك لحمه ودمه

اختلاف الشعراء فى المعنى الواحد

قد يختلف الشعراء فى المعنى الواحد وكل واحد منهم محسن فى مذهبه جار فى توجيهه وان كان بعضه أحسن من بعض ألا ترى أن الشمّاخ بن ضرار يقول فى ناقته

اذا بلغتنى وحملت رحلى ... عرابة فاشرقى بدم الوتين

وقال ابن هانئ فى ضد هذا المعنى ماهو أحسن منه فى محمد الامين

واذا المطى بنا بلغن محمدا ... فظهورهن على الرجال حرام

وقال أيضا

أقول لناقتى اذ أبلغتنى ... لقد أصبحت منى باليمين

فلم أجعلك للغربان نحلا ... ولا قلت اشرقى بدم الوتين

فقد عابوا قول الشماخ واحتجوا بقول النبى صلى الله عليه وسلم للانصارية المأسورة التى نجت على ناقة النبى انى نذرت يارسول الله ان نجانى الله عليها أنحرها قال بئس ماجزيتها ولا نذر لاحد فى ملك غيره

وقال كثير عزة :

أريد لأنسى ذكرها فكأنما ... تمثل لى ليلى بكل مكان

فقالوا : ان كان يحبها فلماذا ينسى ذكرها ألا قال كما قال مجنون بنى عامر :

فلا خفف الرحمن مابى من الهوى ... ولا قطع الرحمن عن حبها حبى

فما سرنى أنى خلى من الهوى ... ولو ان لى ما بين شرق الى غرب

﴿ ما أدرك على الشعراء ﴾

دخل العتابى على الرشيد فأنشده

كأن أذنيه اذا تشوفا ... قادمة أو قلما محرفا

فعلم الناس أنه لحن ولم يهتد أحد الى اصلاح البيت غير الرشيد فانه قال تخال أذنيه . وحدث عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير فقال : أنى بباب المأمون اذ خرج عبد الله بن السمط فقال لى : علمت أن أمير المؤمنين على كماله لا يعرف الشعر قلت له : وبم علمت ذلك قال : أسمعته الساعة بيتا لو شاطرنى عليه ملكه لكان قليلا قلت له : وما البيت فأنشد

أضحى امام الهدى المأمون مشتغلا ... بالدين والناس بالدنيا مشاغيل

قلت له : والله لقد حلم عليك اذ لم يؤدبك عليه ويلك واذا لم يشتغل بالدنيا فمن يدبر أمرها الا قلت كما قال جدك فى عبد العزيز بن مروان

فلا هو فى الدنيا مضيع نصيبه ... ولا عرض الدنيا عن الدين شاغله

ومما عيب على ابن هانىء قوله فى بعض بنى العباس :

كيف لا يدنيك من أمل ... من رسول الله من نفره

فقالوا : ان حق الرسول أن يضاف اليه لا أن يضاف الى غيره ولو اتسع متسع فأجازه لكان له مجاز حسن وذلك أن يقول القائل من بنى هاشم لغيره من أبناء قريش : منا رسول الله يريد أنه من القبيلة التى نحن منها كما قال حسان :

وما زال فى الاسلام من آل هاشم دعائم عز لا ترام ومفخر
بهاليل منهم جعفر وابن أمه على ومنهم أحمد المتخير

﴿ نوادر من الشعر ﴾

قال المأمون لمحمد بن الجهم : أنشدنى بيتا أوله ذم وآخره مدح أولك به كورة فأنشد

قبحت مناظرهم فحين خبرتهم حسنت مناظرهم لحسن المخبر

فقال : زدنى فأنشد

أرادوا ليخفوا قبره عن عدوه فطيب تراب القبر دل على القبر

فولاه الدّينور

قال الرشيد للمفضل الضبي : أنشدنى بيتا أوله اعرابى فى شملته هب من نومته وآخره مدنى رقيق غذى بماء العقيق قال المفضل : هولت على يا أمير المؤمنين فما هو فقال بيت جميل

ألا أيها النوام ويحكمو هبوا أسائلكم هل يقتل الرجل الحب

فقال المفضل له : فأخبرنى عن بيت أوله أكثم بن صيفى فى اصابة الرأى وآخره بقراط الطبيب فى معرفته بالداء والدواء فقال هرون : ما هو قال : بيت ابن هانئ حيث يقول :

دع عنك لومى فان اللوم اغراء وداونى بالتى كانت هى الداء

قال : صدقت

كان رجل يدعى الشعر ويستبرده قومه فقال لهم : انما تستبردوننى من

طريق الحسد قالوا : فبيننا وبينك بشار العقيلى فارتفعوا اليه فقال له : أنشدنى فأنشده فلما فرغ قال له بشار : انى لأظنك من أهل بيت النبوة قال له : وما ذلك قال : ان الله يقول وما علمناه الشعر وما ينبغى له فضحك القوم وخرجوا عنه

﴿ فى الألحان واختلاف الناس فيها ﴾

قال أبو عمرو أحمد بن عبد ربه : قد مضى قولنا فى الشعر ونحن قائلون بعون الله وتوفيقه فى علم الألحان واختلاف الناس فيه ومن كرهه ومن استحسنه وكرهنا أن يكون كتابنا هذا بعد اشتماله على فنون الآداب والحكم والنوادر والأمثال عطلا من هذه الصناعة التى هى مراد السمع ومرتع النفس وربيع القلب ومجال الهوى ومسلاة الكئيب وأنس الوحيد وزاد الراكب لعظم موقع الصوت الحسن من القلب وأخذه بمجامع النفس

﴿ فصل فى الصوت الحسن ﴾

قال بعض أهل التفسير فى قول الله يزيد فى الخلق ما يشاء : هو الصوت الحسن وزعم أهل الطب أن الصوت الحسن يسرى فى الجسم ويجرى فى العروق فيصفو له الدم ويرتاح له القلب وتنمو له النفس وتهتز له الجوارح وتخف له الحركات ومن ذلك كرهوا للطفل أن ينوم على أثر البكاء حتى يرقص ويطرب وبعد فهل خلق الله شيئا أوقع بالقلوب وأشد اختلاسا للعقول من الصوت الحسن وهل على الارض رعديد مستطار الفؤاد يغنى

بقول جرير بن الخطفى

قل للجبان اذا تأخر سرجه　　هل أنت من شرك المنية ناجى

الاثاب اليه روحه وقوى قلبه أم هل على الأرض بخيل قد تقطعت أطرافه لؤما ثم غنى بقول حاتم الطائى

يرى البخيل سبيل المال واحدة　　ان الجواد يرى فى ماله سبلا

الا انبسطت أنامله ورشحت أطرافه أم هل على الأرض غريب نازح الدار بعيد المحل يغنى بقول على بن الجهم

ياوحشتا للغريب فى البلد النـ　　ـازح ماذا بنفسه صنعا

فارق أحبابه فما انتفعوا　　بالعيش من بعده ولا انتفعا

يقول فى نأيه وغربته　　عدل من الله كل ما صنعا

الا انقطعت كبده حنينا الى وطنه وتشوقا الى سكنه

﴿ اختلاف الناس فى الغناء ﴾

احتجوا فى اباحة الغناء بحديث عبد الله بن أويس ابن عم مالك وكان من أفضل رجال الزهرى قال : مر النبى صلى الله عليه وسلم بجارية فى ظل فارع وهى تغنى

هل علىّ ويحكم　　ان لهوت من حرج

فقال النبي : لا حرج ان شاء الله . عن ابن جريج قال : سألت عطاء عن قراءة القرآن على ألحان الغناء والحداء فقال : ومابأس ذلك يا ابن أخى

ومن حجة من كره الغناء أن قال : انه يسعر القلوب ويستفز العقول

ويستخف الحليم ويبعث على اللهو ويحض على الطرب وهو باطل فى أصله وتأولوا ذلك فى قول الله عز وجل : ومن الناس من يشترى لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزوا وأخطأوا فى التأويل انما نزلت هذه الآية فى قوم كانوا يشترون الكتب من أخبار السير والاحاديث القديمة ويضاهون بها القرآن ويقولون انها أفضل منه وليس من سمع الغناء يتخذ آيات الله هزوا وأعدل الوجوه فى هذا أن يكون سبيله سبيل الشعر فحسنه حسن وقبيحه قبيح

وقد حدث ابراهيم بن المنذر الخزاعى أن ابن جامع السهمى قدم مكة بمال كثير ففرقه فى ضعفاء أهله فقال سفيان بن عيينة : بلغنى ان هذا السهمى قدم بمال كثير قالوا : نعم قال : فعلام يعطى قالوا : يغنى الملوك فيعطونه قال : وبأى شئ يغنيهم قالوا : بالشعر قال : فكيف يقول فقال له فتى من تلاميذه : يقول

أطوف بالبيت مع من يطوف ... وأرفع من مئزرى المسبل

قال بارك الله عليه : ما أحسن ما قال ثم ماذا قال :

وأسجد بالليل حتى الصباح ... وأتلو من المحكم المنزل

قال : وأحسن أيضا أحسن الله اليه ثم ماذا قال :

عسى فارج الهم عن يوسف ... يسخر لى ربة المحمل

قال : أمسك أمسك أفسد آخرا ما أصلح أولا . ألا ترى سفيان رحمه الله حسن الحسن من قوله وقبح القبيح

كان عبد الله بن عمر يحب عبد الله بن جعفر فدخل عليه فوجد جارية

معها عود فقال : ما هـذا قال ابن جعفر : ما تظن به يا أبا عبـد الرحمن فان أصاب ظنك فلك الجارية قال : ما أرانى الا قد أخذتها هـذا ميزان رومى فضحك ابن جعفر وقال : صدقت هذا ميزان يوزن به الكلام والجارية لك ثم قال : هاتى فغنت

أيا شوقا الى البلد الامين وحيّ بين زمزم والحجون

ثم قال له : هل ترى بأسا قال : هل غير هذا قال : لا قال : فما أرى بهذا بأسا

كان معاوية يعيب من ابن جعفر سماع الغناء فأقبل معاوية عاما من ذلك حاجا فنزل المدينة فمر ليلة بدار عبد الله بن جعفر فسمع عنده غناء على أوتار فوقف ساعة يستمع ثم مضى وهو يقول : أستغفر الله فلما انصرف من آخر الليل مر بداره أيضا فاذا عبد الله قائم يصلى فوقف ليستمع قراءته فقال : الحمد لله ثم نهض وهو يقول : خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله أن يتوب عليهم فلما بلغ ابن جعفر ذلك أعـد له طعاما ودعاه الى منزله وأحضر ابن صياد المغنى ثم تقدم اليه يقول : اذا رأيت معاوية واضعا يده فى الطعام فحرك أوتارك وغن فلما وضع معاوية يده فى الطعام حرك ابن صياد أوتاره فغنى بشعر عدي بن زيد وكان معاوية يعجب به

يالُبَينى أوقـدى النار ان من تهوين قد حارا

رب نار بت أرمقها تقضم الهنـدى والغارا

قال : فأعجب معاوية غناؤه حتى قبض يده عن الطعام وجعل يضرب برجله الارض طربا فقال ابن جعفر يا أمير المؤمنين انما هو مختار الشعر يركب

عليه مختار الألحان فهل ترى به بأسا قال : لا بأس بحكمة الشعر مع حكمة الألحان

قدم الفرزدق المدينة فنزل على الأحوص بن محمد بن عبد الله بن عاصم فقال الأحوص : ألا أسمعك غناء قال تغن فغناه

أتنسى اذ تودعنا سليمى بعود بشامة سقى البشام
بنفسي من تجنيه عزيز عليّ ومن زيارته لمام
ومن أمسي وأصبح لا أراه ويطرقني اذا هجع النيام

فقال الفرزدق : لمن هذا الشعر قال : لجرير ثم غناه

ان الذين غدوا بلبك غادروا وَشَلا بعينك ما يزال مَعينا
غيضن من عبراتهن وقلن لى ماذا لقيت من الهوى ولقينا

فقال : لمن ذا الشعر فقال : لجرير ثم غناه

أسرى لخالدة الخيال ولا أرى شيئا ألذ من الخيال الطارق
أن البلية من يمل حديثه فانقع فؤادك من حديث الوامق

فقال : لمن هذا الشعر فقال : لجرير فقال : ما أحوجه مع عفافه الى خشونة شعري وما أحوجني مع فسوقي الى رقة شعره

﴿ أصل الغناء ومعدنه ﴾

قال أبو المنذر هشام بن الكلبي : الغناء على ثلاثة أوجه النَّصب والسِّناد والهزج فأما النصب فغناء الركبان والقَينات وأما السناد فالثقيل الترجيع الكثير النغمات وأما الهزج فالخفيف كله وهو الذى يثير القلوب ويهيج

الحليم وانما كان أصل الغناء ومعدنه فى أمهات القرى من بلاد العرب ظاهرا فاشيا وهى المدينة والطائف وخيبر ووادى القرى ودُومة الجندل واليمامة وكان أول من غنى فى العرب قينتان لعاد يقال لهما الجرادتان ومن غنائهما

ألا ياقيل ويحك قم فهينم　　لعل الله يصبحنا غماما

وأنما غنتا بهذا حين حبس عنهما المطر

وكان أول من غنى فى الاسلام طُوَيس وعلم ابن سرَيج والدلال ونؤومة الضحى ومن غنائه وهو أول صوت غنى فى الاسلام

قد برانى الشوق حتى　　كدت من شوق أذوب

﴿أخبار المغنين﴾

أولهم طويس — لما ولى أبان بن عثمان بن عفان المدينة لمعاوية قعد فى بهو له عظيم واصطف له الناس فجاء طويس المغنى وقد خضب يديه واشتمل على دف له وعليه ملاءة مصقولة فسلم ثم قال : بأبى وأمى يا أبان الحمد لله الذى أرانيك أميرا على المدينة انى نذرت لله فيك نذرا ان رأيتك أن أخضب يدى واشتمل على دفى وآتى مجلس امارتك واغنيك صوتا قال : ياطويس ليس هذا موضع ذاك قال : بأبى أنت وأمى يابن الطيب أبحنى قال : هات ياطويس فحسر عن ذراعيه وألقى رداءه ومشى بين السماطين وغنى

ما بال أهلك ياًرباب　　خُزْرا كأنهم غضاب

فصفق أبان بيديه ثم قام عن مجلسه فاحتضنه وقبله بين عينيه

وكان لهرون الرشيد جماعة من المغنين منهم ابراهيم الموصلى وابن جامع السهمى ومخارق وغيرهم قال اسحاق بن ابراهيم الموصلى : لما أفضت الخلافة الى المأمون أقام عشرين شهرا لم يسمع حرفا من الغناء ثم كان أول من تغنى بحضرته أبو عيسى ثم واظب على السماع وسأل عنى فجرحنى عنده بعض من حسدنى فقال : ذلك رجل يتيه على الخلافة فأمسك المأمون عن ذكرى وجفانى كل من كان يصلنى لما ظهر من سوء رأيه فىّ فأضر ذلك بى حتى جاءنى يوما عُلَوِيّة فقال : اتأذن لى اليوم فى ذكرك فانى اليوم عنده فقلت : لا ولكن غنه بهذا الشعر فانه سيبعثه على أن يسألك من أين هذا فيفتح لك ما تريد ويكون الجواب أسهل عليك من الابتداء فمضى علوية فلما استقر به المجلس غناه الشعر الذى أمرت به وهو

يامشرع الماء قدسدت مسالكه   أما اليك سبيل غير مسدود

لحائم حار حتى لا حياة به   مشرد عن طريق الماء مطرود

فلما سمعه المأمون قال : ويلك لمن هذا قال : ياسيدى لعبد من عبيدك جفوته واطرحته قال : اسحق قلت : نعم قال : ليحضر الساعة قال اسحق : فجاءنى الرسول فصرت اليه فلما دخلت قال : ادن فدنوت فرفع يديه مادّهما فانحنيت فاحتضننى بيديه وأظهر من اكرامى وبرى مالو أظهره صديق لى مواس لسرنى

كان ابراهيم بن المهدى داهية عاقلا عالما بأيام الناس شاعرا مفلقا وكان

يصوغ فيجيد وكان ابراهيم قد خالف على المأمون ودعا الى نفسه فظفر به المأمون فعفا عنه وقال لما ظفر به المأمون

ذهبت من الدنيا كما ذهبت منى هوى الدهر بى عنها وأهوى بها عنى
فان أبك نفسى أبك نفسا عزيزة وان أحتسبها أحتسبها على ضنى

قال : فلما فتحت له أبواب الرضا من المأمون غنى بهما بين يديه فقال له المأمون : أحسنت والله يا أمير المؤمنين فقام ابراهيم رهبة من ذلك وقال : قتلتنى والله يا أمير المؤمنين لا والله ان جلست حتى تسمينى باسمى قال : اجلس يا ابراهيم فكان بعد ذلك آثر الناس عند المأمون ينادمه ويسامره ويغنيه فحدثه يوما فقال : بينا أنا مع أبيك يوما بطريق مكة اذ تخلفت عن الرفقة وانفردت وحدى وعطشت وجعلت أطلب الرفقة فأتيت الى بئر فاذا حبشى نائم عندها فقلت له : يانائم قم فاسقنى فقال : ان كنت عطشان فانزل واستق بنفسك فخطر ببالى صوت فترنمت به وهو

كفنانى ان مت فى درع أروى واسقيانى من بئر عروة ماء

فلما سمع نشط مسرورا وقال : والله هذه بئر عروة فعجبت يا أمير المؤمنين لما خطر ببالى فى هذا الموضع ثم قال : أسقيك على أن تغنينى فقلت : نعم فلم أزل أغنيه وهو يجبذ الحبل حتى سقانى وأروى دابتى ثم قال : أدلك على موضع العسكر على أن تغنينى قلت : نعم فلم يزل يعدو بين يدى وأنا أغنيه حتى أشرفنا على العسكر فانصرفت وأتيت الرشيد فحدثته بذلك فضحك ثم رجعنا من حجنا فاذا هو قد تلقانى وأنا عديل الرشيد فلما رآنى قال : مغن والله قيل له : أتقول هذا لأخى أمير المؤمنين قال : أى لعمر الله لقد غنانى

وأهدى الى أقطا وتمرا فأمرت له بصلة وكسوة وأمر له الرشيد بكسوة أيضا فضحك المأمون وقال: غنى الصوت فغنيته فافتتن به فكان لا يقترح على غيره ومن غنائه فى المأمون

الا انما المأمون للناس عصمة مميزة بين الضلالة والرشد
رأى الله عبدالله خير عباده فملكه والله أعلم بالعبد

وكان خالد صامه من أحسن الناس ضربا بالعود قال: قدمت على الوليد ابن يزيد فى مجلس ناهيك به من مجلس فألفيته على سريره وبين يديه معبد ومالك بن أبي السمح وابن عائشة وأبو كميل وغزيل الدمشقى وكانوا يغنون حتى بلغت النوبة الى فغنيته

سرى همى وهم المرء يسرى وغاب النجم الا قيد فتر
لهم ما أزال له قرينا كأن القلب أودع حر جمر
على بكر أخى فارقت بكرا وأى العيش يصلح بعد بكر

فقال: أعد ياصام ففعلت فقالى لى: من يقول هذا الشعر قلت: عروة ابن أذينة يرثى أخاه بكرا قال الوليد: لقد حجر واسمءا هذا والله العيش الذى نحن فيه يصلح على رغم أنفه

﴿ فى النساء وصفاتهن ﴾

قال صاحب العقد الفريد: قد مضى قولنا في الغناء واختلاف الناس فيه ونحن قائلون بعون الله وتوفيقه فى النساء وصفاتهن وما يحمد ويذم من عشرتهن اذ كان كله مقصورا على الحليلة الصالحة والزوجة الموافقة والبلاء

كله موكل بالقرينة السوء التي لا تسكن النفس الى كريم عشرتها ولا تقر العين برؤيتها

فى حكمة سليمان بن داود المرأة العاقلة تبنى بيتها والسفيهة تهدم وقال : الجمال كاذب والحسن مخلف وانما تستحق المدح المرأة الموافقة

خطب عمرو بن حجر الى عوف بن محلم الشيبانى ابنته فقال : نعم ازوجكها على أن أسمى بنيها وأزوج بناتها فقال عمرو : أما بنونا فنسميهم بأسمائنا وأسماء آبائنا وعمومتنا وأما بناتنا فنزوجهن أكفاءنا من الملوك ولكنى أصدقها عقارا فى كندة وأمنحها حاجات قومها لا ترد لأحد منهم حاجة فقبل ذلك منه أبوها فلما كان بناؤها به خلت بها أمها فقالت :

« أى بنية انك فارقت بيتك الذى منه خرجت وعشك الذى فيه درجت الى رجل لم تعرفيه وقرين لم تألفيه فكونى له أمة يكن لك عبدا واحفظى له خصالا عشرا يكن لك ذخرا أما الاولى والثانية فالخشوع له بالقناعة وحسن السمع له والطاعة وأما الثالثة والرابعة فالتفقد لموضع عينه وأنفه فلا تقع عينه منك على قبيح ولا يشم منك الا اطيب ريح وأما الخامسة والسادسة فالتفقد لوقت طعامه ومنامه فان تواتر الجوع ملهبة وتنغيص النوم مغضبة وأما السابعة والثامنة فالاحتراس بماله والارعاء على حشمه وعياله وملاك الأمر فى المال حسن التقدير وفى العيال حسن التدبير وأما التاسعة والعاشرة فلا تعصين له أمرا ولا تفشين له سرا فانك ان عصيت امره او غرت صدره وان أفشيت سره لم تأمنى غدره ثم اياك والفرح بين يديه اذا كان مهتما والكآبة بين يديه اذا كان فرحا » فولدت

له الحارث بن عمرو جد امرىء القيس الشاعر

ذكروا أن هند بنت عتبة قالت لابيها : لا تزوجنى من أحد حتى تعرض علىّ أمره وتبين لى خصاله فخطبها أبو سفيان وسهيل بن عمرو فدخل عليها أبوها يقول

أتاك سهيل وابن حرب وفيهما رضا لك ياهند الهنود ومقنع

وما منهما الا يواسى بفضله وما منهما الا يضر وينفع

وما منهما الا كريم مرزأ وما منهما الا أغر سميدع

فدونك فاختارى فأنت بصيرة ولا تخدعى أن المخادع يخدع

قالت : ياأبت والله ما أصنع بهذا شيئا ولكن فسر لى أمرهما وبين لى خصالهما حتى أختار أشدهما موافقة لى فبدأ بذكر سهيل فقال : فى ثروة وسعة من العيش ان تابعته تابعك وان ملت عنه حط اليك تحكمين عليه فى أهله وماله وأما الآخر فموسع عليه منظور اليه فى الحسب الحسيب والرأى الأريب بدره أرومته وعز عشيرته شديد الغيرة كبير الطهرة فقالت ياأبت : الاول سيد مضياع للحرة فما عست أن تلين بعدأبائها وتضيع تحت جناحه اذا تابعها بعلها فأشرت وخافها أهلها فأمنت فساء عند ذلك حالها وقبح دلالها فان جاءت بولد أحمقت وان انجبت فمن خطأ ما أنجبت فاطو ذكر هذا عنى ولا تسمه علىّ بعد وأما الآخر فبعل الفتاة الخريدة الحرة العفيفة وأنى للتى لا أريب له عشيرة فتعيره ولا تصيره بذعر فتضيره وانى لأخلاق مثل هذا لموافقة فزوجنيه . فزوجها من أبى سفيان فولدت له معاوية وقبله يزيد

قال على بن أبي طالب للنبي صلى الله عليه وسلم : لو تزوجت أم هانئ بنت ابى طالب فقد جعل الله لها قرابة فتكون صهرا أيضا فخطبها فقالت : والله لهو أحب الى من سمعى وبصرى ولكن حقه عظيم وأنا مؤتمة فان قمت بحقه خفت أن اضيع ايتامى وان قمت بأمرهم قصرت عن حقه فقال النبى صلى الله عليه وسلم : خير نساء ركبن الابل نساء قريش احناها على ولد فى صغره وأرعاها على بعل فى ذات يده ولو علمت ان مريم ابنة عمران ركبت جملا لاستثنيتها . قال رجل للحسن : ان لى بنية فمن ترى أن ازوجها فقال : زوجها ممن يتقى الله فان احبها أكرمها وان ابغضها لم يظلمها. وقيل للحسن : فلان خطب الينا فلانة فقال : اهو موسر من عقل ودين قال : نعم قال : فزوجوه عن الاصمعى قال : اخبرنى رجل من بنى العنبر عن رجل من أصحابه كان مقلا فخطب اليه مكثر من مال مقل من عقل فشاور فيه رجلا يقال له أبو يزيد فقال : لا تفعل ولا تزوج الا عاقلا دينا فانه ان لم يكرمها لم يظلمها ثم شاور رجلا آخر يقال له أبو العلاء فقال له : زوجها فان ماله لها وحمقه على نفسه فزوجه فرأى منه ما يكره فى نفسه وابنته فقال :

ألهفى اذ عصيت أبا يزيد ولهفى اذ أطعت ابا العلاء
وكانت هفوة من غير ريح وكانت زلقة من غير ماء

﴿ صفة المرأة السوء ﴾ — قال النبى صلى الله عليه وسلم : اياكم وخضراء الدمن يريد الجارية الحسناء فى المنبت السوء . وفى حكمة داود المرأة السوء مثل شرك الصياد لا ينجو منها الا من رضى الله عنه

قال بعض الشعراء :

لقد كنت محتاجا الى موت زوجتى ولـكن قرين السوء باق معمر
فياليتها صارت الى القبر عاجلا وعذبها فيه نكير ومنكر

﴿ من أخبار النساء ﴾ — لما قتل مصعب بن الزبير زوجة المختار بن أبى عبيد أنكر الناس ذلك عليه وأعظموه لانه أتى بما نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه فى نساء المشركين فقال عمر بن أبى ربيعة :

ان من أعظم الكبائر عندى قتل حسناء غادة عطبول
قتلت باطلا على غير ذنب ان لله درها من قتيل
كتب القتل والقتال علينا وعلى الغانيات جر الذيول

ولما خرجت الخوارج بالأهواز أخذوا امرأة فهموا بقتلها فقالت لهم : أتقتلون من ينشأ فى الحلية وهو فى الخصام غير مبين فأمسكوا عنها

﴿ فى الطلاق ﴾

قال الحسن بن على لامرأته عائشة بنت طلحة : أمرك بيدك فقالت : قد كان بيدك عشرين سنة فأحسنت حفظه فلا أضيعه اذ صار بيدى ساعة واحدة وقد صرفته اليك فأعجبه ذلك منها وأمسكها

كان تحت العريان بن الاسود بنت عم له فطلقها فتبعتها نفسه فكتب اليها يعرض لها بالرجوع فكتبت اليه

ان كنت ذا حاجة فاطلب لها بدلا ان الغزال الذى ضيعت مشغول

فكتب اليها

من كان ذا حاجة فالله يكلؤه وقد لهونا به والحبل موصول

وطلق الوليد بن يزيد امرأته سعدى فلما تزوجت اشتد ذلك عليه وندم على ما كان منه فدخل عليه أشعب فقال له : أبلغ سعدى عنى رسالة ولك خمسة آلاف درهم فقال : عجلها فأمر له بها فلما قبضها قال : هات رسالتك فأنشد

أسعدى ماالیك لنا سبیل　　ولا حتى القيامة من تلاق
بلى ولعل دهرا أن يؤاتى　　بموت من خليلك أوفراق

فأتاها فاستأذن فدخل عليها فقالت : ما بدالك فى زيارتنا يا أشعب فقال : ياسيدتى ارسلنى اليك الوليد برسالة وأنشدها الشعر فقالت لجواريها : خذن هذا الخبيث فقال : ياسيدتى انه جعل لى خمسة آلاف درهم قالت : والله لأعاقبنك أو لتبلغن اليه ما أقول لك قال : ياسيدتى اجعلى لى شيئاً فقالت : لك بساطى هذا قال : قومى عنه فقامت عنه وألقاه على ظهره وقال: هاتى برسالتك فقالت : أنشده

اتبكى على سعدى وانت تركتها　　فقد ذهبت سعدى فماأنت صانع

فلما بلغه وانشده الشعر سقط فى يده وأخذته كظمة ثم سرى عنه فقال : اختر واحدة من ثلاث أما ان نقتلك وأما ان نطرحك من هذا القصر وأما ان نلقيك الى هذه السباع فتحير اشعب واطرق حينا ثم رفع رأسه وقال : ياسيدى ما كنت لتعذب عينين نظرتا الى سعدى فتبسم وخلى سبيله

وطلق عبد الرحمن بن أبى بكر امرأته بأمر أبيه ثم دخل عليه فسمعه يتمثل

فلم أر مثلى طلق اليوم مثلها　　ولا مثلها فى غير شىء تطلق

فأمره بمراجعتها

قال ابو مخزوم : قال لى الفرزدق يوما : امض بنا الى حلقة الحسن فانى أريد ان أطلق النوّار فقلت له : انى أخاف ان تتبعها نفسك ويشهد عليك الحسن واصحابه قال : انهض بنا فجئنا حتى وقفنا على الحسن فقال : كيف أصبحت اباسعيد قال : بخير كيف أصبحت أبا فراس فقال: تعلمن انى طلقت النوار ثلاثا فقال الحسن وأصحابه :قد سمعنا فانطلقنا فقال لى الفرزدق : ياهذا ان فى نفسى من النوار شيئا فقلت : قد حذرتك فقال :

ندمت ندامة الكسعى لما   غدت منى مطلقة نوار
وكانت جنتى فخرجت منها   كآدم حين أخرجه الضرار
ولو انى ملكت بها يمينى   لكان على للقدر الخيار

وممن طلق امرأته وتبعتها نفسه قيس بن ذريح وكان أبوه امره بطلاقها فطلقها وندم وقال فى ذلك

فوا كبدى على تسريح لبنى   فكان فراق لبنى كالخداع
تكنفنى الوشاة فأزعجونى   فيا للناس للواشى المطاع
فأصبحت الغداة الوم نفسى   على امر وليس بمستطاع
كمغبون يعض على يديه   تبين غبنه بعد البياع

﴿ المتنبئون ﴾

قال أبو الطيب الربذى : اخذ رجل ادعى النبوة أيام المهدى فأدخل عليه فقال له : انت نبى قال : نعم قال : والى من بعثت قال : أو تركتمونى

اذهب الى أحد ساعة بعثت وضعتموني في الحبس فضحك منه المهدى وخلى سبيله

وادعى رجل النبوة بالبصرة فأتي به سليمان بن علي مقيدا فقال له : انت نبي مرسل قال : أما الساعة فأنى مقيد قال : ويحك من بعثك فقال : ابهذا يخاطب الانبياء ياضعيف والله لولا انى مقيد لأمرت جبريل يدمدمها عليكم قال : فالمقيد لاتجاب له دعوة فقال : نعم الانبياء خاصة فضحك سليمان وقال له : أنا اطلقك وأمر جبريل فان أطاعك آمنابك وصدقناك فقال : صدق الله فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم فضحك سليمان وسأل عنه فشهد عنده انه ممرور فخلى سبيله

ادعى رجل النبوة فى أيام المهدى فأدخل عليه فقال له : أنت نبي فقال : نعم قال : ومتى نبئت فقال : وما تصنع بالتاريخ قال : ففى أى المواضع جاءتك النبوة فقال : وقعنا والله فى شغل ليس هذا من مسائل الانبياء فان كان رأيك أن تصدقنى فى كل ما قلت لك فاعمل بقولى وان كنت عزمت على تكذيبي فدعنى أذهب عنك قال المهدى : هذا مالا يجوز اذ كان فيه فساد الدين فقال : واعجبا لك تغضب لدينك ولا اغضب انا لفساد نبوتى انت والله ماقويت الا بمعن بن زائدة والحسن بن قحطبة وما أشبههما من قوادك وكان على يمين المهدى شريك القاضي فقال المهدى ماتقول ياشريك في هذا النبي قال شاورت هذا فى امرى وتركت ان تشاورنى قال : هات ما عندك فقال احاكمك فيما جاء به الرسل قبلى قال : رضيت فقال : اكافر عندك أنا أم مؤمن قال : كافر فقال : فان الله يقول

ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع أذاهم فلا تطعنى ولا تؤذنى ودعنى اذهب الى الضعفاء والمساكين فأنهم أتباع الانبياء وأدع الملوك والجبابرة فانهم حطب جهنم فضحك المهدى وخلى سبيله

ادعى رجل النبوة فى زمن خالد بن عبد الله القسرى وعارض القرآن فأتى به خالد فقال له : ما تقول فقال : عارضت فى القرآن ما يقول الله تعالى : انا أعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر ان شانئك هو الأبتر فقلت انا ما هو أحسن من هذا : انا اعطيناك الجماهر فصل لربك وجاهر ولا تطع كل ساحر فأمر به خالد فضربت عنقه وصلب على خشبة فمر به خلف بن خليفة الشاعر وقال : انا أعطيناك العمود فصل لربك على عود وأنا ضامن أن لا تعود

﴿ الممرورون ﴾

كان بالبصرة ممرور يقال له عَلْيان بن أبى مالك وكانت العلماء تستنطقه لتسمع جوابه وكلامه وكان راوية للشعر بصيرا بجيده فذكر عن عبد الله ابن ادريس صاحب الحديث قال : أخرجه الصبيان مرة حتى هجم علينا فى الدار فقال لى الخادم : هذا عليان قد هجم علينا والصبيان فى طلبه فقلت : ادفع الباب فى وجوه الصبيان وأخرج اليه طعاما فلما وضعه بين يديه حمد الله واثنى عليه وقال : هذا من رحمة الله وأشار الى الطعام كما أن أولئك من عذاب الله وأشار الى الصبيان ثم جعل يأكل والصبيان يرجون الباب وهو يقول : فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من

قبله العـذاب قال ادريس : فلما انقضى من طعامــه قلت له : ياعليان مالك تروى الشعر ولا تقوله فقال : انى كالمسن أشحذ ولا أقطع وكان بصـيرا بالشعر فقلت له : أي بيت تقوله العرب أشعر فقال : البيت الذى لايحجب عن القلب قلت : مثل ماذا ، قال : مثل قول جميل

ألا أيها النوام ويحكمو هبوا　　　أسائلكم هل يقتل الرجل الحب

فأنشد النصف الاول بصوت ضعيف وأنشد النصف الآخر بصوت رفيع ثم قال : ألا ترى النصف الأول استأذن على القلب فلم يأذن له والنصف الثانى استأذن على القلب فأذن له قلت : ومثل ماذا فقال : مثل قول الشاعر

ندمت على ما كان منى فقدتنى　　　كما ندم المغبون حين يبيع

ثم قال : أتستطيب بالله قوله فقدتنى ياادريس قلت : بلى فضرب بيديه على نخذى وقال : قم يثبت الله قرنك وابن ادريس يومئذ ابن ثمانين سنة

وكان بالبصرة مجنون يأوى الى دكان خياط وبيده قصبة قد جعل فى رأسها اكرة ولف عليها خرقة لئلا يؤذى بها الناس فكان اذا أحرده الصبيان التفت الى الخياط وقال له : قد حمى الوطيس وطاب اللقاء فما ترى فيقول الخياط شأنك بهم فيشد عليهم ويقول

أشد على الكتيبة لا أبالى　　　أحتفى كان فيها أم سواها

فاذا أدرك منهم صبيا رمى بنفسه الى الارض وأبدى له عورته فيتركه وينصرف ويقول عورة المؤمن حمى ثم يقول وينادى

أنا الرجل الضرب الذي تعرفونه　　　خشاش كرأس الحية المتوقد

ثم يرجع الى دكان الخياط ويلقى العصا من يده ويقول

فألقت عصاها واستقر بها النوى   كما قر عينا بالاياب المسافر

﴿ النوكى ﴾

دخل رجل من النوكى على الشعبي وهو جالس مع امرأته فقال : أيكما الشعبي فقال . هذه فقال : ماتقول أصلحك الله فى رجل شتمنى أول يوم من رمضان هل يؤجر فقال الشعبي ان كان قال لك : ياأحمق فانى أرجو له

قال دحية القاضى وكان من مجانين القصاص : كان اسم الذئب الذى أكل يوسف كذا فقالوا : ان الذئب لم يأكل يوسف فقال : فهذا اسم الذئب الذي لم يأكل يوسف

قال بعض الرواة رأيت قاصا يحدث الناس بقتل حمزة فقال ولما بقرت هند عن كبد حمزة استخرجتها ولاكتها ولم تزدردها فقال النبى صلى الله عليه وسلم : لو ازدردتها ما مستها النار ثم رفع يديه الى السماء وقال : اللهم اطعمنا من كبد حمزة

وقف معاوية بن مروان على باب طحان فرأى حمارا يدور بالرحى فى عنقه جلجل فقال للطحان : لم جعلت الجلجل فى عنق الحمار فقال : ربما أدركتنى سآمة أو نعاس فاذا لم أسمع صوت الجلجل علمت انه واقف فصحت به فانبعث قال : افرأيت ان وقف وحرك رأسه بالجلجل هكذا وهكذا وحرك رأسه فقال له : ومن لى بحمار يكون عقله مثل عقل الأمير وهو القائل وضاع له باز : اغلقوا ابواب المدينة لايخرج البازى

﴿ البخلاء ﴾

من البخلاء هشام بن عبد الملك قال خالد بن صفوان : دخلت على هشام فأطرفته وحدثته فقال : سل حاجتك فقلت : تزيد فى عطائى عشرة دنانير فأطرق حينا وقال : فيم وبم ولم ألعبادة أحدثتها أم لبلاء حسن أبليته فى أمير المؤمنين ألا لا يابن صفوان ولو كان لكثر السؤال ولم يحتمله بيت المال فقلت : وفقك الله يا أمير المؤمنين وسددك فأنت والله كما قال أخو خزاعة

اذا المال لم يوجب عليك عطاءه صنيعة قربى أو صديق توافقه
منعت وبعض المنع حزم وقوة ولم يستلبك المال الا حقائقه

ومنهم عبد الله بن الزبير أتاه اعرابى يسأله حملا ويذكر أن ناقته تعبت فقال له : انعلها من النعال السبتية فقال الاعرابى : انما أتيتك مستوصلا ولم آتك مستوصفا فلعن الله ناقة حملتنى اليك فقال : ان وصاحبها

ومن رؤساء أهل البخل محمد بن الجهم وهو الذى قال : وددت لو أن عشرة من الفقهاء وعشرة من الشعراء وعشرة من الخطباء وعشرة من الادباء تواطئوا على ذمى واستهلوا بشتمى حتى ينشر ذلك عنهم فى الآفاق فلا يمتد الىّ أمل آمل ولا ينبسط نحوى رجاء راج

ومن البخلاء زبيدة بن حميد الصيرفى استلف من بقال على بابه درهمين وقيراطا فمطله بها ستة أشهر ثم قضاه درهمين وثلاث حبات فاغتاظ البقال وقال : سبحان الله أنت صاحب مائة ألف دينار وأنا بقال لا أملك مائة فلس وانما أعيش بكدى وأستقضى الحبة على بابك والحبتين صاح على بابك

حمال ولم يحضر تلك الساعة وكيلك فأمنتك وأسلفتك درهمين وأربع شعيرات فتقضيني بعد ستة أشهر درهمين وثلاث شعيرات فقال زبيدة : يامجنون أسلفتني فى الصيف وقضيتك فى الشتاء وثلاث شعيرات شتوية أوزن من أربع صيفية لان هذه ندية وتلك يابسة وما أشك أن معك بعد هذا كله فضلا

ومنهم مروان بن أبى حفصة نزل به ضيف فأخلى له المنزل ثم هرب عنه مخافة ان يلزمه قراه تلك الليلة فخرج الضيف فاشترى مايحتاجه ثم رجع وكتب اليه

يأيها الخارج من بيته ... وهاربا من شدة الخوف
ضيفك قد جاء بزاد له ... فارجع تكن ضيفا على الضيف

﴿ ما قال الشعراء فى البخلاء ﴾

« قال جرير »

قوم اذا أكلوا أخفوا كلامهم ... واستوثقوا من رتاج الباب والدار

(وقال آخر)

تراهم خشية الاضياف خرسا ... يصلون الصلاة بلا أذان

(وقال آخر)

خليلىّ من كعب أعينا أخاكما ... على دهره ان الكريم معين
ولا تبخلا بخل ابن قزعة انه ... مخافة أن يرجى نداه حزين
كأن عبيد الله لم يلق ماجداً ... ولم يدر أن المكرمات تكون

فقل لابى يحيي متى تدرك العلا وفى كل معروف عليك يمين
اذا جئته فى حاجة سد بابه فلم تلقه الا وأنت كمين

ووقع درهم من سليمان بن مزاحم فجعل يقلبه ويقول فى شق: لااله الاالله محمد رسول الله، وفى شق آخر: قل هو الله أحد ما ينبغى لهذا أن يكون الا رقية ورمى به فى الصندوق

وكان أبو عيسى بخيلا وكان اذا وقع الدرهم فى يده طنه بظفره وقال: يادرهم كم من مدينة دخلتها وأيد دوختها فالآن استقر بك القرار واطمأنت بك الدار ثم رمى به فى الصندوق

﴿الطفيليون﴾

من الطفيليين أشعب الطماع قيل له: مابلغ من طمعك فقال: لم أنظر الى اثنين يتساران الا ظننتهما يأمران بشئ لى ووقف على رجل يعمل طبقا فقال: أسألك بالله الا ما زدت فى سعته طوقا أو طوقين فقال له: وماممناك فى ذلك قال: لعل ان يهدى الىّ فيه شئ

دخل طفيلى على قوم يأكلون فقال: ما تأكلون فقالوا: من بغضه سما فأدخل يده وقال الحياة حرام من بعدكم. وقيل لطفيل كم اثنين فى اثنين فقال: أربعة أرغفة. ومر طفيلى على قوم يأكلون وقد أغلقوا الباب دونه فتسور عليهم من الجدار وقال. منعتونى من الارض فجئتكم من السماء

وبينا قوم جلوس عند رجل من أهل المدينة يأكلون عنده حيتانا اذ استأذن عليهم أشعب فقال أحدهم: ان من شأن أشعب البسط الى أجل الطعام فاجعلوا كبار هذه الحيتان فى قصعة بناحية ويأكل معنا الصغار ففعلوا

وأذن له فقالوا : كيف رأيك فى الحيتان فقال : والله ان لى عليها لحردا شديدا وحنقا لأن أبى مات فى البحر واكلته الحيتان فقالوا له : فدونك خذ بثار أبيك فجلس ومد يده الى حوت صغير فيها ثم وضعه عند أذنه وقد نظر الى القصعة التى فيها الحيتان فى زاوية المجلس فقال : أتدرون ما يقول لى هذا الحوت قالوا : لا قال : انه يقول انه لم يحضر موت أبى ولم يدركه لأن سنه تصغر عن ذلك وقال لى : عليك بتلك الكبار التى فى زاوية البيت فهى ادركت أباك واكلته

ومر طفيلى على قوم يتغدون فقال السلام عليكم معشر اللئام فقالوا : لا والله بل كرام فثنى رجله وجلس وقال : اللهم اجعلهم من الصادقين واجعلنى من الكاذبين

اصطحب شيخ وحدث من الاعراب فكان لهما قرص فى كل يوم وكان الشيخ منخلع الاضراس بطئ الاكل فكان الحدث يبطش بالقرص ثم يقعد يشتكى العشق ويتضور الشيخ جوعا وكان اسم الحدث جعفرا فقال الشيخ :

لقد رابنى من جعفر أن جعفرا ... يطيش بقرصى ثم يبكى على جُمُل
فقلت له لو مسك الحب لم تبت ... سمينا وأنساك الهوى شدة الاكل

فقال الحدث

اذا كان فى بطنى طعام ذكرتها ... وان جعت يوما لم تكن لى على ذكر
ويزداد حبى ان شبعت تجددا ... وان جعت غابت عن فؤادى وعن فكرى

﴿ انتهى الكتاب ﴾

﴿ توضيح ما فى كتاب مختار العقد من الغريب والاعلام ﴾

﴿ حرف الألف ﴾

الآذِن : الحاجب

آسِ : أمر من آسى كقاتل بمعنى سوى

لا آنّة له : يقال لا آنة له ولاحانة أى لا شاة ولا ناقة

الأُبّاق : جمع آبق وهو الهارب

أبزّ : اخذ الشيء وقهر كبز

ابثثت : اظهرت

أبخله : نسبه الى البخل

ابراهيم بن شَكلة . هو ابراهيم بن المهدى أخو الرشيد العباسي

ابراهيم النخعى : هو من فقهاء التابعين وأبوه يزيد توفى سنة ٩٦ هـ

أبرمتها : أبرم فتل الحبل طاقين والامر احكمه

ابلَج : صفة من البلج بمعنى الانضاح

أبلى : كأكرم بلاء حسنا كان عند الاختبار ناجحا

ابن أبى دواد : كغراب هو أحمد المعروف بالمروءة والعصبية وكان المعتصم والواثق والمتوكل يعتمدون على رأيه توفى سنة ٢٤٠ هـ

ابن الأشعث : هو عبد الرحمن خرج على عبد الملك الخليفة فهزمه بعد محاربة طويلة

ابن الزبير : كأمير اسمه عبد الله كان شاعرا من شعراء الامويين فى خلافة عبد الملك

ابن السماك : اسمه محمد وهو كوفى من الزهاد المحدثين توفى بالكوفة سنة ١٨٣ هـ

ابن الطثَرِيَّة : الطثرية أمه شاعر

ابن عباس : هو عبد الله الهاشمى من فقهاء الصحابة ومحدثيهم

ابن عبد الصمد : الرقاشى واسمه الفضل من فحول الشعراء مدح الخلفاء العباسيين وكان يهاجى أبا نواس توفى فى حدود ٢٠٠ هجرية

ابن الكلبى : هو هشام بن أبى النضر

النسابة صاحب تصانيف معتبرة توفى سنة ٢٠٦

ابن المقفع : هو عبد الله الكاتب الشهير كان فى أواخر الامويين وأوائل العباسيين

أبو الاسود الدؤلى : اسمه ظالم بن عمرو من سادات التابعين وهو أول من وضع شيئا فى النحو بأمر على توفى بالبصرة سنة ٩٩

أبو بَرَاء : كسحاب هو عامر بن مالك

ابو بكر : أول خلفاء الاسلام توفى سنة ١٣ هـ

أبو جعفر المنصور : ثانى خلفاء بنى العباس توفى سنة ١٥٦ هـ

أبو دُلَف العِجلِى : أحد قواد المأمون ثم المعتصم من بعده توفى سنة ٢٢٦ هجرية

أبو ذؤيب الهذلى : شاعر مخضرم من الذين أدركوا الجاهلية والاسلام مات فى خلافة عثمان

أبو ذَر الغفارى : من كبار الصحابة اشتهر بصدق القول والشجاعة فى ابداء الرأى نفاه عثمان الى الربذة (كشجرة) وبها توفى

أبو الشيص : شاعر من شعراء العباسيين توفى سنة ١٩٦ هـ

أبو العباس : أول خليفة من خلفاء العباسيين توفى سنة ١٣٦ هـ

أبو عُبَيْدَة مَعْمَر بن المُثَنى : من كبار رجال اللغة والادب توفى بالبصرة سنة ٢٩٠ هـ

أبو العتاهية : شاعر محدث من شعراء العباسيين مدح المهدى والرشيد واشتهر بقول الشعر فى الزهد توفى فى عهد الرشيد

أبو عمرو بن العلاء : المازنى البصرى أحد القراء السبعة توفى بالكوفة سنة ١٥٦ هـ

أبو العيناء : هو محمد بن القاسم شاعر صاحب نوادر وأدب حاضر الجواب ضرير توفى سنة ٢٨٣ هـ

أبو موسى الاشعرى : من كبار الصحابة قضى لعمر وولى الكوفة لعثمان وكان أحد الحكمين بين على ومعاوية

ابيتَ اللعن : امتنعت أن تأتى ما تلعن به

اتِّساق : انتظام

اتْعارَّ : بمعنى أسهر من تعار كتفاعل سهر

أنْجَلُه : أنجل الوادي كأفضل بمعنى معظمه وأنجل الليل معظمه

أثخنت : بالغت في الجراح
أجبنه : كأ كرمه صادفه جبانا
لا أجدّ : صفة من الجد وهو القطع كأفعل
أجدَل : من الجدل كالفرح حسن الطى فى الساق والساعد والاجدل الصقر ومن الدروع المحكمة
أجمل : كأ كرم اتأد واعتدل فى طلبه
احته : كأ كرمه أسقطه
احتذى : اقتدى
أُحُد : جبل بالقرب من المدينة كانت به غزوة شهيرة سنة ٣ ﻫ
الاحدوثة : ما يتحدث به
احزن : كأ كرم صار فى الحزن وهو الصعب من الطريق
الاحص : عين ماء
احمد بن يوسف الكاتب : أصله من الكوفة وتولى ديوان الرسائل للمأمون وكان أديبا شاعرا
الأحنَفُ بن قيس : اسمه الضحاك كان من سادات التابعين ومن الحلماء الحكماء توفى سنة ٦٧ ﻫ

أخبّ : الخبب ضرب من العدو
أخلاف : كأحبال جمع خلف بالكسر حلمة ضرع الناقة
إخلاق : كاكرام مصدر اخلق الثوب بلى وأخلقه صاحبه يتعدى ويلزم
أخيفش : تصغير أخفش وهو صغير العين ضعيف البصر
أدْبَر الزمان : ذهب وهو كناية عن الفقر
ادَّرَع : كافتعل جعل عليه درعا والليل اختفى فيه
أدفاء : جمع دِفء نقيض حدة البرد
أدْلجَ : سار فى أول الليل
أدلى بحجته : أحضرها واليه بماله دفعه
الأديم : ككريم الجلد
اذِيم : كأعيب وزنا ومعنى مضارع من الذام والذيم العيب
ارْبَع : أمر كاسمع قف وانتظر
أربى عليه : زاد
الارتياب : الشك
ارتاع : كاجتمع بمعنى فزع
أرَّثوها : أوقدوها

أرداه : أهلكه
أرعنى: كأعطنى وراعنى سمعك استمع لمقالى
الأرمَلَة : المحتاجة والرجل أرمل والارمل العزَب وهى بهاء
أرنبة الفرس : طرف أنفها
الأُرُومة : الاصل
الأَزارِقة : جمع أزرقى منسوب الى نافع ابن الازرق رئيس من رؤساء الخوارج
الأَزِمّة : جمع زمام وهو مايزم به أى يشد
آساجلك: مضارع من المساجلة وهى المباراة
الاستبداد : التفرد بالامر
الاستجمام : هو استجماع القوة
استحر الديك : صاح سحرا
استحرّ : القتال اشتد
استحلس : النبت غطى الارض بكثرته
استخار : طلب الخيرة
استخفّه الوجل : خفت حاله منه
استرفد : طلب الرفد وهو العطاء
استطير بها ، طيِّرَ بها
استعراض الناس : التعرض لهم بالقتل

من غير أن يسأل عن حال أحد
استهدف: انتصب وارتفع حتى كان كالهدف
استوسق له الامر : اجتمع وانتظم
أسجح أمر من الاسجاح وهو حسن العفو
أَسدى اليه : أحسن وزنا ومعنى
الأس : بتثليث الهمزة أصل البناء كالاساس والاسيس جمعه إِساس وأسس وآساس
أَسِمُ : كأعد من وسمه سمة أثر فيه
أسهلوا :صاروا الى السهولة كناية عن الغنى
أشحذ : مضارع من باب منع بمعنى أحدّ
الاشرس : من الشرس وهو سوء الخلق
الاشفاق : الحذر
أَشنُفة: كأغربة جمع شنف وهو القرط الاعلى
أصفَاد : كأحمال جمع صفد وهو القيد
اصكك له: اكتب من الصك وهو الكتاب
الاصمَعى : اسمه عبد الملك بن قريب بالتصغير صاحب لغة ونحو وامام فى الاخبار والنوادر والملح والغرائب توفي سنة ٢١٦ هجرية بالبصرة
أَطْباؤه : جمع طبى بالكسر والضم حلمات الضرع التى من خف وظلف وحافر وسبع

اطرده : صيره طريدا يجرى أمامه

أعتبه : سره بعد ماساءه

أعراف الخيل : الشعر النابت فى محدب رقبتها

أعرَق فى الكلام : كا كرم تكلم كثيرا

الأعمش : اسمه سليمان بن مهران فقيه جليل من صغار التابعين توفى سنة ١٤٨

أعوز : احتاج

الأَفن : كالفرح ضعف الرأى والعقل

الاقياد : نقيض السوق فهو من امام وذاك من خلف

أقرَح : أصابه بقرحة

أقرِطة : جمع قرط وهو مايتعلق فى الاذن من الحلى

اقلتُك : عفوت عنك

أكثم بن صيفى : حكيم من حكماء العرب أدرك النبى ولم يلقه وآمن بما سمع عنه

ألبَ : كفقدم حرض وأفسد

امحقُ : اسم تفضيل من المحاق وهو الذهاب

امّ الرأس : الجلدة الرقيقة التى يلف فيها المخ

الامين : هو محمد بن الرشيد سادس الخلفاء العباسيين توفى سنة ١٩٣ ﻫ

الاناة : الحلم والوقار وضد العجلة

انتجع : أراد النجعة وهى الانتقال

انتحال الشىء : ادعاؤه لنفسك

انتضى السيف : استله من غمده

انتهاز الفرصة : اغتنامها

انجابت : انخسفت

الأُنشُوطة : عقدة يسهل انحلالها

انفضوا : تفرقوا

الأوارك : ذات الاوارك المستوية الخلق

الأوَد : الاعوجاج

أودى : هلك

الأوزاعى : اسمه عبد الرحمن بن عمر و امام أهل الشام كان يسكن بيروت توفى بها سنة ١٢٧

أوس بن تغلب : اسم القبيلة التى منها تميم بن جميل

أوغل برفق : بالغ برفق

أومأ اليه : أشار كومأ

اياس بن معاوية المُزنى : مشهور بصدق الظن والذكاء ولى قضاء البصرة لعمر بن عبد العزيز توفى سنة ١٢٢ ﻫ

الايثار : كالاكرام التفضيل

حرف الباء

بؤ بكذا : من باء يبوء رجع والمراد اعترف
بأو : من بأى كسعى ودعا فخر
البازل : من الابل ما بلغ التاسعة
بثه : السر والشكوى أظهره له
بدا : يبدو سكن البادية
البربط : كجعفر المزهر كمنبر وهو العود
البرم : كجمل من لا يدخل مع القوم فى الميسر
البزّ : الثياب أو متاع البيت من الثياب ونحوها
البشام : كسحاب شجر عطر الرائحة ورقه يسود الشعر
بشّار بن بُرد العقيلى : شاعر مجيد من مخضرمى الدولتين الاموية والعباسية توفى سنة ١٦٧
بَشَمه : ألحق به البشم أى التخمة
البصرة : مدينة على مجتمع دجلة والفرات قرب الخليج الفارسى

البطانة : بالكسر الأخصاء
البطر : كفرح الطغيان بالنعمة
البغتات : بالتحريك جمع بغتة الفجأة
بلال بن أبى بردة : من ولد أبى موسى الاشعرى
بهته : كمنع قال عليه مالم يفعل
البهر : كقفل شدة الخوف
البهمة : كغرفة الشجاع الذى لا يدرَى من أين يؤتَى
البهو : البيت المقدم أمام البيوت جمعه ابهاء
البيَات : كسحاب الايقاع بالعدو ليلا
بيعة الرضوان : كانت بالحديبية بايع الرسول صلى الله عليه وسلم أصحابه على الموت لما شاع أن عثمان قتل بمكة
البيوتات : جمع بيوت ومفرد هذا بيت والمراد به الشرف

﴿ حرف التاء ﴾

التامك : السنام

تبرِد : كتكرم ترسل بريدا والبريد حامل الرسالة

تبعّق : كتقدم من البعاق كغراب شدة الصوت ومن المطر الذى يفاجىء بوابل والسيل الدفاع

تبلو : تختبر

تَبَنَّك به : أقام وفى عزه تمكن

تجافى : تباعد ونبا

تجشم : تكلف

تجفل : مضارع من باب جلس تنزعج

تجهم : فى وجهه استقبله بوجه عبوس كريه

تُحفظونى : تغضبونى وزنا ومعنى

تحلاق اللمم : مصدر حلق واللمم جمع لِمّة وهي الناصية ويوم تحلاق اللمم يوم من أيام العرب جزت فيه النواصى

تخصر : كتفرح تبرد بشدة

تدين : كتبيع تخضع

التراث : كغراب من ورث أباه وورث الشىء من أبيه ملكه من أبيه بعد موته

التراقى : جمع تَرْقُوَة مقدم الحلق من أعلى الصدر حينما يترقى فيه النفس

الترح : كفرح الحزن

الترس : كقفل هو ما يتقى به فى الحرب

ترنّق : من رنق الماء كفرح ونصر كدر وأرنق الماء كدره كرنقه ورنقه أيضا صفاه (ضد)

تَستكّ : الأذن تَصَمّ

التشادق : تعويج الاشداق تكلفاً للفصاحة

التصعلك : الفقر والرجل صعلوك

تطامن : لكذا انخفض له

تعاهده : أمر من تعاهده سأل عنه من وقت الى آخر وأحسن اليه

التعجرف : جفوة فى الكلام وخرق فى العمل والاقدام فى هوج

تعدى : مضارع أعدى جاوز صاحبه الى غيره والاسم العدوى

تغطرس : تغضب وفى مشيته تبختر وتعسف الطريق

تُفلّ : كتَرد تلم

تقتحم : مضارع من اقتحمه أدخله

تقحّم : كتكلم رمى بنفسه فى الامر فجأة بلا روية

التقريب : ضرب من العدو أو أن يرفع يديه معا ويضعهما معا

تقطو : مضارع قطا اذا ثقل فى مشيه

التقعرُّ : التشدق والكلام بأقصى الفم

التَقيّة : الحذر

تكلمُ : كتضرب تجرح كلما وهوالجراحة والجمع الكلوم والكلام ككتاب

التمادى : اللجاج فى الغى

تمترى : من مري الناقة مسح ضرعها لتدر ومرى الشىء كامتراه استخرجه

التمحيص : التخليص

تنضوها : تهزلوها وزنا ومعنى

تنفَس : كتفرح مضارع من نفس كفرح ضن وعليه بخير حسده وعليه الشىء لم يره له أهلا

تنفُش الطائر : كتكلم نفض ريشه كأنه يخاف أو يرعد

التنعُّق : من النعيق الصياح للغنم

التنكر : التغير عن حال تسرك الى حال تكرهها

توانى : فتر ومثله ونى ينى ونيا

التوعّر : سلوك الوعر وهو الخشن

التوقيعات : جمع توقيع وهو الجواب على الكتاب بجملة قصيرة مفيدة

تومض : من أومض أشار اشارة خفية وأومض البرق لمع خفيفا ولم يعترض فى نواحى الغيم

﴿ حرف الثاء ﴾

الثاءات : جمع ثاء وهو الافساد كالثأى بالقصر والثأى كضرب

الثرثار : المكثار فى الكلام من قولهم عين ثرة أي كثيرة المياه

الثغر من البلاد : موضع المخافة منها

الثفال : كسحاب البطىء من الابل وغيرها وما وقيت به الرحى من الارض

الثَفِنَات : جمع ثفنة وهي الركبة

الثقاف : ككتاب ماتسوى به الرماح

ثلبه : كضربه لامه وعابه

الثّلة : بالفتح جماعة الغنم وبالضم الجماعة من الناس

الثَّواء : الاقامة

﴿ حرف الجيم ﴾

جاثى : مفاعلة من الجثو كالعلو وهو الجلوس على الركبتين

الجاحظ : هو عمرو بن بحر الكنانى البصري رئيس فرقة من المعتزلة ومؤلف كتاب الحيوان وكان رأسا فى الادب توفى سنة ٢٥٥ ﻫ بالبصرة

الجادّة : الطريق الواضح المعبَّد

جاشت نفسه : نهضت من حزن أو فرح أو ثارت للقئ

الجثلقة : من الجاثليق مثلث الثاء وهو رئيس النصارى ببلاد الروم وفوقه البطريق وتحته المطران بفتح الميم ثم الاسقف ثم القسيس ثم الشماس

جحافل الفرس : جمع جحفلة وهى لذى الحافر كالشفة للانسان

الجحظ : مصدر جحظ اليه نظر فى عمله فرأى سوء صنعة

الجحفَل : الجيش

الجدَى : بالقصر والجدوى العطية وجداه واجتداه طلب جدواه

الجذعة : الشابة الحدثة

جُرَاز : كغراب السيف القاطع

جران : ككتاب مقدم عنق الجمل من مذبحه الى منحره

الجُرْد : كحمر جمع أجرد وهو الفرس القصير الشعر

جردت السنة الارض : صيرتها جرداء لانبات فيها

جرير بن عطية بن الخطفى : بالقصر شاعر فحل من شعراء الدولة الاموية توفى سنة ١١٠ ﻫ

جشأ : كجاش بمعنى اضطرب

الجعد : من الشعر خلاف السبط أو القصير منه ومن التراب الندىّ

جفر الهباءة : اسم موضع كان به أحد أيام العرب

الجُلجل : الجرس الصغير

الجمان : اللؤلؤ

الجناب : العتاد والرحل والناحية

الجِهبذ : كزبرج النقاد الخبير

الجهد : الطاقة والمشقة وبضم

الجوائح : جمع جائحة وهى الشدة

الجوائف : جمع جائفة وهى الطعنة تدخل جوف اللحم

الجوانح : الضلوع تحت الترائب مما يلى الصدر واحدته جانحة

﴿ حرف الحاء ﴾

حاجب بن ذُرارة التميمى : سيد من سادات العرب واحد الوفد الذى أوفده النعمان على كسرى

الحازم الضابط : من حزم ككرم فهو حزيم من حزماء وحازم من حزَمة

الحانى : العاطف من حنا كقعد يحنو حنوا

حبرة : كعنبة برد يمان والجمع حِبر وحبرات

الحبسة : بالضم تعذر الكلام عند ارادته

حبيب الطائى : هو ابن أوس واشتهر بأبى تمام من الشعراء المشهورين بالدولة العباسية مدح المعتصم والواثق وغيرهما توفى سنة ٢٣١

حثى : فى وجهه التراب من باب عدا ورمى

الحثالة : البقية القليلة من الماء

الحجاج بن يوسف الثقفى : ولى العراقين لعبد الملك وابنه الوليد وكان عسوفا

الحِجْرة : الانثى من الخيل اتخذت للنسل

حجزة : بالضم معقد الازار ومن السراويل موضع التكة

حجل : بالكسر ويفتح الخلخال

الحجون : بالفتح جبل بمعلاة مكة

الحد : العقوبة المحدودة من الشارع جمعه حدود

الحَدَثان : حدثان الدهر نوبه

حدرد : كجعفر قصير

الحَرة : موضع بظاهر المدينة به كانت وقعة الحرة على أهل المدينة سنة ٦٣

الحذلقة : اظهار الحذق أوادعاؤه

الحريم : ماتحميه وتقاتل عنه كالحرم جمعه أحرام وحروم

الحزن : بالفتح ضد السهل

حسر : كمه عن ذراعه من باب ضرب كشفه. والبعير اعيا . وبصره كل

حسان بن ثابت : شاعر مخضرم كان ينافح عن الرسول صلوات الله عليه ودعا له أن يؤيد بروح القدس

الحسك : نبت تعلق ثمرته بصوف الغنم

والحقد والعداوة

الحسن البصرى : من أجلاء التابعين جمع الى العلم غاية الورع توفى بالبصرة سنة ١٠١

الحسن بن سهل : ذو الرياستين وزير المأمون وصهره

الحسن بن على : من فاطمة الزهراء كان أشبه الناس برسول الله صلى الله عليه وسلم ولى الخلافة بعد أبيه سنة ٤٠ ثم تنازل عنها لمعاوية ليصلح بين المسلمين

الحسن بن هانئ : هو المشهور بأبى نواس شاعر من كبار الشعراء فى الدولة العباسية كان الجاحظ يفضله على جميع المحدثين بعد بشار توفى ببغداد سنة ١٩٦

حشرج : من الحشرجة وهى الغرغرة عند الموت وتردد النفس وتردد صوت الحمار فى حلقه

حش : نار الحرب أوقدها

الحصيد : الزرع المحصود أى المقطوع بالمنجل

الحطيئة : شاعر مخضرم هجاء توفى فى حدود الثلاثين

حفافا الشىء : جانباه

الحفيظة : الحمية والغضب

الحقحقة : أرفع السير واتعبه للظهر أو أن يلح فى السير حتى تعطب راحلته

الحقل : بالفتح قراح طيب يزرع فيه والمحاقل المزارع

حقو الفرس : بالكسر خاصرته وفى الانسان معقد الازار

الحلبة : هى الخيل المجموعة للسباق

حُلِّق على اسمى : جعل حوله حلقة اشارة لاسقاطه

حمى الشىء : يحميه حميا وحماية ومحمية منعه

الحمالة : الدية وحمل الحمالة تحمل الدية

الحوص : ضيق فى مؤخر العينين

حولاء السلا : الحولاء بكسر ففتح كالمشيمة للناقة جلدة خضراء مملوءة تخرج مع الولد فيها خطوط حمر وخضر والسلا جلدة فيها الولد مثل يضرب للخصب وكثرة الماء

حَياد : حَيدى حَياد من الحيد وهو الميل

الحيف : الجور والظلم

الحين : بالكسر الدهر أو وقت مبهم يصلح لجميع الأزمان و بالفتح الهلاك والمحنة

﴿ حرف الخاء ﴾

الخاتام : الخاتم

خافضين : الخفض الدعة

خالد القسرى : خطيب مصقع ولى العراق لهشام بن عبدالملك توفى سنة ١٢٦

خالدبن الوليد : من كبار الصحابة والقواد العظيمة فى حرب الردة وفتوح العراق والشام

خالدبن يزيدبن معاوية : كان أعلم قريش بفنون العلم وله كلام فى صناعة الكيمياء والطب توفى سنة ٨٥

خالد بن يزيدبن مزيد : ممدوح أبى تمام قائد شجاع ولاه المأمون الموصل ثم ضم اليه ديار ربيعة توفى سنة ٢٣٠ فى خلافة الواثق وهو متول قيادة جيش عظيم لغزو ارمينية

خامل : ساقط لانباهة له

الخب : الخداع

خبطتنا : خبط كضرب مس

الخبل : فساد الاعضاء والجنون

الختر : أقبح الغدر

خدعة : الحرب خدعة مثلثة وكهمزة أى تنقضي بالخديعة ورجل خدعة يخدعه الناس وخدعة يخدع الناس

خرائط : جمع خريطة وهى وعاء من أدم وغيره يضم على مافيه

الخراج : الاتاوة كالخرج جمعه أخراج وأخاريج وأخرجة : وهوماتأخذه الحكومة من ضرائب الاطيان

الخرق : بالضم الحمق

الخريدة : الخفرة الطويلة السكوت الخافضة الصوت المتسترة جمعها خرود وخرائد وخرد

خشاش : مثلث وهو الماضى من الرجال

خصاصة : والخصاص والخصاصاء بالفتح فيهن الفقر

خطرف الستر : استرخى

خطط : بالكسر جمع خطة وهى موضع الحى والخطة بالضم الطريقة

الخطى : الرمح ينسب الى الخط بلد تقوم به الرماح

خطمه : ضرب أنفه

الخطير : الشريف وجمعه خُطر

خفقت الدابة : اضطربت

الخلابة : بالكسر سلب العقل

الخليل بن احمد : الفراهيدى امام فى النحو وهو مستنبط علم العروض توفى سنة ١٧١ بالبصرة

الخنى : الفحش

خُناصرة : قرية من قرى دمشق مات بها عمر بن عبد العزيز سنة ١٠١

الخنساء : هى تماضر بنت عمرو بن الشريد أشعر النساء أسلمت مع قومها توفيت سنة ٢٤

خَوَر : ضعف

الخول : ما أعطاك الله من النعم والعبيد والماشية

خِيم : طبع

﴿ حرف الدال ﴾

داهية : العرب بين الدهى والدهاء

حمير دَبِرة : أصابها الدبر وهو قرحة الدابة

الدبرىّ : محركة رأى يسنح أخيرا عند فوات الوقت

دَحس : أفسد

درأ : دفع وبابه فتح

الدربة بالضم : العادة والجرأة على الامر والحرب

الدرة : بالكسر وتشديد الراء عصا صغيرة يضرب بها

الدعارة : الفساد

الدُّف : الذى يضرب به وهو المسمى بالطار

دفت دافة . جاء اليكم قوم والدافة مصحح الضفة بلغة العامة

ما بين دفَّتيك . أى ما فى نفسك من العلم ودفتا المصحف جانباه

دكين الراجز . هو راجز من رجاز العرب كان فى زمن عمر بن عبد العزيز

الدلَس . الخديعة

دمث المكان . كفرح سهل ولان

دُومة الجندل . قرية بقرب تبوك فتحها عليه السلام صلحا سنة ٩ من الهجرة

الدَّوح . الشجر العظام واحده دوحة

الدَّوِىّ . للصدر كالحفيف للشجر

﴿ حرف الذال ﴾

الذُّحول . جمع ذَحل وهو العداوة والحقد

والثار

الذوائب : جمع ذؤابة الناصية أومنبتها من الرأس وشعر فى أعلى ناصية الفرس

ذو الاصبع العَدْوانى : حكيم من حكماء الجاهلية وخطيب مصقع من قبيلة عدوان

ذو الرُّمة غيلان : شاعر اسلامى معاصر لجرير والفرزدق

ذُهل بن شيبان : أبو قبيلة من ربيعة

﴿ حرف الراء ﴾

رؤبة بن العجاج التميمى السعدى: راجز مشهور توفى سنة ١٤٥ بالبادية

رابه : الشىء شككه

الراووق : الذى يروق فيه الشراب

الرباب : السحاب الابيض

ربداء : مغبرة فيها لون الغبرة وهو الربد

ربيعة الرأي : فقيه أهل المدينة توفى سنة ١٣٦ وهو شيخ مالك بن أنس

الرتاج : بالكسر الباب المغلق وعليه باب صغير (خوخة)

رُتة : عجمة فى اللسان

الرث : البالى كالأرث والرثيث

رجاء بن حيوة الكندى : كان من العلماء يجالس عمر بن عبد العزيز ويخلص له النصح توفى سنة ١١

رجل الجراد : بالكسر القطعة العظيمة منه والفرقة من كل شىء رجل

رخاء : سعة فى الحال

الرزين . الوقور من رزن ككرم

رسف . مشى مشى المقيد وبابه نصر وضرب

على رِسْلك . على هينتك ومهلك

الرَسن . ما كان من الزمام على الانف

الرسوم . جمع رسم وهو مالا شخص له من الآثار

الرشيق . الحسن اللطيف

رِعاث . جمع رعثة بالفتح وهى القرط

الرفد . العطاء وبابه ضرب

الركز . الصوت الخفى

الركيسة . من الركس وهو رد الشىء مقلوبا

ركين . رزين أى وقور

الرميَّة . الطريدة التى يرميها الصائد وهى كل دابة مرمية

رَوّأ . فى الامر نظر فيه وتعقبه ولم يعجل بجوابه

روح بن زنباع : بفتح الراء وكسر الزاى الجذامى : صاحب شرطة عبد الملك بن مروان

روح الله : بالفتح رحمته

الرياش : اللباس الفاخر والخصب والمعاش

الرى : قاعدة خراسان

﴿ حرف الزاى ﴾

الزاخر : الطامى الممتلىء

الزبد : مايعلو الماء ونحوه عند الاضطراب كالرغوة

الزراية : العيب والعتب

زرافات : جماعات

الزفير : اخراج النفس

مكان زَلَج : أى زلق

الزلفى : بالضم القربى

زلات : جمع زلة وهى الهفوة

الزمار : المغنى فى القصب (الزمارة والمزمار)

زهاء ألف : بالضم أى قدر ألف

زياد الاعجم : شاعر مشهور من شعراء بنى أمية توفى فى حدود المائة

زيد بن على زين العابدين : طلب الخلافة بالعراق فى خلافة هشام فقتل وصلب سنة ١٢٥

﴿ حرف السين ﴾

ساباط : سقيفة بين حائطين تحتها طريق

الساجور : القطعة من الخشب

سالفة : الفرس ماتقدم من عنقه وتسمى هاديه

ساوره : الشراب أخذ برأسه

سبد : ماله سبد ولا لبد أى لاقليل ولا كثير

سبرت الشىء : نظرت ماغوره و بابه نصر

سبنية : بالتحريك نسبة الى سبن موضع تنسب اليه الثياب وقيل ثوب غليظ يتخذ من مشاقة الكتان

سجال الدلاء : العظيمة المملوءة الواحد سجل كبحر والحرب بينهم سجال أى على هؤلاء سجل وعلى هؤلاء سجل

السجيل . حجارة كالمدر معرب سنك جل

سُجوّ : مصدر سجا بمعنى سكن

السحت : الحرام بالضم

السح : الصب والسيلان من فوق

السديس : البعير بلغ ستة أعوام

السرح: المال السائم
السرحان: بالفتح والكسر الذئب
السَّرى: الشريف وجمعه أسرياء
سعد بن أبي وقاص. من كبار أصحاب رسول الله
سعيد بن جبير. من فقهاء التابعين قتله الحجاج ابن يوسف لخروجه مع ابن الاشعث سنة ٩٥
سعيد بن المسيب المخزومي القرشي. أحد الفقهاء السبعة بالمدينة توفى سنة ٩١
السفساف. الردىء من كل شىء
مسفوح. مصبوب
سفيان الثورى. منسوب لثور بن عبدمناة كان اماما مجتهدا ورعا طلبه المهدى للقضاء فابى وتوفى وهو متوار سنة ١٦١
سفيان بن عيينة. من أئمة المحدثين توفى سنة ٩١٨ بمكة
سقط الكلام. رديئه
سليك بن السلكة الاول على هيئة المصغر والثانى كهمزة عداء شهير
سليمان بن عبد الملك هو الرابع من خلفاء بني مروان والسابع من بنى أمية توفى سنة ٩٩ وكان من خيار بنى أمية
السمت. هيئة أهل الخير
السمح. الكريم
السنان. نصل الرمح
السُّنة السيرة ويريد بها الفقهاء ما ورد عن رسول الله من قول أو فعل أو تقرير
السوار. بالكسر القلب والجمع اسورة وأساور
سورة الخمر. حدتها والمجد أثره والبرد شدته والسلطان سطوته واعتداؤه
سُوس. طبيعة

﴿ حرف الشين ﴾

الشاطر. الذى أعيا اهله خبثا
شال. كضرب ارتفع
شام السيف. كضرب أغمده واسله ضد
شبيب بن شبة. كأمير شاعر
شثن. كفرح وكرم غلظ وخشن
شحط. كمنع بعد
الشرنبث: كغضنفر الغليظ الكفين والرجلين
شريح. بالتصغير هو ابن الحارث الكندى

من كبار التابعين ولى القضاء لعمر بالكوفة وتوفى فى سنة ٨٧ هـ

شريك : كأمير هو ابن عبد الله النخعى تولى القضاء بالكوفة أيام المهدى وتوفى سنة ١٧٧ هـ

شط المزار : كنصر بعد

شظايا : جمع شظية كعطية الفلقة من الخشب ونحوه

الشُعوبية : فرق تحقر أمر العرب

شكير الفرس: الشعر النابت على ناصيته وعرفه

الشنآن : البغض

الشيعة : الاتباع والانصار

﴿ حرف الصاد ﴾

الصائفة : غزوة الروم لانهم كانوا يغزونهم صيفا لمكان البرد والثلج من بلادهم

الصاب : شجر مر

الصخب : كالفرح شدة الصوت

الصدع : كالفتح الشق والكسر

الصفاة : الحجر الصلد الضخم لاينبت جمعه صفوات وصفا ومثله الصفوان

الصفاح : ككتاب جمع صفح بضم الصاد وفتحها وهو عرض السيف

الصفر : بالكسر الفارغ

صفين : كسجين موضع قرب الرقة بشاطىء الفرات كانت به الواقعة العظمى بين على ومعاوية

الصفقة : مصدر صفق يده بالبيعة على يده

صفوة المال : مثلثة ماصفا منه (خياره)

الصلت : الجبين الواضح

الصنائع : جمع صنع وصنيعة من اصطنعته وربيته وخرجته

الصواعق : جمع صاعقة الموت والعذاب المهلك

﴿ حرف الضاد ﴾

الضئولة : الضعف والصغر والدقة

الضبارم : كعلابط وعلابطة الاسد والرجل الجرىء

الضجر : كالفرح التبرم ضجر فهو ضجر وتضجر

الضحاك : بن قيس اليمنى المعروف بالاحنف

الضغن : كالحقد وزنا ومعنى

الضنء : بالفتح والكسر الولد

الضياع : ككتاب جمع ضيعة العقار والارض المغلة

الضيغم : كعلقم السبع

﴿ حرف الطاء ﴾

طارق الليل : الآتى بالليل

طامن : من شخصه سكن

طاهر بن الحسين : الخزاعى قائد عظيم من قواد المأمون

الطبق : كفرح من المطر الدائم المتواتر

طخياء : مظلمة

الطنب : بضمتين حبل الخباء

الطية : الحاجة والطية والطوية النية والضمير

الطلاء : ككتاب الخمر

الطلائع : جمع طليعة وهى من الجيش من يبعث ليطلع طلع العدو

﴿ حرف الظاء ﴾

الظنين : المتهم

﴿ حرف العين ﴾

عامر الشعبى : من كبار فقهاء التابعين

عامر بن الطفيل الغنوى : من شجعان العرب المعدودين وفد على النبى صلى الله عليه وسلم ولم يسلم

عامر بن الظرب : حكيم من حكماء العرب وقاض من قضاتهم فى الجاهلية والظرب كفرح

العانى : الاسير من عنا كسما خضع وذل

العباس بن الاحنف : شاعر غزل من شعراء الدولة العباسية توفى سنة ١٩٣

عبد الحميد الكاتب : كاتب عربى بليغ فى الدولة الاموية كتب لمروان بن محمد وقتل سنة ١٣٢

عبد الرحمن بن أبى ليلى : من أكابر التابعين بالكوفة شهد وقعة الجمل مع على توفى سنة ٨٣ مع ابن الاشعث

عبد الله بن الزبير : من الصحابة الحفاظ دعى له بالخلافة مدة يزيد ومروان وعبد الملك قتل وهو عائذ بالكعبة سنة ٦٣

عبد الله بن طاهر : من قواد المأمون وكان كثير الاعتماد عليه توفى سنة ٢٣٠ وولى مصر واليه ينسب البطيخ العبدلاوي

عبد الله بن المبارك المروزى : عالم زاهد

توفى بهيت سنة ١٨١

عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدِّينَوَرى : لغوى مؤلف كتاب أدب الكتاب توفى سنة ٢٧١

عبد الملك بن صالح بن على العباسى : ولى المدينة والصوائف للرشيد ثم الشام والجزيرة للامين كان خطيبا مهيبا توفى سنة ١٧٦

عبد الملك بن مروان : ثانى خلفاء بنى مروان ورابع بنى أمية وكان معدودا من الفقهاء وفى خلافته كتبت الدواوين بالعربية وضربت النقود الاسلامية ومدة خلافته احدى وعشرون سنة

عبيد الله بن عبدالله بن عتبة بن مسعود : أحد الفقهاء السبعة بالمدينة توفى سنة ١٠٢

العَتَّابى : هو كلثوم بن عمرو شاعر من شعراء الدولة العباسية وكان منقطعا الى البرامكة ومدح الرشيد توفى سنة ٢٢٠

العتبى : بضم فسكون هو محمد بن عبد الله من ولد عتبة بن أبى سفيان شاعر مجيد خبرى صنف كتبا جليلة فى اللغة توفى سنة ٢٢٨

عَتَاقَة : عتق الفرس كضرب وكرم سبق فنجا

عثمان بن عفان : ثالث الخلفاء الراشدين قتل بعد أن حوصر فى داره سنة ٣٥

العَثَمْثَم : الاسد والجمل الشديد الطويل

عجاف : ككتاب ضعاف

العُدَّة : ما أعددته لحوادث الدهر من المال والسلاح

عدى بن زيد العبادى : كاتب عربى ممن حسن خطهم فى الجاهلية وكان يعرف الفارسية حبسه النعمان بن المنذر ومات فى حبسه

عُرض العشيرة : معظمها جنى جان من عرض العشيرة أى من أفرادها الكثيرين

العِرق : الاصل

عروة بن الزبير : من الفقهاء السبعة بالمدينة توفى سنة ٩٣

عروة بن أذينة : فقيه محدث وشاعر غزل توفى سنة ١٣٠

عروة بن الورد : شاعر جاهلى اشتهر بالكرم ويسمى عروة الصعاليك لكثرة ما كان ينفق عليهم قتل فى بعض غاراته

قبل الاسلام بست وعشرين سنة
عزوف : مائلة ومنصرفة وزاهدة
عساس : ككتاب جمع عُس وهو القدح الكبير
العسف : كنصر من السلطان الظلم عسف يعسِف كاعتسف
العصب : بفتحتين الواحد من حبال المفاصل الجمع أعصاب
عِضين : قطعا متفرقة جمع عضة
العطاء : فى عرف المتقدمين ما يعطى من المرتبات السنوية
عطاء بن أبى رباح المكى : من الفقهاء التابعين توفى سنة ١١٥
العُطبول : المرأة الفتية الجميلة الممتلئة الطويلة العنق
عطل : كفرح من المال والزينه خلا
العفاء : الدروس والتراب والبياض على الحدقة
عفوة المال : بكسر فسكون ففتح وهو أصل المال وأطيبه أو هو مافضل منه
عقر دارهم : بالضم ويفتح محلتهم
عِكرِمة : مولى بن عباس بربرى الاصل معدود من كبار المحدثين لم يخرج له مسلم توفى سنة ١٠٧
عُلويّة : مغن مشهور كان فى عصر الرشيد والمأمون
على بن أبى طالب : رابع الخلفاء الراشدين كان عالما خطيبا شجاعا قتله عبد الرحمن ابن ملجم سنة ٤٠
على بن جبلة : شاعر من شعراء الدولة العباسية مبرز عذب اللفظ لقب بالعكوّك توفى سنة ٢١٣
على بن الحسين بن على بن أبي طالب : المعروف بزين العابدين توفى سنة ٩٢ ودفن بالبقيع فى المدينة
عمر بن الخطاب : ثانى الخلفاء الراشدين اشتهر بالعدل وقوة العزيمة وفى أيامه تم معظم الفتح الاسلامى قتل سنة ٢٣
عمرو بن سعيد الاشدق : من كبار بنى أمية خرج على عبد الملك بن مروان فقتله بعد أن أمنه سنة ٧٠
عمرو بن العاص السهمى : القرشى من قواد الصحابة المعدودين فتح مصر ووليها لعمر ومعاوية وبها مات

عمر بن عبدالعزيز . خامس الخلفاء من بنى مروان وثامن بنى أمية اشتهر بالعدل والتقوى مات سنة ١٠١

عمرو بن عبيد رئيس من رؤساء المعتزلة وكان من أكابر الزهاد فى عصر المنصور العباسى

عمرو بن معديكرب الزبيدى : من فرسان العرب وذوى النجدة أدرك النبى عليه الصلاة والسلام وحضر فتوح العراق

العميد : السيد كالعمود

عناه الامر : يعنيه أهمه

العنان : بالكسر سير اللجام

عوف بن مُحَلِّم الشَّيبانى من فرسان العرب المشهورين وهو الذى يقال فيه لاحر بوادى عوف

العيافة للطير : زجرها وهو أن تعتبر بأسمائها ومساقطها وأنوائها فتسعد أو تتشاءم

عيسى بن موسى : من كبار ولد عبد الله ابن عباس ولاه السفاح العهد بعد المنصور فخلعه المنصور واستبدل به ابنه المهدى

﴿ حرف الغين ﴾

الغبطة : حسن الحال والمسرة

الغثاء : كغراب الهالك والبالي من ورق الشجر

غدقا : بفتحات كثيرا

الغرب : كضرب من معانيه الحدة

الغِرَّة : اسم من اغتر أى غفل وأخذه على غرة أى غفلة

غزالة : امرأة حرورية عيرا الحجاج بالفزع منها

الغشوم : الظلوم الجرىء

غص : كفرح اعترض شىء فى حلقه يغص غصصا والاسم الغصة

الغضاضة : الذلة والمنقصة من غض منه كرد أى وضع ونقص

غضة : طرية كغضيضة

غط : كضرب غطيطا أى هدر

غطريف : سيد شريف

غلالة : بالكسر شعار تحت الثوب

غلق الرهن : كفرح استحقه المرتهن وذلك اذا لم يفتك في الميعاد المحدود وقد نهى عنه الاسلام

الغمرة : من الغمر بوزن الجمر الكثير وقد غمره الماء من باب نصر علاه والغمرة

الشدة ومنه غمرات الموت شدائده

غناء : كسحاب كفاية ومنفعة

غواة : جمع غاو ضد الرشيد

﴿ حرف الفاء ﴾

الفئام : ككتاب الجماعة من الناس

الفادح : الخطب

فحص عنه : كمنع بحث

الفرائص : جمع فريصة وهى اللحمة بين الجنب والكتف لاتزال ترعد

الفرصة : النوبة وانتهزها اغتنمها

الفرزدق : شاعر اسلامى أموى توفى سنة ١١٠

فرق : كفرح خاف

الفضل بن سهل السرخسى : عالم بالنجوم قربه يحيى البرمكى والرشيد واستوزره المأمون

الفطير : كامير العجين يخبز من ساعته ولم يخمر رأى فطير لم يجود

الفظ : الغليظ الجانب السىء الخلق القاسى الخشن الكلام والاسم الفظاظة

فناء الدار : ككتاب ما اتسع من امامها جمعه أفنية وفنى

فنق : بالنون وضمتين منعمة و بالتاء منطلقة اللسان فى الكلام

فودا الرأس : جانباه

الفوق : كقفل موضع الوتر من السهم

فوة : عروق نبت مدر صابغ

الفيقة : بالكسر اسم للبن يجتمع فى الضرع بين الحلبتين

﴿ حرف القاف ﴾

القابس : الذى يأخذ من النار

القارت : كقارىء من قرت الدم كنصر وسمع قروتا يبس بعضه على بعض أو اخضر تحت الجلد

قارع السن : النادم من قرع الباب دقه وكأن النادم يدق سنه

قبرة : بالتضعيف طائر ويقال القنبراء . وفى لغية قنبرة

قتادة : كسحابة ابن دعامة السدوسى البصري من فقهاء التابعين وعلماء اللغة النسابين توفى بواسط سنة ١١٧ هـ

القتب : بفتحتين الاكاف الصغير على قدر سنام البعير

قتيبة بن مسلم . بالتصغير الباهلى قائد من أكبر قواد بني أمية

القحذمى . بفتح القاف والذال هو الوليد ابن هشام بن قحذم وجده هو الذى قلب الدواوين من الفارسية الى العربية

قدما . يقال مضى قدما بضمتين و بفتحتين أى أمام أمام

القذى . مايسقط فى العين والشراب و بابه صدى

قذع . كمنع رماه بالفحش

القر . كقفل البرد

القراء . جمع قارىء حافظ القرآن وكانوا يعنون به قبلا الفقيه

القرن . كحمل الكفء

قريع المنطق . كامير غالب فيه

قس بن ساعدة الايادى . خطيب العرب وحكيمها عمر طويلا وتوفى قبيل البعثة سمعه النبي صلى الله عليه وسلم يخطب بعكاظ خطبته المشهورة وقال يرحم الله قسا انى لارجو أن يبعث يوم القيامة أمة وحده

القَسطل . كجعفر والقسطال والقسطلان والقسطول الغبار

القصد : الاستقامة ضد الجور

قضاعة : كثمامة الفهد ولقب به عمرو بن مالك بن حمير أبو حى من اليمن

القضقضة : كالدحرجة كسر العظام

قَطَرِى بن الفجاءة : بفتحتين و كسر آخره ياء مشددة ابن مازن خرج سنة ٦٦ هجرية وأقام يسلم عليه بالخلافة فى بعض نواحى العراق حتى قتل سنة ٧٨ هـ

القطا : ضرب من الحمام واحدته قطاة

القطامى : بضم القاف وفتحها شاعر مقل من شعراء الدولة الاموية عاش في القرن الاول للهجرة

قطنى : قط اسم بمعنى حسب وقطنى حسبي

القَعَدية : من الخوارج الذين قعدوا عن القتال ولم يخرجوا ويقال القعد

القفر : الارض العاطلة من العمران

القلائص : جمع قلوص كصبور الناقة الطويلة القوائم

القلب : بضمتين السوار

قلده الامر : جعله فى عنقه كالقلادة والمراد فوض اليه

القود : بفتحتين القصاص وهو قتل القاتل

القيان : ككتاب جمع قينة كقربة وهى الامة مغنية أوغيرها

قيس بن ذريح : بالتصغير من عشاق العرب المشهورين صاحب لبنى

قيس بن زهير : سيد بنى عبس وخطيب من خطباء الجاهلية وصاحب حرب داحس والغبراء

قيس بن عاصم المِنقرى : من حلماء العرب المشهورين

قيلة : كحمزة اسم لام قبيلتى الاوس والخزرج سكان طيبة (الانصار)

حرف الكاف

الكالىء : الحافظ

كبرة السن : كصفحة تقدمها

الكتائب : جمع كتيبة الفرقة من الجيش

كثير عَزة : تصغير كثير شاعر غزل من شعراء الدولة الاموية وعزة صاحبته توفى سنة ١٠٥ هـ

الكرخ : كنصر اسم لمحلات أشهرها محلة بغداد

الكرسف : كقنفذ وعصفور القطن

كعب بن زهير : شاعر مخضرم مدح الرسول صلى الله عليه وسلم بقصيدته (بانت سعاد)

كالب : كفرح وثب وهم يتكالبون على كذا يتواثبون عليه

الكلكل : كجعفر الصدر

كليلة ودمنة : اسم كتاب من كتب فلاسفة الهند نقله الى العربية من الفارسية الكاتب المشهور عبدالله بن المقفع

الكهف : البيت المنقور فى الجبل والوزر والملجأ

الكيد : الحيلة كاد للامر يكيد احتال

حرف اللام

لاطئة : فاعلة من لطأ كمنع وفرح . لزق ولصق

اللأواء : الشدة

لبد : كنصر وفرح أقام ولزق

لبد : بالتضعيف يقال لبد العجاجة فض غبارها

اللجب : كفرح الجلبة والصياح واضطراب موج البحر

لذعه : الغضب كنصر آلمه وأحرقه

لَعَنّ : لغة فى لعل

اللقيطة : مؤنث اللقيط وهو المولود ينبذ و بنو اللقيطة سموا بذلك لان حذيفة بن بدر التقط أمهم

لمام : بكسر أوله من قولهم زيارته لمام أى يزور يوما وينقطع يوما

لمظه : بالتضعيف أعطاه كلمظه من باب نصر

اللوثة : بالضم البطء والاسترخاء والحمق

الليثى : هو أبو محمد يحيي بن يحيي أندلسى تلميذ الامام مالك بالمدينة وناشر مذهبه بالمغرب والاندلس دفن بقرطبة سنة ٢٣٤ هـ

﴿ حرف الميم ﴾

مؤرِق : مسهر من الارق وهو السهر

المأمون : عبد الله بن الرشيد سابع خلفاء بنى العباس من سنة ١٩٨ الى سنة ٢١٨

ماق : الزمان يموق حمق

مالك بن أنس : أحد الائمة الاربعة المجتهدين توفى بالمدينة سنة ١١٩

مالك بن دينار : البصرى كان عالما زاهدا محدثا توفى سنة ١٣١ بالبصرة

مالك بن طوق : صاحب الرحبة أحد الاشراف والفرسان الاجواد ولى أمرة دمشق للمتوكل توفى سنة ٢٥٩

مالك بن نويرة : أبو المغوار اليربوعى أخو متمم قتل مع أهل الردة فى عهد أبى بكر خطأ

مبارِك : جمع مبرك وهو محل بروك الابل

المَبْدَى : سكنى البادية من قولهم من بدا جفا

المتالف : جمع متلف وهو المهلك

مُتبتّل : منقطع الى الله

مُتبذِّل : لابس ثوب البذلة وهى ما لا يصان من الثياب

المثابر : المواظب

مثْعَنْجِر : يفيض من كثرته

مجاشع بن دارم : أبو بطن من تميم منهم الفرزدق الشاعر

مجلل : جلل المطر الارض عمها فلم يدع شيئاً الا غطاه

مُجمّر : من جمّر البعث اذا تركه سنة بعد أخري ببلاد الحرب

المِجَن : الترس

المحتبي : هو الذى يجمع بين ظهره وساقية بعمامة ونحوها والاسم الحبوة

المختضر : سكنى الحضر

محكم : فريضة محكمة غير منسوخة أولا يحتاج معها الى بيان

محمد بن عبد الملك الزيات : كان من الكتاب الادباء ولى الوزارة للمعتصم والواثق مات سنة ٢٣٣

المدحور : المطرود المبعد المدفوع

المِدرَه : المقدم فى اللسان واليد عند الخصام والقتال

مدمن : الشراب مديمه

مدوف : بفتح فضم مخلوط

مَذَابّ جمع مذبة وهى مايذب به أى يطرد به الذباب ونحوه

مَذَق : الود لم يخلصه ومذق اللبن مزجه بالماء فهومذيق ومذق

المرابط : الملازم للثغر للدفاع عنه

المراتع : جمع مرتع وهو مكان الرتع وهو أن يأكل ويشرب فى خصب وسعة

مرافق : جمع مرفق ومرفِق وهو ما يستعان به ومنه مرافق الدار أى مصاب الماء ونحوها

مَرَج العهد : لم يف به

مَرج راهط : شرقى دمشق كانت به الواقعة بين مروان بن محمد والضحاك بن قيس وكانت لمروان

مُرَحَّضة : اسم مفعول من رحض بمعنى غسل

مُرَزَّءون : كمعظمون كرام يرزءون فى أموالهم

المرزبان : رئيس الفرس جمعه مرازبة والاسم المرزبة

مرمدّ : يشبه لون الرماد

المرو : حجارة بيض تورى النار ومرو حاضرة خراسان

مروان بن أبي حفصة : شاعر مجيد مدح المهدى والرشيد توفى سنة ١٨٢ ببغداد

مروان بن الحكم : رابع خلفاء بنى أمية من سنة ٦٣ الى سنة ٦٤

مروان بن محمد بن مروان : آخر خلفاء بنى أمية قتل ببوصير احدى قرى مصر سنة ١٣٢

المرىء : كأمير مجرى الطعام والشراب

مُريب : الذى يأتى بريبة وهى التهمة

مُزبد : له زبد وهو ما يعلو الماء عند اضطرابه

المَساغ : السوغ وهو سهولة مدخل الشراب

المستشيط : الملتهب غضبا من استشاط عليه

المستلئم : كمستغفر هو لابس اللأمة وهى السلاح

مستمنح : طالب المنحة وهى العطاء

مُستحنِفر : من استحنفر المطر كثر

مسلم بن عُقبة المرى : قائد جيش الحرة ليزيد بن معاوية وهو الذى أوقع بأهل المدينة ولهذا يسمونه مسرفا

مسنتون : أصابتهم سنو جدب

مشف : أشفى عليه أشرف

المشيح : كمكرم الجاد فى الامور والحذِر

المصدور : من به مرض الصدر

مصعب بن الزبير : كان واليا لأخيه عبد الله بن الزبير على العراق قتله عبد الملك ابن مروان

مصمم : زمان مصمم أصله من صمم السيف اذا أصاب المفصل وقطعه فالمراد به الشديد المؤثر

مضعوف : الضعيف مفعول من أضعفه على غير قياس

المضمار : موضع تضمير الخيل والضمر علف الخيل بما يخفف لحمها لتقوى على الجرى

مطرف بن عبد الله الشخير : ومطرف على زنة الفاعل من طرَّف والشخير كسجيل من كبار المحدثين

المطل : التسويف

مظالم : جمع مظلمة بفتح اللام وكسرها ماتظلمه الرجل ومثله الظلامة

المعالم : جمع معلم كمقعد وهو ما يستدل به على الشىء كالعلامة

معاوية بن أبى سفيان : أول خلفاء بنى أمية من سنة ٤٠ الى ٦٠

معدلة : بفتح الميم والدال أو كسرها العدل

المعذِّرون : هم المعتذرون الذين لم يثبت لهم عذر

معرد : اسم فاعل من عرَّد تعريدا هرب وفلان ترك الطريق

معن بن زائدة الشيباني : كان شجاعا مفرط الجود قاد الجيوش في الدولتين الاموية والعباسية قتل غيلة سنة ١٥٨

المغبة : العاقبة كالغبّ

المغيرة بن شعبة الثقفي : من كبار الصحابة ولي العراق لمعاوية

المَفزع : المستغاث به فزع اليه و يراد به المستغاث منه فيقال فزع منه

المقارعة : أن يقرع الابطال بعضهم بعضا

المقارف للذنب : المقارب له

مقرّع : من قرعه بمعنى عنفه

المقة : كمدة المحبة

مكاشح : مضمر العداوة

مكعوم : مربوط الفم

مكة : بلد الله الحرام و بها الكعبة قبلة المسلمين و بها ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم

مُلِظّ : اسم فاعل من ألظ شدد ولازم

الملهوف : المظلوم المضطر يستغيث ويتحسر

الممرور : من غلبت عليه المرة فاختلط

ممزع : مقطع وزنا ومعنى

ممعن : اسم فاعل من أمعن في الامر أبعد

مملق : من أملق بمعنى افتقر

المَناصل : جمع منصل ومنصل كجندب وهو السيف

المُنْبَتّ : المنقطع عن الرفقة لسرعته

منبج : بفتح فسكون فكسر مدينة العواصم بينها و بين الفرات ثلاثة فراسخ و بين حلب عشرة ومنها خرج البحتري

المنتأى : الموضع البعيد

المندمل : اسم فاعل من اندمل الجرح اذا برأ

المهامه : الصحراء واحدها مهمه

مَهَزّة : من هزه حركه والهزة بالكسر النشاط والارتياح

المهلب بن أبي صفرة : قائد من قواد بني أمية أكثر وقائعه مع الخوارج توفي سنة ٨٢

المواخير : بيوت الريبة واحدها ماخور

موثقا : مشدود الوثاق

موضوعٌ : ربا الجاهلية موضوع أى مطروح

الموَفّر لأمانته : المكمل لها حتى تكون وافرة

الموماة : الصحراء جمعه موام

﴿ حرف النون ﴾

النائرة : نأرت نائرة كمنع هاجت هائجة

النابغة الذبيانى : شاعر جاهلى من شعراء الطبقة الاولى وكان ينصب له قبة من أدم في عكاظ فيتحاكم الشعراء اليه

الناجذ : الفرس

النامورة : مصيدة تربط فيها شاة للذئب ليصاد

ناوأه : كفاخره عاداه وزنا ومعنى

نبا : السيف عن الضريبة كنصر كل وجنبه عن الفراش لم يطمئن

نبط : كجمل جيل كانوا ينزلون سواد العراق كالنبيط والانباط وهو نبطى ثم استعمل في اخلاط الناس

النجدة : كنخلة الشجاعة والمضاء

النجعة : كغرفة الطلب

النداف : بتضعيف الدال النجاد يضرب بالمندف والمندافة وهى قوسه وتره

النَّدوة : النادي والندى

نزح : يقال نزحت الدار بعدت ونزح البئر استقى ماءها كله وبابه فتح

نسأ . كمنع أخر والنسيء تأخير حرمة الشهر الحرام الى شهر آخر

نشاشة : يقال سبخة نشاشة لايجف ثراها ولا ينبت مرعاها

النصفة : بالتحريك الاسم من الانصاف وهوالعدل ومثله النصف بالتحريك

نصيب : بالتصغير شاعر أسود اللون من شعراء الدولة الاموية مدح عبدالعزيز بن مروان

النضر بن الحارث : من بنى عبدالدار قتله رسول الله صلى الله عليه وسلم صبرا فى عودته من غزوة بدر الكبرى سنة ٢ من الهجرة

النضيض : يقال نضيض وفره كامير قلته

النطع : بالكسر البساط من الاديم

النطف : المتهم بريبة من نطف كفرح وعنى نطفا ونطافة ونطوفة

النطل : بالتحريك الرجل القوى المجرب المبدىء المعيد

النعمان بن المنذر : ملك من ملوك العرب الذين كانوا بالحيرة

النفذ : بالتحريك الانفاذ

النقاخ : كغراب الماء العذب

النقد : بالتحريك صغار الغنم ونوع ردىء منها

النكال : كسحاب اسم من نكل به صنع به صنيعا يحذر غيره

نكث العهد : كنصر وضرب نقضه

النكرة : بالتحريك اسم من الانكار

النمرة : كفرحة حبرة وشملة فيها خطوط بيض وسود أو بردة من صوف يلبسها الاعراب

نهمة : كتخمة من النهم والنهامة افراط شهوة الطعام

نواكس : جمع ناكس المطأطىء رأسه وهو جمع شاذ

النواهق : عظمان شاخصان فى مجرى الدمع ويقال الناهقان

النُّوكَى : أنوك كاحمق وزنا ومعنى

﴿ حرف الهاء ﴾

هادي الفرس : مقدم عنقه

هبط : كجلس نزل

الهبل : بالتحريك الثكل (فقد الولد)

الهجنة فى الكلام كغرفة مايعيبه والهجين من أمه غير عربية أو أبوه خير من أمه ومن الابل الابيض الكريم ومن الخيل غير الكريم والجمع هجان

الهزج : بالتحريك صوت المطر وبحر من بحور الشعر وزنه مفاعيلن أربع مرات وضرب من الغناء

هشام : ككتاب هو ابن عبد الملك سابع بنى مروان وعاشر بنى أمية توفى سنة ١٢٦ هـ

همدان : ككسلان قبيلة باليمن

هند : هى بنت عتبة بن عبد شمس وهى زوج أبى سفيان وأم معاوية والهند جيل معروف والنسبة هندى

الهندوانى : بضم الهاء وكسرها مع ضم الدال فيهما السيف ينسب للهند على غير قياس وهندوان نهر بخوزستان

الهنيدة : بالتصغير اسم للمائة من الابل

الهوادى : يرادبها الاوائل جمع هاد

هوذة : كرحمة هو ابن على الحنفى كان من سادات العرب وكان يسمى ملكا

الهيدب : هيدب السحاب كصيرف

المتدلى منها

هينم : أمر من الهينمة وهى الصوت الخفى

﴿ حرف الواو ﴾

وادى القُرى : واد كثير القرى بين خيبر وتيماء خرب الآن

الوبل : المطر الشديد الضخم القطر

الوجا : الحفا أو أشده وجى كرضى

الوِجاب : جمع وجب كضرب وهو السقاء العظيم من جلد التيس

وَجد عليه : غضب

وجم : كوعد أطرق مفكرا

الوديقة : شدة الحر

الورع : التقوى

ورَّيتم صدرى غيظا : ألهبتموه

وَشى عليه : كضرب نم

الوشل : الماء القليل يتحلب من جبل أو صخرة ولا يتصل قطره

الوشيج : شجر الرماح

سحابة « وطفاء » كثيرة القطر

الوظيفة : مايقدر كل يوم من طعام أو رزق

الوعْر : ضد السهل كالوعر بكسر العين وعر المكان ككرم وولِع ووعد وعرا ووعرا

وقم : كوعد قهر وأذل وأخضع وحزنه أشد الحزن ووده أقبح الرد

وكيع بن أبى سُود : من قراء البصرة قتل يوم الجمل مع عائشة

الولاء : المولى المالك والعتق والعتيق والمعتق

الوليد بن عبد الملك : ثالث الخلفاء من بنى مروان والسادس من بنى أمية

وهب بن منبّه : على صيغة اسم الفاعل كان خبريا قصصيا توفى سنة ١١٤ بصنعاء اليمن

وَهلة : وتحرك أول شىء

﴿ حرف الياء ﴾

يؤاتى : المؤاتاة حسن المطاوعة والموافقة وقد يخفف إلى الواو

يؤثر : يتخلص ويختار

يألو : يقصر أو يبطىء ومنه لا آلوك جهدا ويألو يقسم ويقال آلى وأتلى

يؤَم : يتقدم عليه غيره

يتجوس : من الجوس وهو التردد خلال

البيوت والدور فى الغارة والطوف فيها

يتحاقر أعداءه : يحتقرهم ويتصاغرهم

يتكاءده : من تكاءده الامر شق عليه

يتكاوسون : يتكاثرون ويتكاثفون

يتلاحم : يلتصق من لاحم الشيء بالشيء ألصقه به

يتلافاه : يتداركه

يتلجلج : يتردد

يحفن : من باب ضرب يأخذ الشيء براحتيه وأصابعه مضمومة

ما يُحير جوابا : أى لا يرد

يحيق : كيضرب يحيط

يحيي ابن أكثم : فقيه عالم ولى القضاء للمأمون وتوفى سنة ٢٤٢

يختمر : الاختمار جود العجين بعد أن يعجن ويترك يقال خمرت العجين وخمرته فاختمر ومن هنا استعملت فى اختمار الرأى

يُدْحض : ويَدحض يفند

يُدل : من أدل عليه اذا وثق بمحبته فأفرط عليه

يديل : من دالت الايام دارت وتداولته الايدى أخذته هذه مرة وهذه مرة وأدال بينهما فى الامر جعله لهذا مرة ولهذا مرة

يذودونه . يطردها والمصدر الذود وذاد عنه دفع

يرتاد : يطلب كراد روداور يادا

يرتطخ : لكنة أعجمية اذا نشأ معهم ثم صار الى العرب فهو ينزع الى العجم فى الفاظ ولو اجتهد

يرعوى : ينزجر وينكف

يزيد بن الطثرية : وهى أمه وهو من قشير شاعر اسلامى توفى سنة ١٢٦

يزيد بن مزيد : الشيبانى قائد من قواد بني العباس ولاه الرشيد أرمينية واذربيجان سنة ١٨٣ ووجهه الرشيد لحرب الوليد ابن طريف الشارى الخارجى فقتله توفى سنة ١٨٥

يزيد بن مسلم : كان كاتبا للحجاج في العراق ثم وليها مدة الوليد

يزيد بن معاوية : ثانى خلفاء بنى أمية من سنة ٦٠ الى سنة ٦٣ هـ

يزيد بن المهلب : قائد عظيم من قوادبنى أمية خرج على يزيد بن عبد الملك فقتل سنة ١٠٢

يسومنى : كذا يكلفنى اياه وأ كثر ما يستعمل فى العذاب والشر

يصخب : يصوت بشدة

يصدر عن رأى فلان : يرجع عاملا به وهو من بابى ضرب ونصر

يصعِّد النظر : يرفعه الى أعلى

يصمد : كيضرب يقصد والصمد السيد لانه يصمد اليه فى الحوائج

يصوب النظر : يخفضه الى أسفل

يَطَّبى : يستميل

يعرَوْرى : يسير فى الارض وحده

يعقوب بن داود : وزير المهدى نقم عليه فسجنه ولم يزل فى السجن حتى زمن الرشيد فأخرج منه ورحل الى مكة فاقام بها حتى توفى

دعوا الرأى يَغِب : أى يبيت ليختمر وينضج

اليفاع : ما ارتفع من الارض

يَقْرِن : فى بيوتهن يقمن

يكنفه : يحفظه من قولهم كنف الابل يكنفها كيضرب وينصر عمل لها حظيرة يؤديها اليها

يكيِّف : يقال كيف أنت

يلحف : يلح

اليمامة : هى الجزء الجنوبى الشرقى من بلاد العرب وقاعدتها حجر

يمهن : كيمنع وينصر يخدم

يمونه : يقوم بكفايته

يميط : كيبيع ميطا جار وزجر وعنى تنحى وبعد ونحى وأبعد كاماط فيهما

ينزعون : مضارع نزع اليه مال اليه ونزع عنه مال عنه

ينفث : النفث كالنفخ وأقل من التفل

ينفِل : يعطى النفل بالتحريك وهو الغنيمة

ينقمع : يقهر ويذل

ينهنهه : يكفه ويزجره

يهجنها : كيقدمها يقبحها

يهم فى الشىء : يغلط فيه بابه كوعد وورث

يهنأ الجُرْب : يطليها بالهناء وهو القطران

يوبقه : يهلكه ويذلله

يوتر : يؤخذ منه بالوتر كالضرب وهو الثار

فهرس كتاب مختار العقد



